

أَحْسَنُ تَفْسِيرٍ لِلْقُرْآنِ بِفَيْضٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

لَمْ يَغْزِ النَّبِيُّ صَاحِبًا أَحَدًا

مَجَالِ الْمَلَايِكَةِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

الجزء الواحد والسبعون بعد المائتين

المرجع الديني للمسلمين

الشيخ صالح آل عطائي

أساتذة الفقه والأصول والتفسير والأخلاق



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

الحمد لله الذي تغشت رحمته الخلائق كلها ، وبما يفوق حاجتها القربية والبعيدة ، الذي لا تنفذ خزائنه بل تزداد مع كثرة العطاء والجود (بالكاف والنون) ، وفيه دعوة للناس للاجتهاد في الدعاء للاعتراف من فضله ، ومن الآيات عجز الناس عن إحصاء مصاديق النعم التي يتفضل بها الله عز وجل ، فمنها ما يكون خارج الحساب والتصور الذهني .

ومن هذه النعم تفضل الله عز وجل بنصر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في معارك الإسلام مع قلة المهاجرين والأنصار ، والنقص في أسلحتهم ومؤنهم ، في مقابل أضعافهم من المشركين الذين هم الغزاة المعتدون .

الحمد لله الذي قطع برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الشرك واستأصل بها عبادة الأوثان ، وصار المسلمون يقفون بين يديه خمس مرات في أداء الصلاة بخشوع وخضوع في وراثة للأنبياء والأولياء في الأمم السالفة ، قال تعالى ﴿ زِيْنُ الصَّلَاةِ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾<sup>(١)</sup>.

الحمد لله على توالي النعم على البر والفاجر ، وهل هو من مصاديق الخلافة في قوله تعالى ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾<sup>(٢)</sup> ، الجواب نعم .

(١) سورة النساء ١٠٣.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

ليان قانون لا يحصي النعم التي تتفرع عن خلافة الإنسان في الأرض إلا الله عز وجل ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَأَخْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾<sup>(١)</sup>.

الحمد لله الذي جعل الحياة الدنيا دار الحمد والشكر له سبحانه وهو الغني عن العالمين ، ولكن هذا الحمد نعمة علينا لا يدرك منافعها الناس ، ولا يعلم ما فيها من الثواب إلا الله سبحانه ، فنسأله تعالى أن يجعلنا وذرياتنا من الشاكرين ، وأن يرزقنا الأجر والثواب على حمدنا له في الدنيا والآخرة ، وأن يتفضل بمضاعفة الأجر لنا في الدنيا والآخرة . وهل الثواب اللاحق الذي يأتي للمؤمن على عمله الصالحات بعد وفاته من مصاديق الباقيات ، الجواب نعم .

و(عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : خذوا جنتكم من النار ، قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنهن المقدمات ، وإنهن المؤخرات ، وهن المنجيات ، وهن الباقيات الصالحات)<sup>(٢)</sup>.

و(عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : بشر هذه الأمة بالسنة والرفعة والنصر والتمكين في الأرض ، ما لم يطلبوا الدنيا بعمل الآخرة ، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا ، لم يكن له في الآخرة من نصيب .

وتلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ الآية<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الجن ٢٨ .

(٢) الدر المنثور ٦/٣٦٩ .

(٣) أنظر سورة الشورى ٢٠ .

ثم قال : يقول الله : ابن آدم تفرغ لعبادتي ، أملأ صدرك غنى ، وأسد فقرك ، وإلا تفعل ، ملأت صدرك شغلاً ، ولم أسد فقرك .

وأخرج الحاكم وصححه ، عن ابن عمر مرفوعاً من جعل الهم هماً واحداً اكفاه الله هم دنياه . ومن تشعبته الهموم لم يبالي الله في أي أودية الدنيا هلك .

وأخرج ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن علي (عليه السلام) قال : الحرث حرثان ، فحرث الدنيا المال والبنون ، وحرث الآخرة ، الباقيات الصالحات<sup>(١)</sup> .

الحمد لله دائماً وأبداً ، وفي السراء والضراء ، والفرح والحزن الذي تفضل على الناس فجعل أيام السراء والعافية والأمن أكثر من أيام الشقاء ، والمرض ، والفتن ، ويضيف علينا من فضله في هذا الباب والنعم الأخرى ، لقوله تعالى ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾<sup>(٢)</sup> .

ولقد كان رؤساء قريش يخططون لقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه قال تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup> .

فانجى الله رسوله ، ورمى المشركين بالخزي في الدنيا إلى جانب ما ينتظرهم من العذاب الأليم في الآخرة .

لتكون النسبة بين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والأنبياء السابقين في باب المعجزة عموم وخصوص مطلق ، إذ يشترك معهم بالمعجزات الحسية ، ويستقل بالمعجزة العقلية وهو القرآن .

ترى لماذا انفرد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالمعجزة العقلية .

(١) الدر المنثور ٦٢/٩ .

(٢) سورة الرعد ٣٩ .

(٣) سورة الأنفال ٣٠ .

الجواب إنه فضل من عند الله عز وجل على الناس في الرسالة الخاتمة ، إذ انقطعت النبوة وبقيت آيات القرآن دستوراً وأحكاماً إلى يوم القيامة .  
لقد أكرم الله النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم من بين الأنبياء بالمعجزة العقلية إلى جانب المعجزات الحسية ، وفيه حجة وبرهان ولطف على المسلمين والناس .

وتتعدد معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهي متكررة وجلية ، وخلاف قاعدة السبب والمسبب والعلة والمعلول ، ومنها ما لم تذكر كمعجزة وخصيصة مثل عدم وقوع أسير من الصحابة بيد المشركين في معركة بدر ، وأحد ، والخندق ، وحنين وغيرها .

مع أن الكفة في العدة والعدد لجانب المشركين إذ كانوا أضعاف عدد المسلمين ، كما كان المشركون هم الغزاة في هذه المعارك ، وإن كان المتوارث في كتب السيرة والتفسير أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم هو الغازي .

ولكن آيات القرآن والسنة والوقائع التاريخية تؤكد أن المشركين هم الغزاة فيها .

وقد صدر لي والحمد لله ثلاثون جزء من تفسيري للقرآن بخصوص (قانون لم يغير النبي (ص) أحداً) آخرها هذا الكتاب الذي بين يديك .  
ولقد قسمت معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تقسيماً استقرائياً إلى ثلاثة أقسام :

الأول : المعجزات الحسية الذاتية مثل حديث الإسراء ، ونبع الماء من بين أصابع النبي محمد الشريفة ، وتكلم الجماد والحيوان معه ، وانشقاق القمر ، وإبراء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بدعائه لجراحات عدد من الصحابة .

الثاني : المعجزات الحسية الغيرية التي تقع للصحابة ، وفي إبتلاء المشركين موعظة وحجة وزاجرا عن الضلال ، قال تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتَنَا فِي

الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١﴾.

الثالث : المعجزات الذاتية الغيرية .

والمختار أن عدم وقوع أسير من المسلمين بيد المشركين في معركة بدر من القسم الثالث أعلاه .

وأطرح مسألة مستحدثة أخرى وهي : هل سلامة المسلمين من الأسر من المدد الملكوتي ، ومنها قوله تعالى ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ \* بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُبَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ (٢) .

الجواب نعم بتقريب أن المشركين كانوا يسعون لقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وإدخال الصحابة إلى مكة مربوطين بالحبال ، قال تعالى ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (٣) .

الحمد لله سابغ النعم ، واهب العطايا الجزيلة ابتداء وجزاء ، واستجابة للدعاء تلك التي لا يقدر عليها إلا هو سبحانه .

الحمد لله الذي جعل مائتين وواحد وسبعين جزء من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) تشرق على القلوب بنسمات التوحيد ، وشواهد دليل الإيجاد ودليل الإتيان ، اتقان الله لكل شئ بحكمة متناهية .

ودليل الإبداع وفي التنزيل ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٤) .

(١) سورة فصلت ٥٣ .

(٢) سورة آل عمران ١٢٤-١٢٥ .

(٣) سورة الأنفال ٣٠ .

(٤) سورة البقرة ٢٧١ .

ودليل التنزيل بالبرهان العقلي للتصديق بنزول القرآن من عند الله عز وجل .

ودعوة العلماء لتفسيره والغوص في كنوز آياته ، وكل آية خزينة من العلوم .

تم والحمد لله تأليف الجزء الواحد والسبعين بعد المائتين منه ويختص بقانون (لم يغز النبي محمد (ص) أحداً) .

وقد تأتي صفة الغزو لخروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من المدينة للتبليغ وعرض قوة الإسلام وتلاوة القرآن والصلاة في أفواه القرى ، وعند مياه الآبار سواء وقع قتال أو لم يقع .

لقد جعل الله عز وجل آيات القرآن سلاح الدعوة إلى الله ، وهي حجة ساطعة ، وقد تقدم في الجزء السادس والعشرين بعد المائة من هذا السفر قانون القرآن برزخ دون القتال<sup>(١)</sup> .

وما يتصف به تأريخ التنزيل والسنة النبوية التسلسل الزمني بتوثيق ذات آيات القرآن بأسباب نزولها ، وما فيها من ضبط للوقائع أيام التنزيل ، لقانون الآية القرآنية شاهد على العصر .

وتوثيق أخبار السنة النبوية للوقائع والأحداث ، ومنها أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الخاصة بها ، وهو من خصائص الإسلام وما ينفرد به من العمل الأخرى لما فيه من ضبط للتفاصيل وتوالي الأحداث .

وقد بين القرآن حال الضعف عند المسلمين في بدايات الدعوة ثم الهجرة إلى أن وقعت معركة بدر في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة ، إذ قال تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> .

(١) أنظر الجزء السادس والعشرين بعد المائة ص ٢٧٠ من هذا السفر المبارك .

(٢) سورة آل عمران ١٢٣ .

وهذا الجزء هو الواحد والسبعون بعد المائتين من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) وما يختص بمعركة حنين وسرية تبوك، وهو الجزء الثلاثون من سلسلة (لم يغز النبي محمد (ص) أحداً) وهذه الأجزاء هي:

(١٦٤-١٦٥-١٦٦-١٦٨-١٦٩-

١٧٠-١٧١-١٧٢-١٧٤-١٧٦-

١٧٧-١٧٨-١٨٠-١٨١-١٨٢-

١٨٣-١٨٧-١٩٣-١٩٤-١٩٦-

٢٠٤-٢١٢-٢١٦-٢٢١-٢٢٩-

٢٣٩-٢٥٦-٢٦١-٢٦٦).

ومن معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الحسية تلقي طائفة من الناس دعوته بالقبول ودخول الإسلام مما جعل الذين كفروا يؤذونهم ويعذبونهم ويحرضون قبائلهم ورؤساءها عليهم مع بذل المال من أجل ردهم عن دينهم، وصد الناس عن الإيمان.

قال الزهري (فبلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لمن آمن به تفرقوا في الارض فان الله تعالى سيجمعكم، قالوا إلى أين نذهب قال إلى هاهنا وأشار بيده إلى ارض الحبشة)<sup>(١)</sup>.

وفيه شاهد على إجتتاب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم القتال في الحاضر والمستقبل وأنه لا ينوي إبقاء المؤمنين إلى جواره ليشدوا عضده كما أن استجابة ثلاثة وثمانين رجلاً وتسع عشرة امرأة لدعوته للهجرة إلى الحبشة معجزة حسية غيرية له، وكذا ثباتهم على دينهم في الحبشة حين العودة إلى المدينة.

(١) عيون الأثر ١/١٥١.

ومن النصوص ما ورد عن الإمام الصادق عن أبيه عليهما السلام (قال النبي صلى الله عليه واله لأصحابه: ألا أخبركم بخير أعمالكم وازكاها عند مليككم، وارفعها في درجاتكم .

وخير لكم من الدينار والدرهم، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم وتقتلونهم ويقتلونكم ، قالوا: بلى، يا رسول الله، قال: ذكر الله كثيراً<sup>(١)</sup>.

ومثله ورد عن أبي الدرداء يرفعه ، لبيان لقانون الإسلام دين الذكر والسلام بترجيح وتفضيل ذكر الله والدعاء عن قتال المشركين .

ويتضمن هذا الجزء من معالم الإيمان (٧٦) قانوناً .

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>.

**حرر في الثالث من شهر شعبان ١٤٤٧**

٢٠٢٦/١/٢٣

---

(١) البحار ١٥٧/٩ .

(٢) سورة الأحزاب ٤١ .

## القرآن قراءة قرآنية

القرآن لغة من القرآن قرأ .

وقيل من الجمع والضم ، تقول قرأت الشيء قرآناً ، إذا جمعت بعضه إلى بعض ، وكل شيء جمعته فقد قرأته لأنه يجمع ويضم السور ، فالقرآن وصف مشتق من القرء ، والمختار أن اسم القرآن من القراءة مشتق من قرأ ، وأختلف في لفظ القرآن على وجوه :

الأول : إنه اسم علم غير مشتق من جذر لغوي .

الثاني : إنه غير مهموز (قران) وهو الجمع ، وبه قال الزجاجي .

الثالث : القرآن اسم مشتق من القرائن ، لتصديق آيات القرآن بعضها لبعض كالقرينات ، وبه قال الفراء .

الرابع : القرآن لفظ مهموز (قرآن) وهو مشتق من قرأ ومصدر له ، وهو المختار ، قال تعالى ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾<sup>(١)</sup> و ﴿ وأن اتلوا القرآن فسنهتدي فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين ﴾<sup>(٢)</sup> .

## أسماء القرآن

لقد سمى الله عز وجل القرآن بأسماء كثيرة منها :

الأول : القرآن ، قال تعالى ﴿ ولقد صرفنا في هذا القرآن ليدركوا وما يزيدهم إلا نفورا ﴾<sup>(٣)</sup> .

الثاني : كلام الله ، قال تعالى ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ﴾<sup>(٤)</sup> .

(١) سورة العلق ١ .

(٢) سورة النمل ٩٢ .

(٣) سورة الإسراء ٤١ .

(٤) سورة التوبة ٩ .

ولم يرد لفظ الكلام معرفاً بالألف واللام في القرآن ، لبيان أن القرآن ، كلام الله عز وجل وحده ، وورد لفظ ﴿كلام الله﴾ أربع مرات في القرآن ، كما ورد لفظ كلامي في خطاب إلى موسى عليه السلام ، وفي التنزيل قال ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (١) .

والمراد من ﴿كلامي﴾ في الآية أعلاه تكليم الله عز وجل له وليس مناجاة موسى عليه السلام لله عز وجل .

وفي حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن موسى لما نزلت عليه التوراة وقرأها فوجد فيها ذكر هذه الأمة .

قال : يا رب إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون فاجعلها أمتي . قال تلك أمة أحمد . قال : يا رب إني أجد في الألواح أمة هم المستجيبون والمستجاب لهم فاجعلها أمتي .

قال تلك أمة أحمد . قال : يا رب إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرأونه ظاهراً فاجعلها أمتي .

قال تلك أمة أحمد . قال : يا رب إني أجد في الألواح أمة يأكلون الفيء فاجعلها أمتي . قال تلك أمة أحمد .

قال : يا رب إني أجد في الألواح أمة يجعلون الصدقة في بطونهم يؤجرون عليها فاجعلها أمتي .

قال تلك أمة أحمد . قال : يا رب إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، وإن عملها كتبت له عشر حسنات فاجعلها أمتي . قال تلك أمة أحمد . قال : يا رب إني أجد في الألواح أمة يؤتون العلم الأول والعلم الآخر ، فيقتلون قرون الضلالة

والمسيح الدجال فاجعلها أمتي . قال تلك أمة أحمد . قال : يا رب فاجعلني من أمة أحمد ، فاعطي عند ذلك خصلتين { فقال : يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين }<sup>(١)</sup> قال : قد رضيت يا رب<sup>(٢)</sup>

الثالث : الكريم ، قال تعالى ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup> .

الرابع : الحكيم ، قال تعالى ﴿يَسْ \* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾<sup>(٤)</sup> .

الخامس : ذو الذكر ، قال تعالى ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾<sup>(٥)</sup> .

السادس والسابع : الشفاء والرحمة ، قال تعالى ﴿وَتُنزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا

هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾<sup>(٦)</sup> .

الثامن : الكتاب المبين ، قال تعالى ﴿طس تلك آيات القرآن وكتاب

مبين﴾<sup>(٧)</sup> .

التاسع : القرآن المجيد ، قال تعالى ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾<sup>(٨)</sup> .

العاشر : التنزيل ، قال تعالى ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ...﴾<sup>(٩)</sup> .

(١) سورة الأعراف ١٤٤ .

(٢) الدر المنثور ٤/٣٢٢ .

(٣) سورة الواقعة ٧٧ .

(٤) سورة يس ١-٢ .

(٥) سورة ص ١ .

(٦) سورة الإسراء ٨٢ .

(٧) سورة النمل ١ .

(٨) سورة ق ١ .

(٩) سورة النحل ١٠٢ .

الحادي عشر : الكتاب ، قال تعالى في خطاب إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ... ﴾ (١).

الثاني عشر : النور ، قال تعالى ﴿ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٢).

الثالث عشر : أحسن الحديث ، قال تعالى ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (٣).

الرابع عشر : مهيمناً ، قال تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَاوِزًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيُلَاقِيَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (٤).

الخامس عشر : الفرقان ، قال تعالى ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (٥).

السادس عشر : جبل الله ، قال تعالى ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ... ﴾ (٦).

(١) سورة النساء ١١٣.

(٢) سورة التغابن ٨.

(٣) سورة الزمر ٢٣.

(٤) سورة المائدة ٤٨.

(٥) سورة الفرقان ١.

(٦) سورة آل عمران ١٠٣.

وعن الإمام علي عليه السلام قال في الثناء على القرآن (هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَصِرَاطُهُ الْمُسْتَقِيمُ)<sup>(١)</sup>.

السابع عشر: الصراط المستقيم ، ووصف القرآن المستقيم لا يمنع من تعدد معنى الصراط المستقيم ، خصوصاً مع ورود الصراط المستقيم في القرآن بخصوص نبوة موسى وهارون ، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ \* وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ \* وَنَصَرْنَا هُمَا فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ \* وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ \* وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وكما في قوله تعالى عند صلح الحديبية في شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا \* لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُمْ نِعْمَةً عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>، مما يدل على أن لفظ الصراط في القرآن أعم من إرادة القرآن .

وعن الإمام الحسن العسكري (في قوله عز وجل ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾<sup>(٤)</sup>) قال: يقول: ارشدنا إلى الصراط المستقيم ، ارشدنا للزوم الطريق المؤدي إلى محبتك، والمبلغ إلى دينك ، والمانع من أن نتبع أهواءنا فنعطب، أو نأخذ بآرائنا فنهلك)<sup>(٥)</sup>.

الثامن عشر: العربي ، قال تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير ٨٩/٢.

(٢) سورة الصافات ١١٤-١١٨.

(٣) سورة الفتح ١-٢.

(٤) سورة الفاتحة ٦.

(٥) البحار ١٠/٢٤.

(٦) سورة يوسف ٢.

التاسع عشر: الوحي ، قال تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١).

العشرون: الذكر الحكيم ، قال تعالى ﴿ ذَلِكَ تَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ (٢).

الواحد والعشرون: الروح ، قال تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ (٣).

الثاني والعشرون: التنزيل ، قال تعالى ﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤).

الثالث والعشرون: بشرى ، قال تعالى ﴿ طَسَّرْنَا لَكَ آيَاتِ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ \* هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥).

الرابع والعشرون: البلاغ ، قال تعالى ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ . . . ﴾ (٦).

الخامس والعشرون: الهدى ، قال تعالى ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ الْأَعْجَمِيَّةُ وَعَرَبِيَّةٌ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا

(١) سورة الشورى ٥٢.

(٢) سورة آل عمران ٥٨.

(٣) سورة الشورى ٥٢.

(٤) سورة الشعراء ١٩٢.

(٥) سورة النمل ١-٢.

(٦) سورة إبراهيم ٥٢.

يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرُّهُ وَعَلَيْهِمْ عَمَىٰ أُولَٰئِكَ يَنَادُونَ مِن مَّكَانٍ  
بَعِيدٍ ﴿١﴾.

والنسبة بين الهدى وتسمية القرآن بذات الاسم عموم وخصوص مطلق  
ومن معاني الهدى التوراة ، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْهُدَىٰ﴾ (٢)  
ومنهم من ذكر من أسماء القرآن ﴿مُنَادِيًا﴾ لقوله تعالى ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا  
يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ  
الْأَبْرَارِ﴾ (٣).

ولكن المختار أن المنادي في الآية أعلاه هو رسول الله صلى الله عليه  
 وآله وسلم ، وقد ذكرت ذلك في الجزء التاسع والخمسين بعد المائتين من  
تفسيري للقرآن (معالم الإيمان في تفسير القرآن) والذي أختص بتفسير هذه  
الآية الكريمة .

وهل إحصاء أسماء القرآن ، والتدبر في معانيها من مصاديق قول النبي  
صلى الله عليه وآله وسلم (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) (٤) الجواب نعم.

### قانون البعثة النبوية نجاة

من خصائص رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نجاة كثير من  
الناس من موت الفجأة إذ كان العرب يغزو بعضهم بعضاً ويتقاتلون وتدوم  
المعارك والحروب بين قبائلهم لسنوات كما في حرب البسوس ، وحرب  
داحس والغبراء ، وعلى مسائل بسيطة ولكنه الثأر والعصية فيخرج الرجال  
للغزو أو للقتال فلا يعود عدد منهم .

(١) سورة فصلت ٤٤.

(٢) سورة غافر ٥٣.

(٣) سورة آل عمران ١٩٣.

(٤) تفسير الثعالبي ٢٥/٤.

لينقطع برسالته الغزو بين القبائل ، ويكون الإسلام سوراً جامعاً لهم مقروناً بالخشية من الله عز وجل ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

ليبان وجوب مبادرة المسلمين للسعي في الصلح بين طرفين منهم إذا اقتتلا ، وجاءت الفاء في ﴿فَأَصْلِحُوا﴾ لإفادة الفورية والتعاون من أجل الصلح والوثام وعدم الإبطاء عنه .

وقال تعالى ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾<sup>(٢)</sup> ثم أخبر عن وجوب تصدي أمة وفرقة من المسلمين للخير بقوله تعالى ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.  
والنسبة بين الخير والسعي في الصلح عموم وخصوص مطلق ، فالخير أعم.

ومع أن غزو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للكافرين في حال وقوعه إنما هو في سبيل الله ولمنفعتهم ولكنه لم يغز أحداً ، كما أنه منع الغزو بين القبائل وقضى على القتل وسفك الدماء وموت الفجأة في المعارك .

### قانون نهى الأنبياء عن القتل

من خصائص الأنبياء اتباعهم لنهج الملائكة في الإجتهد بالذكر والسعي في سبل الصلاح ، والنهي عن الفساد وسفك الدماء .  
وما من نبي إلا نهى عن القتل وسفك الدماء ، وكذا بالنسبة للكتب السماوية النازلة .

(١) سورة الحجرات ١٠.

(٢) سورة النساء ١٢٨.

(٣) سورة آل عمران ١٠٤.

وهل أفلح الأنبياء بالزجر عن القتل ، الجواب نعم ، ولا يعلم ما صرف الله عز وجل عن الناس من أسباب القتل وسفك الدماء بسيادة أحكام الإسلام وسنن الإيمان في الأرض إلا هو سبحانه ، وهو من مصاديق قانون النبوة رحمة عامة ، لبيان قانون حاجة أهل الأرض للنبوة .

فأول عمل إرهابي وقتل وقع في الأرض هو قتل ابن آدم قابيل لأخيه هايل مع أن آدم عليه السلام وحواء كانا يحدثان أبناءهما وأحفادهما عن سكنهما في الجنة قبل الهبوط إلى الأرض ، واتصالهما بالملائكة .

فلما أسكن الله آدم وحواء في الجنة حذرهما من إبليس وإغوائه وشدة عداوته لهما ، وسعيه في اخراجهما من الجنة التي قال تعالى لآدم في كثرة نعمها ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى \* وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾<sup>(١)</sup>.

وأن الطريق للعودة إليها هو بإخلاص العبادة لله ، وبحقن الدماء والتنزه عن الإرهاب والظلم .

وعن (أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لما أهبط الله آدم إلى الأرض مكث فيها ما شاء الله أن يمكث .

ثم قال له بنوه : يا أبانا تكلم . فقام خطيباً في أربعين ألفاً من ولده وولد ولده فقال : إن الله أمرني فقال : يا آدم أقلل كلامك ترجع إلى جواربي)<sup>(٢)</sup>.

وهل يمكن القول أن الحياة الدنيا دار الزجر عن القتل والإرهاب ، الجواب نعم ، إذ تمنع الكتب السماوية والأنبياء منه ، كما أن العقل حجة ذاتية عند الإنسان باجتناب القتل وإراقة الدماء والإضرار بالناس وممتلكاتهم ، لذا ترى أن الذين يقدمون عليه أفراداً وجماعات قليلة من عموم الناس .

وليس من نبي إلا وأنذر بالعقاب الأليم على القتل بغير حق وعن سوء عاقبة القاتل .

(١) سورة طه ١١٨-١١٩.

(٢) الدر المنثور ١/٩٥.

ومن مصاديق قوله تعالى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup> صدّ الناس عن الإقدام على القتل ، وبعث الندامة في نفس القاتل من حين قيامه بجناية قتل الغير بغير حق ، وحكم القصاص وتعاهد المؤمنين والحكام له ، قال تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٢)</sup> .  
وفيه إنذار من القيام بعمل إرهابي وزجر عنه ، لبيان قانون التنافي بين الإرهاب وما جاء به الأنبياء .

### الهجرة إلى الطائف

لقد بعث الله عز وجل مائة وأربعة وعشرين ألف نبي ، ورزق كل واحد منهم المعجزة الحسية التي تدل على صدق بعثته من عند الله ، وانفرد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالمعجزة العقلية إلى جانب المعجزة الحسية

والمعجزة هي الأمر الخارق للطبيعة والقوانين المتعارفة ، والمقرون بالتحدي ، والسالم من المعارضة ، وإذا كانت معجزات الأنبياء سالمة من المعارضة في زمانها فان معجزة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو القرآن دستور يتحدى البلغاء وأهل العلم في كل زمان ، فدعا النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الناس إلى الإسلام بالقرآن والمعجزات الحسية ، فأمن فريق من الناس ونالوا شرف مرتبة الصحابة الأوائل ، قال تعالى ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾<sup>(٣)</sup> .

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة البقرة ١٧٩.

(٣) سورة الواقعة ١٠.

وعن (ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ \* أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾<sup>(١)</sup> أول من يدخل المسجد وآخر من يخرج منه<sup>(٢)</sup>.

ليان بقاء مضامين الآية القرآنية وتجدد أحكامها في كل زمان .  
إذ يدل البيان النبوي أعلاه على السعة والمندوحة في تفسير هذه الآية .  
ولكن رؤساء قريش تلقوا نبوته بالتكذيب ، والتنزيل بالإفتراء ، ثم صاروا يؤذونه وأهل البيت والصحابة ، وهم صابرون ، ولا يستطيع النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذب عنهم ، ولا يريد السجال والقتال ، فعرض على رهط من أصحابه الهجرة إلى الحبشة ، وقال (إن بها ملكاً صالحاً لا يظلم ولا يُظلم عنده أحد)<sup>(٣)</sup>.

ولما اشتد أذى رجالات قريش للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاصة بعد وفاة أبي طالب الذي كان يذب عنه ، ووفاة خديجة بنت خويلد زوج النبي وإلحاح عمه أبي لهب بالتحريض عليه وإيذائه اختار النبي محمد الذهاب إلى الطائف ، فخرج إليها مشياً على الأقدام في ليال بقين من شهر شوال من السنة العاشرة للبعثة النبوية أي قبل الهجرة بثلاث سنين عسى أن تنصره ثقيف ، أو تكتفي بايوائه .

لقد كانت هذه الهجرة درساً لقريش وشكاية منهم ، وتوبيخاً لهم ، لعلمهم يكفون عن إيذاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولكن أذاهم ازداد واشتد خاصة بعد وفاة عمه أبي طالب الذي كان يذب عنه .  
لقد مات أبو طالب بعد الخروج من حصار قريش على بني هاشم ، ومات بعده بأشهر خديجة في السنة العاشرة للبعثة النبوية الشريفة .

(١) سورة الواقعة ٩-١٠.

(٢) الدر المنثور ٣٨٢/٩.

(٣) الثعلبي / الكشف والبيان ٢٧٣/١٢.

فخرج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الطائف والتي تبعد عن مكة نحو ثمانين كيلو متر ، ودعا الوجهاء فيها إلى الإسلام فلم يجد منهم إلا الصدود ، وحرصوا الصبيان والعييد عليه (وَقَامُوا لَهُ سِمَاطِينَ فَرَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى أَدْمَوْا كَعْبِيَهُ) (١).

لقد كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مضطراً لمغادرة مكة ، كما أنه أراد أن ينشر الإسلام بنفسه خارجها ، لبيان أن الهجرة إلى الطائف على وجوه :

الأول : صبر وتحمل النبي على الأذى وفراق الأهل في طاعة الله.

الثاني : عمل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بمضامين قوله تعالى ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّي آرِضِي وَأَسْعِدُ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾ (٢) ، ومع أن الأرض كلها ملك لله عز وجل فلم يرد لفظ (ارضى) في القرآن إلا في الآية أعلاه ، والآية أعلاه مكية لبيان ترغيب المسلمين بالهجرة منها عند اشتداد أذى الكفار لهم .

الثالث : نشر آيات القرآن .

الرابع : دعوة الناس خارج مكة للإسلام ولا يعني جحود رؤساء ثقيف برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عدم إيمان غيرهم من أهل الطائف برسالته يومئذ .

الخامس : إنذار ثقيف من معركة حنين التي وقعت بعد إحدى عشرة سنة من هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الطائف .

السادس : هجرة النبي محمد إلى الطائف شاهد على عدم إرادته القتال وسل السيوف ، فهي من مصاديق ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (٣).

(١) زاد المعاد ١/ ٩٤ .

(٢) سورة العنكبوت ٥٦ .

(٣) سورة النحل ١٢٥ .

## إسلام عدّاس حجة

لقد تلقى وجهاء الطائف دعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لهم بالتكذيب خشية من كفار قريش ، وسبل التجارة والمعاملات الربوية معهم ، فأغروا صبيانهم وسفهاءهم بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لرميه بالحجارة ، وحمله على مغادرة الطائف .

وجلس النبي عند حائط وقدماه يسيلان دما ، وهو يعلم أنه نبي من عند الله ، وكان عتبة وشيبة ابنا ربيعة في الطائف لأن لهما فيها بستاناً التجأ إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

فتحركت عندهما الرحم ، فقالا لغلام عندهما اسمه عداس نصراني من أهل نينوى قرية من قرى الموصل (فقالا له: خذ له هذا القطف من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه. ففعل عداس ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال له: كل.

فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده قال بسم الله. ثم أكل فنظر عداس في وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ومن أي البلاد أنت يا عداس وما دينك؟ قال: نصراني وأنا من أهل نينوى. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرية الرجل الصالح يونس بن متى.

قال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ والله لقد خرجت منها - يعني من أهل نينوى - وما فيها عشرة يعرفون ما يونس بن متى ، فمن أين عرفت أنت يونس بن متى وأنت أمي وفي أمة أمية<sup>(١)</sup>.

فاجابه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذاك أخي كان نبياً وأنا نبي .

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٢/٤٣٩ .

فاكب عداس يقبل رأس ويدي ورجلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال أحد ابني ربيعة لأخيه أما غلامك فقد أفسده عليك ، فلما عاد عداس إليهما ، قال له ويحك ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه ورجليه ، قال ليس في الأرض من هو خير منه ، لقد علمني بأمر لا يعلمه إلا نبي .

وعن خالد بن أبي جبل العدواني (أنه أبصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مشرق ثقيف وهو قائم على قوس أو عصا حين أتاهم بيتني عندهم النصر قال فسمعتة يقرأ والسماء والطارق حتى ختمها قال فوعيتها في الجاهلية ثم قرأتها في الإسلام) (١).

ليبان مسألة وهي عدم اكتفاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بمفاتيح وجهاء ثقيف لدخولهم الإسلام في هجرته إلى الطائف ، إنما ذهب إلى أسواق ثقيف ، وأخذ يقرأ القرآن ليسمع الناس كلام الله ، وهو من الشواهد على أن الإسلام انتشر بالمعجزة والبرهان وأن القرآن سلاح الهداية والرشاد ، وهو أمضى من السيف .

لقد كان إسلام عداس حجة على أهل الطائف ، ودعوة لهم للإيمان واجتناب الإستهزاء بالتنزيل .

### قانون الدعاء عند الأذى

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم اللجوء إلى الدعاء في حال الرخاء والشدة .

وعن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (الدعاء مخ العبادة، ولا يهلك مع الدعاء أحد .

وقال صلى الله عليه وآله: أفضل عبادة امتي بعد قراءة القرآن الدعاء ثم قرأ صلى الله عليه وآله ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ

(١) الأصابة في تمييز الصحابة ٢/٢٢٨ .

عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿١﴾ ألا ترى أن الدعاء هو العبادة. وقال صلى الله عليه وآله : لا تعجزوا عن الدعاء فإنه لم يهلك مع الدعاء أحد، وليسأل أحدكم ربه حتى يسأله شسع نعله، إذا انقطع، واسألوا الله من فضله فإنه يجب أن يسأل) (٢).

(وقال الرضا عليه السلام: عليكم سلاح الانبياء فقيل له: وما سلاح الانبياء ، فقال: الدعاء) (٣).

لما أطمأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد الأذى الذي لاقاه من أهل الطائف (قال فيما ذكر : اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي ، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي .

أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو تحل علي سخطك، لك العتبي حتى ترضى، لا حول ولا قوة إلا بك .

قال: فلما رآه ابنا ربيعة عتبه وشيبة وما لقي تحركت له رحمهما، فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس .

وقالا له : خذ قطفًا من هذا العنب فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه) (٤).

لقد أسس النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مدرسة الدعاء عند تلقي الأذى والظلم ، قال تعالى ﴿قُلْ مَا يَعْباُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ (١).

(١) سورة غافر ٦٠.

(٢) البحار ٣٠٠/٩٠.

(٣) البحار ٣٠٠/٩٠.

(٤) ابن كثير / السيرة النبوية ١٥٠/٢.

ففي معركة بدر اجتهد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالدعاء والتضرع إلى الله عز وجل .

وعن الإمام علي عليه السلام (قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي تلك الليلة ليلة بدر ، ويقول : اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد ، وأصابهم تلك الليلة مطر شديد ، فذلك قوله ﴿وَيُثِّبُ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾<sup>(١)</sup> (٢) . ولم يفارق سلاح الدعاء النبي محمداً في أحلك الأحوال ، ففي معركة أحد عندما اشتد هجوم المشركين ، وسقط سبعون شهيداً من الصحابة ، وأصابت الجراحات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأكثر أصحابه توجه إلى الله بالدعاء .

وفي معركة أحد ورد عن الصحابي البديري لرفاعة بن رافع الزرقي والذي حضر معركة أحد أنه قال (لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : استنوا حتى أثنى على ربي ، فصاروا خلفه صفوفاً فقال : اللهم لك الحمد كله .

اللهم لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا هادي لما أضللت ، ولا مضل لما هديت ، ولا معطي لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت ، ولا مقرب لما بعدت ، ولا مباعد لما قربت .

اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول ، اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة والأمن يوم الخوف .

اللهم إني عائد بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعتنا ، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين .

(١) سورة الفرقان ٧٧ .

(٢) سورة الأنفال ١١ .

(٣) الدر المشور ٤/٤٢٢ .

اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين ، غير خزايا ولا مفتونين .

اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك ، واجعل عليهم رجزك وعذابك ، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب يا إله الحق<sup>(١)</sup> .

وفي معركة حنين (يقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما انكشف الناس، قال لحارثة بن النعمان: يا حارثة، كم ترى الذين ثبتوا . قال: فلم التفت ورائي تخرجاً، فنظرت عن يميني وشمالي فحزرتهم مائة، فقلت: يا رسول الله، هم مائة! حتى كان يوم مررت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو يناجي جبريل عليه السلام عند باب المسجد . فقال جبريل عليه السلام: من هذا يا محمد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: حارثة بن النعمان. فقال جبريل عليه السلام: هذا أحد المائة الصابرة يوم حنين، لو سلم لرددت عليه السلام. فأخبره النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ما كنت أظنه إلا دحية الكلبي واقف معك. وكان دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ حين انكشف الناس عنه ولم يبق إلا المائة الصابرة: اللهم، لك الحمد، وإليك المشتكى، وأنت المستعان! قال له جبريل: لقد لقنت الكلمات التي لقن الله موسى يوم فلق البحر أمامه وفرعون خلفه)<sup>(٢)</sup> .

### لماذا الهجرة إلى الطائف

في السنة العاشرة للبعثة النبوية خرج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من مكة مهاجراً إلى مدينة الطائف التي تبعد نحو ثمانين كيلو متر عن مكة ، وفي رواية كان معه زيد بن حارثة والذي كان يسمى زيد بن محمد . وفي قول كان معه زيد بن حارثة والإمام علي عليه السلام .

(١) الدر المنثور ٢٥١/٩ .

(٢) مغازي الواقدي ٢٦٤/١ .

ترى لماذا هاجر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الطائف ، فيه وجوه :

الأول : شدة إيذاء قريش للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .  
الثاني : خشية قتل قريش للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ بِاللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (١).

الثالث : إنذار قريش بإمكان هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وإيجاد طائفة من الناس تذب عنه .

الرابع : هجرة الطائف من وجوه الدعوة النبوية إلى الله عز وجل .  
الخامس : بيان شجاعة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وعدم خشيته من المجهول .

السادس : هجرة الطائف شعبة من الوحي ، قال تعالى ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (٢).

السابع : رجاء إتساع الإسلام .

الثامن : الهجرة إلى الطائف من مصاديق قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٣).

التاسع : هجرة الطائف رحمة بأهلها بتبليغهم آيات وسور القرآن ، وبركة تتغشى البلدة بحلول النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيها ،

(١) سورة الأنفال .٣٠

(٢) سورة النجم ٢-٣.

(٣) سورة الفتح ٨.

وهذا التبليغ والبركة من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

العاشر : هجرة الطائف مقدمة لهجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة لوحدة الموضوع في تنقيح المناط ، إذ كان النبي محمد يسعى لوجود الناصر الذي يدفع عنه أذى قريش .

الحادي عشر : مفاتحة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجهاء ثقيف لدخول الإسلام ، فالتقى بإخوة ثلاثة هم سادة ثقيف يومئذ وهم (عبد يابل ، ومسعود ، وحبيب) أولاد (عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف)<sup>(٢)</sup>.

وكان أحدهم متزوجاً امرأة من قريش ، وجلس إليهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأخبرهم بأنه رسول من عند الله يدعو لكلمة التوحيد ، وقرأ عليهم آيات من القرآن ، وسألهم نصرته ، فردوا عليه بجفاء (فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ هُوَ يَمْرُطُ ثِيَابَ الْكَعْبَةِ إِنْ كَانَ اللَّهُ أَرْسَلَكَ ؛ وَقَالَ الْآخَرُ أَمَا وَجَدَ اللَّهُ أَحَدًا يُرْسَلُهُ غَيْرَكَ .

وَقَالَ الثَّالِثُ وَاللَّهِ لَا أَكَلِّمُكَ أَبَدًا . لَئِنْ كُنْتُ رَسُولًا مِنَ اللَّهِ كَمَا تَقُولُ لَأَنْتَ أَعْظَمُ خَطْرًا مِنِّي أَنْ أَرُدَّ عَلَيْكَ الْكَلَامَ وَلَئِنْ كُنْتُ تَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ مَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَكَلِّمَكَ).

لقد أجابوه بجفاء وسخرية.

(فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ عِنْدِهِمْ وَقَدْ يَثْسُ مِنْ خَيْرِ ثَقِيفٍ .

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٢) الروض الأنف ٢/٢٢٨.

قَدْ قَالَ لَهُمْ - فِيمَا ذُكِرَ لِي - إِذَا فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ فَاكْتُمُوا عَنِّي ، وَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَبْلُغَ قَوْمَهُ عَنْهُ فَيُذْثِرَهُمْ ذَلِكَ عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>.

ترى لماذا هذا الجفاء والصدود منهم ، الجواب إنهم كانوا يخشون معاداة قريش لهم ، ومنعهم من دخول مكة .

ولم يكتموا دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم للإسلام ، إنما أغروا السفهاء والصبيان به ، وصاروا يرمونه بالحجارة ، وكانهم يدعونهم للخروج من البلدة .

وقد لقي المرأة القرشية (مِنْ بَنِي جُمَحٍ فَقَالَ لَهَا : مَاذَا لَقِينَا مِنْ أَحْمَائِكَ)<sup>(٢)</sup>.

فلما انصرف السفهاء والصبيان عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم واطمأن التجأ إلى الدعاء وقال (اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي ، وَقَلَّةَ حِيلَتِي ، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبِّي ، إِلَيَّ مِنْ تَكَلُّبِي ، إِلَيَّ بَعِيدٌ يَتَّجِهَمُنِي ، أُمُّ إِلَى عَدُوِّ مَلَكْتَهُ أَمْرِي . إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أَبَالِي ، وَلَكِنْ عَافَيْتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي . أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سَخَطُكَ لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ)<sup>(٣)</sup>.

ولم يدع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على وجهاء ثقيف أو على أهلها ، ولم يستحضر في الدعاء إيذاء قريش له واضطراره للخروج من مكة وملافة الأذى الشديد ومخاطر القتل ، إنما توجه إلى الله عز وجل لبيان

(١) الروض الأنف ٢/٢٢٨ .

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية ١/٤١٩ .

(٣) ابن هشام / السيرة النبوية ١/٤٢٠ .

ضعفه وحاجته إلى النصره من عند الله ، لينزل قوله تعالى في سورة الفتح ﴿وَبَصُرُكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾<sup>(١)</sup>.

ويبقى دعاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هذا مدرسة في الصبر ، واللجوء إلى الله عز وجل حال الأمن وعند الشدائد ، ومع اتصال حسن التوكل عليه تعالى .

الثاني عشر : من الغايات الحميدة في الهجرة إلى الطائف إنذار هوازن وثقيف من محاربة وقتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد هجرته إلى المدينة ، وبعد فتح مكة .

الثالث عشر : ترغيب أهل الطائف بدخول الإسلام ، فصدود نفر من وجهاء قريش لا يعني إغراض أهل الطائف عن دعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن الشواهد إسلام عداس .

الرابع عشر : إمكان عودة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى مكة بعد خروجه إلى الطائف وإن تمت هذه العودة بالإستجارة بمطعم بن عدي وفي طريق عودة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى مكة نزل بنخلة وقام يصلي في الليل فصرف الله عز وجل له نفراً من الجن ليستمعوا للقرآن وهو لا يعلم وكان سبباً باسلامهم ، قال تعالى ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ \* قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنَّا مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يُدْعِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ \* يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup> ، لصيرورة هؤلاء الجن دعاة إلى الإسلام.

(١) سورة الفتح ٣.

(٢) سورة الأحقاف ٢٩-٣١.

وقال زيد بن حارثة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم : كيف تدخل على قريش في مكة ، وقد أخرجوك ، وكأنه خشي على النبي محمد بطش قريش ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (يَا زَيْدُ إِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لِمَا تَرَى فَرْجًا وَمَخْرَجًا وَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرٌ دِينَهُ وَمُظَهِّرٌ نَبِيَّهُ)<sup>(١)</sup>.

### الرجوع إلى مكة

لقد جاهد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه في ذهابه إلى الطائف مهاجراً ، وكانت أول محطة للدعوة إلى الإسلام خارج مكة ، ومقدمة للهجرة إلى المدينة .

فصحيح أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقي أشد الأذى من وجهاء ثقيف وسفائها ، وصبيانها ، إلا أنه أعلن الإسلام والدعوة إلى الإيمان في الطائف ، وقرأ القرآن في أسواقها ، وفيه انذار لهم من معركة حنين .

وبقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الطائف عشرة أيام يدعو أهلها ثم خرج منها ، وقد سالت الدماء من قدميه وليس عنده إلا الدعاء ، وهو سلاح الأنبياء ، وبعد أن مرّ بنخلة واستمع له نفر من الجن فدخلوا الإسلام. توجه إلى مكة راجعاً ، وأرسل رجلاً من خزاعة يطلب له الإجارة ، ولم يطلبها من هاشمي خاصة بعد وفاة أبي طالب ، وشدة عداوة عمه أبي لهب له ، إنما طلب الإجارة أولاً من الأخنس بن شريق الثقفي ، ولكنه قال أنه حليف ، والحليف لا يجير .

نعم هو حليف بني زهرة ، ولكن لا صحة لقوله بأن الحليف لا يجير ، إنما يجير بواسطة بني زهرة من قريش ، وكان يتصف بجلاوة اللسان ، ولكنه خبيث منافق .

(١) زاد المعاد ٢٨/٣ .

واسم الأخنس (أبي) إنما لقب بالأخنس حينما رجع ببني زهرة من بدر لما أرسل أبو سفيان إلى قريش بنجاة قافلته (فقيل: خنس الأخنس ببني زهرة فسمي بذلك ثم أسلم الأخنس فكان من المؤلفعة وشهد حيناً)<sup>(١)</sup>.

و(عن سعيد بن المسيب أن أبا سفيان وأبا جهل والخنس اجتمعوا ليلاً يسمعون القرآن سرا فذكر القصة وفيها أن الأخنس أتى أبا سفيان فقال: ما تقول قال أعرف وأنكر .

قال أبو سفيان: فما تقول أنت. قال: أراه الحق. وذكر ابن عطية عن السدي أن الأخنس جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأظهر الإسلام.

وقال: الله يعلم أنني صادق ثم هرب بعد ذلك فمر بقوم من المسلمين فحرق لهم زرعاً وقتل حمراً فنزلت ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَيْهِ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾<sup>(٢)</sup> إلى قوله ﴿وَلَيْسَ الْمُهَادُّ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن عطية: ما ثبت قط أن الأخنس أسلم<sup>(٤)</sup>.  
وقتل ابنه المغيرة بن الأخنس في معركة أحد كافراً ، قتله الإمام علي عليه السلام .

إذ ورد في حديث للإمام الصادق عن أبيه الباقر عليهما السلام قال (كان أصحاب اللواء يوم أحد تسعة قتلهم علي بن أبي طالب عليه السلام عن آخرهم، وانهمز القوم، وطارت مخزوم فضحها علي عليه السلام يومئذ.

(١) الإصابة في معرفة الصحابة ١٠/١.

(٢) سورة البقرة ٢٠٤.

(٣) سورة البقرة ٢٠٦.

(٤) الإصابة في معرفة الصحابة ١٠/١.

قال : وبارز علي عليه السلام الحكم بن الاخنس فضربه فقطع رجله من نصف الفخذ فهلك منها، ولما جال المسلمون تلك الجولة أقبل أمية بن أبي حذيفة ابن المغيرة وهو دارع وهو يقول: يوم بيوم بدر .

فعرض له رجل من المسلمين فقتله أمية، وصمد له علي بن أبي طالب عليه السلام فضربه بالسيف على هامته فنشب في بيضة مغفره ، فضربه أمية بسيفه فاتقاها أمير المؤمنين عليه السلام بدرقته فنشب فيها .

ونزع أمير المؤمنين عليه السلام سيفه من مغفره، وخلص أمية سيفه من درقته أيضا، ثم تناوشا فقال علي عليه السلام: فنظرت إلى فتق تحت إبطه فضربته بالسيف فيه فقتلته، وانصرفت عنه<sup>(١)</sup>.

وخرج الأخنس مع كفار قريش يوم معركة أحد.

وتوفى الأخنس في السنة الثالثة عشرة للهجرة .

ثم بعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى سهيل بن عمرو وهو من كبار قريش وساداتهم ، ولكنه لم يرض بالإجارة وقال : إن بني عامر لا تجير على بني كعب ، أي أن الرسول من بني كعب ، ولا أصل لإمتناعه هذا.

### إجارة المطعم للنبي (ص)

ثم بعث النبي محمد إلى المطعم بن عدي وهو رئيس بني نوفل بن عبد مناف ، وهو ممن شارك في نقض صحيفة الحصار على بني هاشم بعد ثلاث سنوات من كتابتها .

فرضي المطعم باجارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمر بنيه وقومه أن يلبسوا السلاح ويتشروا في أركان البيت الحرام ، وقال لهم إني أجرت محمداً ، وخرج نفر منهم مستقبلين النبي محمداً الذي توجه إلى المسجد الحرام واستلم ركن الحجر الأسود وصلى ركعتين.

(١) البحار ٨٧/٢٠ .

وقام (مطعم بن عدي على راحلته فنادى : يا معشر قريش إني قد أجزت محمداً فلا يهجه أحد منكم)<sup>(١)</sup>.

وانصرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى بيته ، ومات مطعم في السنة الثانية للهجرة قبل معركة بدر بسبعة أشهر على الشرك .

وفي معركة بدر حينما وقع سبعون من المشركين أسرى في يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : لو كان المطعم بن عدي حياً ثم حكمني في هؤلاء لاطلقتهم له وفاء لمعروفه ، وأسلم ابنه جبير بن مطعم .

وأراد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بابتداء دخوله مكة بالصلاة ركعتين في المسجد الحرام بيان تعاوده الدعوة إلى الله ، والفرائض العبادية التي تتقوم بالصلاة ، وأنه سيأتي وفد الحاج إلى مكة ويدعوهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإسلام وإلى نصرته ، فلم ينتهي الأمر عند ثقيف وصدودهم .

ولم تمر إحدى عشرة سنة على هذه الواقعة حتى يدخل النبي محمد مكة فاتحاً بالسلم من غير قتال ولا صلح ، وإن خرج معه إلى الطائف زيد بن حارثة ، وقيل الإمام علي عليه السلام ، فانه دخلها ومعه عشرة آلاف من أصحابه في تنظيم وضبط إيماني دقيق من غير أن يقع قتال يعتد به ، ليجتمع أهل مكة في المسجد ينظرون ما يفعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وبعد أن طاف وصلى ودخل الكعبة وصلى فيها وقف على باب الكعبة وخطب الناس (فَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ صَدَقَ وَعْدُهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ أَلَا كُلُّ مَأْثَرَةٍ أَوْ دَمٍ أَوْ مَالٍ يُدْعَى فَهُوَ تَحْتَ قَدَمِي هَاتِينَ إِلَّا سِدَانَةَ الْبَيْتِ وَسَقَايَةَ الْحَاجِّ .

أَلَا وَقَتِيلُ الْخَطَا شَبِهَ الْعَمْدَ بِالسُّوْطِ وَالْعَصَا ، فَفِيهِ الدِّيَةُ مُغْلَظَةٌ مِثَّةً مِنَ الْبَابِلِ أَرْبَعُونَ مِنْهَا فِي بَطُونِهَا أَوْلَادُهَا .

(١) ابن سعد / الطبقات الكبرى ٢١٢/١ .

يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَظْمَهَا بِالْأَبَاءِ ،  
 النَّاسُ مِنْ آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ  
 ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ  
 خَبِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>.

ثُمَّ قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تُرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ ، قَالُوا : خَيْرًا ، أَخَ كَرِيمٌ  
 وَابْنُ أَخِ كَرِيمٍ ، قَالَ أَذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطَّلَقَاءُ<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الحجرات ١٣.

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية ٤١٠/٢ .

## منافع تسمية يوم القيامة

من الخصائص التي تلتقي عندها الكتب السماوية الإيمان بيوم القيامة ،  
والمعاد والانتقال بالموت إلى عالم الثواب والعقاب لبيان أمور :  
الأول : قانون حضور الأعمال مع أصحابها يوم القيامة .  
الثاني : قانون انتفاء الفناء عن الأجساد .  
الثالث : قانون عودة الأرواح للأجساد في الآخرة .

الرابع : قانون قيام الناس بين يدي الله للحساب في الآخرة ، وفي التنزيل  
﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

ونزل القرآن بتأكيد النفخ في الصور ، وبعث الناس من القبور ،  
ووقوفهم بين يدي الله عز وجل ، قال تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ  
الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُنْسَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد ذكر ﴿الْأَجْدَاثِ﴾ ثلاث مرات في القرآن ، والأجداث : القبور .  
ولم يذكر لفظ ﴿الْأَجْدَاثِ﴾ إلا في حال خروج الناس من القبور عند  
النفخة الثانية في الصور ، وعودة الحركة والحياة ، وابتداء عالم الحساب .  
بينما ذكر لفظ القبور في حال السكون والهدوء واتصال صفة الموت ، إذ  
ذكر لفظ (القبور) خمس مرات في القرآن ، منها ما يتعلق بوصف وفتح  
القبور دفعة واحدة كما في قوله تعالى ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ﴾<sup>(٣)</sup>.

ولم ترد صيغة المفرد (جدث) بينما ورد لفظ (قبر) بصيغة المفرد في  
القرآن مرة واحدة في ذم المنافقين ، ونهي النبي محمد صلى الله عليه وآله

(١) سورة المطففين ٦ .

(٢) سورة يس ٥١ .

(٣) سورة الأنفطار ٤ .

وسلم عن الصلاة على المنافق بقوله تعالى ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وتتعدد أسماء يوم القيامة في القرآن ، وذكرت أسماء أخرى له ، واوصلها بعضهم إلى ثمانين اسماً ، ومن الآيات أن كل اسم منها له دلالات ومعاني تتضمن الزجر عن ارتكاب السيئات ، وهل الظلم والبغي والإرهاب أفعال سيئة تؤدي بصاحبها إلى العقاب يوم القيامة ، الجواب نعم .

وذكر لفظ (القيامة) سبعين مرة في القرآن ، وسميت سورة منه باسم سورة القيامة أولها ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾<sup>(٢)</sup> ، لأن الناس يقومون للحساب يومئذ .

وهل يدل هذا الاسم على منع الناس من الجلوس أو النوم في عرصات يوم القيامة ، الجواب نعم ، إلا من أنعم الله عز وجل عليه .  
وهل يصح الدعاء في الدنيا بالجلوس والنوم والأمن يوم القيامة ، الجواب نعم ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وتدعو تسمية يوم القيامة الناس إلى الإستعداد لعالم الحساب بالصلاح وفعل الخيرات ، والإمتناع عن الفساد وسفك الدماء ، وعن الإضرار بالآخرين أو بعث الخوف في نفوسهم ، إذ يجب على الإنسان السعي للسلامة من الخوف والعقاب يوم القيامة ، وإخافته للناس في الدنيا برزخ دون هذه السلامة .

(١) سورة التوبة ٨٤ .

(٢) سورة القيامة ١ .

(٣) سورة البقرة ٦٢ .

ويذكر في كتب التفسير أن (الساعة) من أسماء يوم القيامة ، والمختار أن الساعة نهاية الدنيا وابتداء عالم الجزاء ، قال تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ (١) .

سميت الساعة إذ تفاجئ الناس وهم في سعيهم اليومي ومكاسبهم فيموت الناس بالصيحة ، وتكرر لفظ الساعة في القرآن خمساً وثلاثين مرة ، وبدليل أن لفظ (الساعة) عنوان قلة الوقت بينما ورد بخصوص القيامة ﴿كَأَنَّهُمْ سِنَةٌ مِّنَّا تَعْدُونَ﴾ (٢) .

وقال تعالى ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٣) حالماً يخرج الناس من القبور يكتب المشركون ، ويفتضح الذين ارتكبوا الجرائم ، وظلموا الناس ، وأرعبوهم .

ويجتمع المعنى المتعدد للساعة بقوله تعالى ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ (٤) وقال تعالى ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٥) لبيان التباين بين يوم القيامة وبين ورود لفظ الساعة بمعنى الوقت القليل .

### القيامة اسم سورة قرآنية

من إعجاز القرآن اجتماع أمور بخصوص يوم القيامة:

الأول : كثرة أسماء يوم القيامة .

الثاني : تعدد دلالات كل اسم من أسماء يوم القيامة .

(١) سورة الأنعام ٣١ .

(٢) سورة الحج ٤٧ .

(٣) سورة الروم ١٢ .

(٤) سورة الروم ٥٥ .

(٥) سورة سبأ ٣٠ .

الثالث : كثرة ذكر أسماء يوم القيامة في القرآن .

الرابع : ورود أسماء بعض سور القرآن بذكر يوم القيامة وهي :

الأولى : سورة القيامة والتي ابتدأت بقوله تعالى ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾<sup>(١)</sup>.

الثانية : سورة الواقعة والتي ابتدأت بقوله تعالى ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾<sup>(٢)</sup>.

الثالثة : سورة الحاقة والتي ابتدأت بقوله تعالى ﴿الْحَاقَّةُ﴾<sup>(٣)</sup>.

الرابعة : سورة الغاشية والتي ابتدأت بقوله تعالى ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ

الْغَاشِيَةِ﴾<sup>(٤)</sup>.

الخامسة : سورة القارعة والتي ابتدأت بقوله تعالى ﴿الْقَارِعَةُ﴾<sup>(٥)</sup>.

السادسة : سورة التغابن والتي ابتدأت بقوله تعالى ﴿يَسْبَحُ لِلَّهِ مَا فِي

السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٦)</sup>.

السابعة : سورة الزلزلة والتي ابتدأت بقوله تعالى ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ

زُلْزَالَهَا﴾<sup>(٧)</sup>.

الثامنة : سورة الحشر والتي ابتدأت بقوله تعالى ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي

السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٨)</sup>.

(١) سورة القيامة ١.

(٢) سورة الواقعة ١.

(٣) سورة الحاقة ١.

(٤) سورة الغاشية ١.

(٥) سورة القارعة ١.

(٦) سورة التغابن ١.

(٧) سورة الزلزلة ١.

(٨) سورة الحشر ١.

التاسعة : سورة التكوير والتي ابتدأت بقوله تعالى ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾<sup>(١)</sup>.

العاشرة : سورة الإنفطار والتي ابتدأت بقوله تعالى ﴿إِذَا السَّمَاءُ

انفطرت﴾<sup>(٢)</sup>.

الحادية عشرة : سورة الإنشقاق والتي ابتدأت بقوله تعالى ﴿إِذَا السَّمَاءُ

انشقت﴾<sup>(٣)</sup>.

الثانية عشرة : سورة الدخان والتي ابتدأت بقوله تعالى ﴿حَمِمْ وَالْكِتَابِ

الْمُبِينِ﴾<sup>(٤)</sup>.

وكل اسم من أسماء يوم القيامة دعوة للمسارعة في فعل الخيرات ،  
ومناسبة للإحتراز في عالم القول والفعل ، ومناسبة لإدراك قانون قبح  
التعدي والإرهاب وإخافة الآمنين .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المدد القرآني له في  
دعوته ، ومنه ذكر القرآن ليوم القيامة وتعدد أسمائه بلغة الإنذار وكل اسم  
منها يخاطب العقول للتصديق برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم  
من غير حاجة للجوء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الغزو  
والقتال .

إذ تدعو أسماء يوم القيامة في القرآن إلى الإيمان والاستعداد لعالم  
البرزخ ويوم الحساب ، والذي يتجلى بالنطق بالشهادتين وأداء الفرائض  
العبادية .

(١) سورة التكوير ١.

(٢) سورة الإنفطار ١.

(٣) سورة الإنشقاق ١.

(٤) سورة الدخان ١-٢.

## قانون الاحتضار موعظة

المراد احتضار الميت وهو أهم من سكرات الموت ، ويشمل حضور الآخرين عند الميت ، وهو على شعب :

الأولى : حضور الملائكة عند المحتضر ، ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب .

الثانية : حضور ملك الموت : إذ يتراءى للمؤمن بأحسن صورة .

الثالثة : حضور المؤمنين والأهل .

الرابعة : مقدمة حضور الموت كما في قوله تعالى ﴿ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ ﴾<sup>(١)</sup> .

الخامسة : استعراض المحتضر ما مرّ عليه في حياته مقدمة للتوبة والإستغفار .

السادسة : استحضار العقل في إعداد الوصية .

وكأنه من المشترك اللفظي ، وهو اللفظ المتحد الذي يدل على معان متعددة ومختلفة ، ويختار الناس أسماء عديدة من المصدر الميمي مثل منتصر ، محتشم ، مقاتل ، مزيد ، ولا أحد يسمى محتضراً ، وكأنه من عمومات الحيد والكرهية عن معاني الموت .

وعن عائشة (قالت : لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو بالموت وعنده قدح فيه ماء ، وهو يدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول : اللهم أعني على سكرات الموت)<sup>(٢)</sup> .

وفيه دعوة للمسلم والمسلمة بذات الدعاء اقتدا بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وهل يصح هذا الدعاء في حال الصحة والعافية ، الجواب نعم كما يأتي التخفيف في سكرات الموت ببر الوالدين ، وصلة الرحم ، قال الإمام جعفر

(١) سورة البقرة ٢٨٢ .

(٢) الدر المنثور ١٩/٢٨٣ .

الصادق عليه السلام (من أحب أن يخفف الله عز وجل عنه سكرات الموت ، فليكن لقربته وصولاً وبوالديه باراً ، فإذا كان كذلك هون الله عز وجل عليه سكرات الموت ، ولم يصبه في حياته فقر أبداً)<sup>(١)</sup>.

وتختلف سكرة الموت من إنسان إلى آخر في مدتها قصراً أو طولاً ، وفي حال الميت ، منها الشعور بالضيق ، وعدم تعيين المكان أو الزمان أو الأفراد الذين حوله مع برودة الذراعين والساقين ، وإصابة الشفتين وأصابع اليدين والقدمين باللون الأزرق .

ليبان ضعف ووهن الإنسان ، ويلزم الحاجة إلى الدعاء في أيام الصحة والعافية بالرأفة في قبض الروح وحسن مغادرة الدنيا ، والتخفيف من سكرات الموت .

وتستحب قراءة القرآن عند الميت وذكر الله والصلاة على رسول الله ، وعدد من الأدعية المخصوصة .

والمكروهات عند حضور احتضار الميت :

الأول : يكره حضور الجنب والحائض عند المحتضر لان الملائكة تتأذى بحضورهما باستثناء حالة الضرورة المؤقتة (بالاسناد عن علي بن أبي حمزة قال: قلت لابي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام -المرأة تقعد عند رأس المريض وهي حائض في حد الموت .

فقال (لابأس أن تمرضه فاذا خافوا عليه وقرب ذلك فلتتنح عنه وعن قربه فان الملائكة تتأذى بذلك)<sup>(٢)</sup>.

وذكر العلة وهي تأذي الملائكة هل موضوع الحديث خاص بالمؤمن الميت أم أنها عامة ، المختار أنها عامة ، وان الأذى متعلق بحضور الحائض بصفة الحيض ، من غير اعتبار لموضوع الايمان .

(١) الطوسي / الأمالي / ٤٩١/١ .

(٢) الوسائل / ١٢٧/١ طبعة حجرية.

نعم على المؤمنين العمل طبق وظيفتهم بمنع بقائها ساعة الوفاة قدر الإمكان ومن غير حرج ، لعدم الحرمة في بقائها إنما هي الكراهة.

الثاني : يكره أن يمسه من يكون عنده حاضراً لأن ذلك يزيده ضعفاً ويسبب له الأذى وهو في النزاع وقد يسبب له المس انشغالاً عن مستلزمات استقبال الموت من الذكر والاستغفار، والإصغاء إلى التلقين بكلمة التوحيد وتلاوة القرآن وكلمات الفرج ، وترديد المحتضر لها مع الإمكان .

الثالث : ترك المحتضر منفرداً يواجه النزاع وسكرات الموت لما فيه من مظاهر الجفاء ساعة التوديع ولأنه يضاعف آثار الوحشة ويحرم الميت من الإعانة في الذكر والتلقين ونحوه .

و(عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال : لا تدعن ميتك وحده، فان الشيطان يعبث في جوفه)<sup>(١)</sup>.

الرابع : البكاء عنده ، والصراخ وكثرة الكلام في غير الذكر.

الخامس : حضور الذين يتولون إعداد الموتى وتجهيزهم ودفنهم عنده ، ينتظرون مغادرة روحه الجسد.

من خصائص أحكام الإسلام صيغة الشمول بتغشيتها لأحوال الإنسان من حين الولادة وإلى ساعة مغادرته الحياة الدنيا بما فيه نفعه وصلاحه في الدنيا ونجاته في الآخرة .

### سجود الملائكة لآدم تأسيساً للسلام

لقد خلق الله عز وجل آدم عليه السلام في الجنة ، ونفخ فيه من روحه إكراماً له ، ولترى الملائكة الخصوصية والمنزلة الرفيعة لآدم من جهات :

الأولى : النفخ فيه من روح الله عز وجل والذي لم تنله الملائكة.

الثانية : تعليم آدم الملائكة الأسماء كلها ، وهل من موضوعية لنفخ

الروح فيه بهذا التعلم ، الجواب نعم من وجوه :

الأول : أهلية الإنسان للتعلم .

(١) من لا يحضره الفقيه ٢٦/١٢ .

الثاني : النفخ في الروح سبب لتعلم الإنسان ما فيه نفعه في الدارين .  
الثالث : قال تعالى ﴿ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن معاني النفخ في آدم من روح الله لإصلاح الأنبياء لتلقي الوحي والتنزيل ، لذا فإن أول آية نزلت على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هي ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

ليبان أن القراءة قراءة إيمانية تؤدي بصاحبها إلى الرشاد والفلاح ، والمختار أن النسبة بين التعلم والقراءة عموم وخصوص مطلق ، وقد يأتي التعلم من غير قراءة وقيدت الآية القراءة بأنه باسم الله .  
 ومن القراءة في الآية أعلاه الخلق العظيم الذي يتصف به النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومبادرته إلى العفو والرحمة ، وسماعه للناس ، قال تعالى ﴿ هُوَ أَذُنٌ قُلُّ أذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾<sup>(٣)</sup>.

وبعد أن عجز الملائكة عن معرفة أسماء الأشياء والمسميات التي سألهم الله عز وجل عنها بأمر الله عز وجل لآدم عليه السلام بتعليم هذه الأسماء ، قال تعالى ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

الثالثة : رؤية الملائكة لآدم وحواء معهم في الجنة ، وهما جنس غريب يمتاز بالعقل والاختيار ، وبصورة واحدة ثابتة من جهة البدن بأحسن هيئة .  
 وهل في قوله تعالى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾<sup>(٥)</sup> حجة على الملائكة ، ومقدمة لأمرهم بالسجود لآدم ، وتخفيف عنهم في المبادرة

(١) سورة السجدة ٩ .

(٢) سورة العلق ١ .

(٣) سورة التوبة ٦١ .

(٤) سورة البقرة ٣٣ .

(٥) سورة التين ٤ .

للإستجابة في هذا الأمر ، وتعزيد لتعليمه لهم الأسماء في إكرام آدم ، والإقرار بعلو مرتبته وأهليته للخلافة في الأرض ، الجواب نعم .

الرابعة : سجود الملائكة لآدم عليه السلام بأمر من الله عز وجل ، ليكون خلق آدم في الجنة ، وسجود الملائكة له دعوة لبني آدم للشكر لله عز وجل بطاعته في أداء الفرائض العبادية ، ولتعاهد الخلافة في الأرض بالأخوة الإيمانية والسلم الأهلي ، والإمتناع عن الظلم والعنف والتعدي .  
لقد أكرم الله عز وجل آدم وذريته بسجود الملائكة له طاعة لله ، إذ اتخذوه قبله لهم ليتعاهد بنو آدم هذه المنزلة والشأن العظيم بالإحترام من سفك الدماء .

ولما شاع القتل وسفك الدماء في الجزيرة العربية بالغزو والتعدي والظلم مع النهب والسرقه والنهب بعث الله النبي محمداً ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>  
فقطع الغزو بين القبائل ، وصاروا إخوة يسألون عن أمور دينهم ، قال تعالى  
﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾<sup>(٢)</sup>.

### الشهر الحرام سلام

قال تعالى ﴿ إِنِّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ﴾<sup>(٣)</sup>.

ومن الإعجاز القرآني العام أن الأمم تعتمد حساب السنة اثني عشر شهراً ومنها التقويم الإسلامي والميلادي ، والسنة الصينية التي تعتمد التقويم الشمسي القمري ، وكذا السنة الفارسية، باستثناء بعض الطوائف المتفرقة او القليلة وهو من مصاديق قول النبي محمد صلى الله عليه وآله

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٢) سورة الحجرات ١٠.

(٣) سورة التوبة ٣٦.

وسلم (إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصْرَفُ كَيْفَ يَشَاءُ .  
 ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ مُصْرَفِ الْقُلُوبِ اصْرِفْ قُلُوبَنَا إِلَى طَاعَتِكَ<sup>(١)</sup>).

ليبين النبي محمد المعجزات الكونية ثم الإنتفاع منها ، ومن مناسبتها .  
 لما فيه هداية الناس في الواقع اليومي لمشيئة الله تعالى .  
 والأشهر الحرم هي ذو القعدة ، ذو الحجة ، ومحرم متصلة ، وشهر رجب منفصل عنها .

وسمى العرب شهر رجب لأنه يُرجب أي يعظم لحرمة القتال فيه ،  
 وإنقطاع الغزو بين القبائل فيه ولا يسمعون فيه قعقة السلاح فتنام العوائل بأمن في ليالي رجب وما أن يأتي شعبان حتى يبدأ الغزو .  
 فبعث الله عز وجل النبي محمداً لتثبيت الأمن في الجزيرة طيلة ليالي وأيام السنة ، وهو من خصائصه ومعجزاته .

ومن عادة العرب الإكثار من الأسماء للأمر والشئ المهم ، مثلاً للسيف عندهم أكثر من ثلاثمائة اسم ، نعم أسماء كثيرة منها تختص بصفات معينة للسيف .

منها الصارم ، الحسام ، الصمصامة ، المقضب ، اليماني ، البارقة ، الجرار ، الفطار ، المهند ، الكهام وهو السيف الكليل الذي لايقطع غير الحاد ، أو ذهب حده ، وهو ضد البتار والحسام .

وقد تغنى الشعراء والأدباء بالسيف وصفاته منها أنه في الظلام قبس ، وفي الخلاء أنس ، وفي السفر رفيق ، وفي الحضر أخ رقيق .

ومع هذا نزل القرآن وليس فيه كلمة سيف ، مع أن مجموع كلماته (٧٧٤٣٩) كلمة ، ويشمل الأحكام والأمور العامة .

(١) مسند أحمد ٣١٩/١٣ .

نعم سمى شطر من العلماء والمفسرين آية من آيات القرآن بأنها آية  
السيف وهو قوله تعالى ﴿فَإِذَا أُنْسِلِحَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ  
وَخُذُوهُمْ وَأَخْضِرُواهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا  
سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن أسماء شهر رجب :

الأول : شهر رجب الأصب : للقول بأن الرحمة تصب فيه صباحاً.

الثاني : الأصم : فلا تسمع فيها أصوات السلاح والغزاة ، وطبول

الحرب ، ولا تسمع فيها استغاثة بسبب الغزو والغدر .

الثالث : رجم : لأن الشياطين ترجم فيه أي تطرد .

الرابع : الشهر الحرام : وحرمة رجب من قبل الإسلام ، وهي مناسبة

لنشر النبي صلى الله عليه وآله وسلم مبادئ الإسلام وتلاوته القرآن بين

الناس بأمن من كفار قريش .

الخامس : المقيم : لإستدامة حرمة .

السادس : المعلى : لرفعته عند العرب .

السابع : شهر رجب مضر : لأن قبائل مضر ومنهم قريش كانت تعظمه

، وهذا الاسم ورد في الحديث النبوي .

إذ ورد (عن أبي بكره : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطب في

حجته ، أي حجة الوداع .

فقال : ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض

، السنة اثنا عشر شهراً : منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات ذو العقدة ، وذو

الحجة ، والمحرم ، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان)<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة التوبة ٥.

(٢) الدر المنثور ٦٢/٥ .

ولقاعدة تقديم الأهم على المهم فإن الأهم هو استثمار أيام وليالي رجب للعبادة بالصيام والذكر والإستغفار والدعاء المأثور وغير المأثور ، والصدقة على الفقراء وأعمال البر والصلاح .

وقد ذكرت في الجزء السابع بعد المائتين أن الطرق إلى الجنة أكثر من الطرق التي تسوق صاحبها إلى النار .

### هلال رجب

﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾<sup>(١)</sup>.

لقد كثر السؤال عن أول شهر رجب من العراق وخارجه ، ومن المعتمرين ليفوزوا بعمرة رجب ، والجواب المدار على رؤية الهلال كما في الآية أعلاه .

نعم الحسابات الفلكية في هذا الزمان شبه دقيقة إلا أنها لا تصلح أن تكون بديلاً عن البينة الشرعية ، شاهدين عدلين رأيا الهلال بعد الغروب . وتفيد هذه الحسابات تعذر رؤية الهلال في العراق وفي الشام وفي دول الخليج بالعين المجردة .

ويكون يوم غد الأحد إكمالاً للعدة لمن بدأ شهر جمادى الآخرة يوم السبت الثاني والعشرين من شهر تشرين الثاني . وإن شاء الله يكون يوم الإثنين الثاني والعشرون من هذا الشهر أول أيام شهر رجب .

وقد وردت نصوص في فضل رجب ومستحباته عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار .

منها صيام يوم أو ثلاثة أو ثمانية أيام من شهر رجب ، وأداء العمرة في شهر رجب ، ومضاعفة الأجر للصدقة والحسنة في شهر رجب .

وشهر رجب هو السابع من الأشهر القمرية ، وهو أحد الأشهر الأربعة الحرم ، قال تعالى ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ فَلَا تَظْلُمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا  
الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُفَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١﴾.

وجاءت ثلاثة أشهر حرم متصلة وهي شهر ذي القعدة وشهر ذي الحجة  
وشهر محرم .

وأما رجب فهو منفرد ويقع بين شهر جمادى الآخرة وشهر شعبان .  
ليبان فضل الله عز وجل بأن يكون في وسط السنة أيضاً شهر حرام لا  
يجوز فيه الإقتال .

وسمي شهر رجب الأصم فلا تسمع فيه قعقة سلاح ولا استغاثة امرأة  
تتعرض للسبي أو ابناؤها .

وحرمة هذه الأشهر الأربعة سابقة لزمان بعثة النبي محمد صلى الله عليه  
وآله وسلم ليأتي القرآن بتوثيق هذه الحرمة إلى يوم القيامة ، وينهى عن  
الظلم فيهن .

ويحرم النسئ وهو التلاعب بأوان بداية الأشهر والزيادة في بعضها  
لاستمرار القتال وأخذ الثأر ، وفي هذا التحريم مسائل :

الأولى : إنه من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثانية : بيان قانون النفع العام للآية القرآنية .

الثالثة : ضبط أنظمة المواقيت بين الناس بما أراد الله عز وجل لهم .

الرابعة : تجلي منافع نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالإمتناع عن  
القتال في الأشهر الحرم إلى يوم القيامة .

الخامسة : اجتماع المعجزة الحسية والعقلية بقطع النبي محمد صلى الله  
عليه وآله وسلم للنسئ .

وفي قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾<sup>(٢)</sup> (أخرج ابن أبي حاتم  
عن أبي وائل قال : كَانَ النَّاسِي رَجُلًا مِنْ كِنَانَةَ ذَا رَأْيٍ يَأْخُذُونَ مِنْ رَأْيِهِ

(١) سورة التوبة ٣٦ .

(٢) سورة التوبة ٣٧ .

رأساً فيهم ، فكان عاماً يجعل المحرم صفراً فيغيرون فيه ويستحلونه فيصيون فيغنون ، وكان عاماً يجرمه<sup>(١)</sup> .

وعن ( ابن عباس قال : كان جنادة بن عوف الكتاني يوفي الموسم كل عام ، وكان يكنى أبا ثمادة فينادي : ألا أن أبا ثمادة لا يخاف ولا يعاب ، ألا إن صفر الأول حلال .

وكان طوائف من العرب إذا أرادوا أن يغيروا على بعض عدوهم أتوه فقالوا : أحل لنا هذا الشهر - يعنون صفر - وكانت العرب لا تقاتل في الأشهر الحرم فيحله لهم عاماً ويجرمه عليهم في العام الآخر .

يحرّم المحرم في قابل ﴿لِيُؤَاطَبُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾<sup>(٢)</sup> يقول : ليجعلوا الحرم غير أنهم جعلوا صفراً عاماً حلالاً و عاماً حراماً<sup>(٣)</sup> .

وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يظهر السرور عند رؤية هلال رجب ، ويتوجه إلى الله عز وجل بالدعاء .

وعن (أنس : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا دخل رجب قال : اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان)<sup>(٤)</sup> .

ليبان إكرام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأفراد الزمان الطولية ، وإتخاذ تقادم الأيام مناسبة للدعاء وسؤال البركة من عند الله عز وجل ، وسعي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صيانة الأشهر الحرم ، وإجتنب القتال فيها ليكون حال السلم السمة الدائمة بين الناس .

وقال تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلُوبِهِمْ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾<sup>(٥)</sup> .

(١) الدر المنثور ٦٧/٥ .

(٢) سورة التوبة ٣٧ .

(٣) الدر المنثور ٦٧/٥ .

(٤) الدر المنثور ٣٦٨/١ .

(٥) سورة البقرة ١٨٩ .

لقد جعل الله عز وجل تبدل هيئة القمر ومنازله آية كونية تدعو الناس للإيمان ، وفيه بهجة لهم ، وتحسين للمزاج ، وهو من أسباب اللطف والمودة العامة ، وضبط أوان العبادات كالصيام ، والحج ، والمعاملات التي تستلزم الحساب ، وللوقت موضوعية فيها ، لذا قال تعالى في الأهلة أنها ﴿مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾<sup>(١)</sup> ، لبيان قانون الملازمة بين الآيات الكونية والعبادات .

وإذا ثبت الهلال في بلد يثبت في بلد آخر يجمعهما ليل واحد ، وقال جمع من الفقهاء لكل بلد رؤيته بقاعدة اختلاف مطالع الهلال . وكان العرب يعظمون شهر رجب لأنه من الأشهر الحرم وجاء الإسلام فزاده فضلاً .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ألا إن رجب شهر الله ، وشعبان شهري ، ورمضان شهر امتي)<sup>(٢)</sup> .

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ رأى هلال رجب يقول (اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ، ربي وربك الله عز وجل . وروي أنه عليه السلام كان إذا رأى هلال رجب قال : اللهم بارك لنا في رجب وشعبان ، وبلغنا شهر رمضان ، وأعنا على الصيام والقيام ، وحفظ اللسان ، و غص البصر ، ولا تجعل حظنا منه الجوع والعطش)<sup>(٣)</sup> .

### **معركة بدر السبب والنتيجة**

سبب معركة بدر ليس تعرض النبي محمد وأصحابه لقافلة أبي سفيان ، بل السبب هو سعي قريش للإجهاز على الإسلام وقتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ووقف التنزيل ، قال تعالى ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ

(١) سورة البقرة ١٨٩ .

(٢) الوسائل ٤٧٦/١٩ .

(٣) البحار ٣٧٦/٩٥ .

عَلَى مُكْتٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً ﴿١﴾ ، ولم يرد لفظ (لتقرأه) ولفظ ﴿مُكْتٍ﴾ إلا في الآية أعلاه :

لقد أرسل أبو سفيان رئيس القافلة ضمضم بن عمرو رسولاً إلى قريش بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه يتعرضون للقافلة فانفروا لإتقاذ القافلة ، فجعلوا خروجهم في ثلاثة أيام أصلحوا فيها عدتهم والظهر للخروج .

وكعملية حسابية أن هذا الرسول ضمضم بن عمرو وصل إلى مكة بثلاثة أيام ، وثلاثة أخرى تجمع قريش العدة والسلاح ، والمسافة من مكة إلى معركة بدر ثلاثمائة كيلو متر مما يلزم نحو خمسة أيام لوصول الجيش إلى بدر لثقل وبطئ حركة الجيش .

فيكون المجموع أحد عشر يوماً ولو كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد تعرض للقافلة لاستولى عليها ، ودخلت المدينة قبل أن يصل جيش قريش إلى موضع بدر والذي لا يبعد عن المدينة إلا مائة وخمسين كيلو متر . فتجهزت قريش سراعاً ولم يتخلف من أشرافهم أحد إلا أبا لهب وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ، وعزم أمية بن خلف الجمحي على القعود ، فقد كان شيخاً ثقيلاً بطيئاً وبينما هو جالس في المسجد الحرام بين ظهراي قومه أتاه عقبة بن أبي معيط بمجمرة فيها نار وما يتبخر به .

و(قال: يا أبا علي استجمر، فإنما أنت من النساء. فقال: قبحك الله وقبح ما جئت به) (٢) ، وتجهز وخرج معهم . وعزم عتبة بن ربيعة أيضاً على القعود فقال له أخوه شيبه: إن فارقتنا قومنا كان ذلك سبة علينا، فامض مع قومك، فمشى معهم .

(لتكون الأسماء الأربعة أعلاه من بين القتلى على الشرك يوم بدر) .

(١) سورة الإسراء ١٠٦ .

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية ٦١٠/١ .

ولكن القافلة سلمت ولم يتعرض لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولو أراد التعرض لعلم موقعها بالوحي من عند الله وأخبار الركبان وتصدى لها .

ثم أرسل أبو سفيان إلى قريش: إنكم إنما خرجتم لتمنعوا غيركم ورجالكم وأموالكم؛ فقد نجاها الله، فارجعوا .

فقال أبو جهل ابن هشام: والله لا نرجع حتى نرد بدرأ - وكان بدرٌ موسماً من مواسم العرب، تجتمع لهم بها سوق كل عام - فنقيم عليه ثلاثاً، وننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب ، فلا يزالون يهابوننا أبداً؛ فامضوا<sup>(١)</sup>.

فظاهر كلامه أنه صرف النظر عن القتال ولكن عندما رأت قريش النبي محمداً وأصحابه اصطفت للقتال ، وأرادوا استئصال المسلمين الذين كان عددهم أقل من ثلث عدد جيش قريش ، وليس عندهم من السلاح والمؤن ما يكفي .

وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يرغب بعدم وقوع القتال ، وأمر أصحابه بعدم الإبتداء بالقتال ، وبالصبر إذا تم التعدي عليهم ، وكان يأمل إنصراف جيش المشركين.

### دروس معركة بدر

إن تسمية معركة بدر في القرآن ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾<sup>(٢)</sup> دعوة للعلماء في كل زمان لإستقراء المواعظ والدروس منها ، وهل ما استنتج واستقرأ منها إلى الآن هو الأكثر أم الأقل ، الجواب هو الثاني ومنها:

الأول : المدد والعون من عند الله عز وجل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهل ينحصر هذا المدد بنزول الملائكة كما في قوله تعالى ﴿إِذْ

(١) تاريخ الرسل والملوك ١/٤٤٤.

(٢) سورة الأنفال ٤١.

تَسْتَعِينُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابْ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴿١﴾ ،  
الجواب لا .

الثاني : قانون لزوم ثبات المسلمين في منازل الإيمان .

الثالث : قانون زجر عامة المشركين عن التعدي على المسلمين .

الرابع : إتخاذ الدعاء سلاحاً في ميدان القتال .

ولقد أنقطع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليلة معركة بدر إلى الدعاء والصلاة ، وعن الإمام علي عليه السلام (ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي تحت الشجرة حتى أصبح) (٢) .

الخامس : بيان قانون لزوم امتناع المسلم عن الإبتداء بالإضرار بالناس تأسياً برسول الله ، ومن باب الأولوية ، فإذا كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يتحمل أذى المشركين ، ويتلقاه بالصبر والحلم .

فلا يصح الخروج على القوانين والأعراف والتعدي على الناس وأموالهم ، ولا نشر الخوف والرعب بينهم لقانون الملازمة بين الإيمان وإشاعة الأمن .

### معجزة السلامة من الأسر

لقد أنعم الله عز وجل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بانفراده من بين الأنبياء والرسل بالمعجزة العقلية وهو آيات القرآن ، فكل آية معجزة بذاتها ، ومعجزة بصلتها مع آيات القرآن الأخرى .

وإلى جانب المعجزة العقلية رزق الله عز وجل النبي محمداً المعجزة الحسية المتعددة ، وقد قسمت معجزاته إلى ثلاثة أقسام:

الأول : المعجزات الحسية .

الثاني : المعجزات العقلية وهي آيات القرآن .

(١) سورة الأنفال ٩ .

(٢) الدر المنثور ٤/٤٢٢ .

الثالث : المعجزات الحسية العقلية ، كالإسراء والمعراج وتوثيقه في القرآن.

وهناك معجزة حسية جليلة ، لم تذكر في باب المعجزات وهي عدم وقوع أسير من المسلمين عند المشركين في معارك الإسلام الأولى مع أن رجحان الكثرة في العدد والعدة والسلاح والخيل فيها للمشركين ونجاة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة من الأسر من مصاديق مكر الله في قوله تعالى ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾<sup>(١)</sup> ، وهو آية من فضل الله ، وشاهد على المدد الإلهي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه . وأوجه سؤالاً مستحدثاً في تأريخ الإسلام وهو هل انعدام وقوع أسير من المسلمين بيد المشركين من مصاديق نزول الملائكة لنعصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في قوله تعالى ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُدْعِمَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزِلِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

المختار نعم ، لأن نجاة الصحابة من الأسر وقع خلاف قانون العلة والمعلول ، والسبب والمسبب ، فقد كان المشركون هم الغزاة في معركة بدر ، وأحد ، والخندق ، وحنين ، وهم الأكثر عدداً وعدة وكونهم الغزاة خلاف للمتعارف والمتوارث عند علماء التفسير والسيرة ، وما علمونا في المدارس بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الغازي .

### صدر الجزء (270) من معالم الإيمان

لقد صدر بفضل من الله الجزء السبعون بعد المائتين من كتابي الموسوم (معالم الإيمان في تفسير القرآن) ويختص بقانون (التضاد بين القرآن والإرهاب) وهو الجزء العشرون من هذه السلسلة .

ومن مواضعه قانون النبي محمد (ص) حارب كرهاً ومنه مسألتان :

(١) سورة الأنفال ٣٠.

(٢) سورة آل عمران ١٢٤.

**الأولى :** ذكر معركة بدر شاهداً على أن النبي محمداً لم يقصد القتال.  
**الثانية :** اتخاذ وقائع معركة بدر التي هي أول معارك الإسلام دليلاً على قانون امتناع المسلم عن القتال وعن الإبتداء باستعمال السلاح مع المشركين. والمتعارف في كتب السيرة والتفسير أن سبب هذه المعركة هو إرادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الإستيلاء على قافلة أبي سفيان القادمة من الشام ، وكان عدد إبل التجارة فيها ألف بعير وهي محملة بالبضائع ومنها الذهب والفضة والقماش والقطن ، والحنطة والشعير ، وفيها ثلاثون رجلاً من قريش وقيل أربعون إلى جانب العبيد .

وليس من بيت من بيوت مكة إلا وله مشاركة في هذه القافلة ، وكان الأمر مدبر لتحريض الناس على قتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنهم يترصدون خروجه وأصحابه من المدينة في كتائب وسرايا . ولم يكن خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه لقتال ، إنما لبيان منعة الإسلام ، وكثرة أعداد المسلمين والصلاة في الجادة العامة وعند أفواه القرى .

### **قانون الاختلاف بين تدبير الكفار والنتائج**

لقد رزق الله عز وجل الإنسان العقل ليسخره في التخطيط والإحصاء والحساب بما فيه النفع الخاص والعام ، ولكن الذين كفروا اتخذوا ما عندهم من الجاه والمال والسلاح لمحاربة النبوة والتنزيل . ولم يتعظ كفار هوازن وثقيف من هزيمة قريش وحلفائها ، لبيان قانون الكفر برزخ دون الإعتاظ .

و(قال ابن إسحاق: ولما سمعت هوازن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما فتح الله عليه من مكة جمعها ملكها مالك بن عوف النصرى، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها واجتمعت نصر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من بنى هلال، وهم قليل، ولم يشهداها من قيس عيلان إلا هؤلاء.

وغاب عنها ولم يحضرها من هوازن كعب وكلاب، ولم يشهدا منهم أحد له اسم<sup>(١)</sup>.

فجهزوا الجيوش العظيمة لقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأغرتوا بكثرتهم، وأملوا النصر بعنصر الكمين والهجوم المفاجئ على المسلمين. والكمين منهاج عسكري قديم يزاول في المارك والحروب يتقوم بالتخطيط والاختفاء والتواري لمباغته العدو بهجوم سريع ومنظم من جهة وموضع لا يقطن إليه.

فالكمين فخ للإنتقضاض على العدو خاصة إذا كان متحركاً فاغتر مالك بن عوف رئيس هوازن وثقيف بخطط مباغته النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، قال تعالى ﴿بَلِّغْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

لقد بث مالك بن عوف العيون في مكة وحواليها لمعرفة أوان سير النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، وعلموا بخروجهم من مكة والمواطن التي صلوا فيها فريضة الصلاة أثناء مسيرهم.

إذ خرج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من مكة في السادس من شهر شوال وبلغ حنين في العاشر منه، كمنوا لهم في شعب وأودية حنين ليهجموا عليهم في عماية الصبح أي في بقية ظلمة الليل قبل أن ينكشف ضياء الشمس.

ولابد أن يحصل الإرتباك عند الطرف المهاجم الأول من المسلمين بعد أن تفاخروا بكثرة عددهم، وهذه الطلائع من بني سليم، ثم إنهم أهل مكة مع بقية الناس، وثبت النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مكانه وانزاح قليلاً إلى اليمين.

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٦١٠/٣.

(٢) سورة الرعد ٣٣.

ويصعب على المنهزم في ميدان المعركة التدارك وتحويل الهزيمة إلى نصر إلا في القليل ، لذا تحرص الجيوش في المواجهة على الثبات والهجوم في بدايات المعركة .

لقد كان عدد جيش المسلمين اثني عشر ألف رجل ، وقال ابن إسحاق (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ حِينَ فَصَلَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى حَنِينٍ ، وَرَأَى كَثْرَةَ مَنْ مَعَهُ مِنْ جُنُودِ اللَّهِ لَنْ نُغْلِبَ الْيَوْمَ مِنْ قَلَّةٍ . قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَزَعَمَ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي بَكْرِ قَالَهَا) (١) ونسب ابن كثير هذا القول إلى أبي بكر .

والمختار أن القائل (لن تغلب اليوم من قلة) أكثر من واحد من عموم الصحابة لصيغة الجمع في الآية ﴿إِذَا عَجَبْتُمْ كَثْرَتَكُمْ﴾ (٢) وأنه ليس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولعل بعض الصحابة قارن بين قلة عددهم في معركة بدر ، ومعركة أحد ، مع كثرتهم في معركة حنين ، سواء كان ممن حضر معركة بدر أو لا .

وقد ورد الثناء على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في معركة أحد بقوله تعالى ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُدْعِمَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾ (٣) .

إذ تضمنت الآية إخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بنزول الملائكة لنصرتهم في ساعة الشدة ، ونعتت الصحابة بأنهم مؤمنون . وهل في الآية تعريض بالمنافقين الذين أنزلوا من وسط الطريق إلى أحد وعددهم ثلاثمائة برئاسة عبد الله بن أبي بن أبي سلول ، الجواب نعم ، وقد حرموا أنفسهم من مرتبة الدفاع عن النبوة والتزليل وعن الفوز بنصرة ثلاثة آلاف ملك يومئذ .

(١) الروض الأنف ٤/٢١٤ .

(٢) سورة التوبة ٢٥ .

(٣) سورة آل عمران ١٢٤ .

لقد أحكمت هوازن وثقيف المخطط ونسقت الكمائن ، وتوقيت الهجوم بفن لم يعهد المسلمون ملاقاته ، ولكن مكر الله عز وجل أعظم ، فخاب سعي الذين كفروا وصاروا بين منهزم وقتيل وأسير إلى جانب وقوع عوائلهم سبايا ، وأنعامهم غنائم وهو من الخزي ، قال تعالى ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

### حرمة الإنتحار

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أمور :  
الأول : تجلي جريان المعجزات بوضوح على يديه في الحل والترحال .  
الثاني : إصدار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الأحكام في حال السلم والحرب .

الثالث : قانون بعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين على التفقه في الدين .

الرابع : تأكيد لزوم الحفاظ على النفوس ، وحرمة تعريض النفس للتهلكة ، وهو من عمومات قوله تعالى ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾<sup>(٢)</sup> .  
 وأثناء القتال في معركة حنين ذكر الصحابة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن رجلاً من المسلمين (قاتل قتالاً شديداً حتى اشتدت به الجراح. فذكر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: من أهل النار .  
 فارتاب المسلمون من ذلك، ووقع في أنفسهم ما الله به عليهم، فلما اشتد به الجراح أخذ مشقصاً من كنائه فانتحر به، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلالاً أن ينادي: ألا لا دخل الجنة إلا مؤمن، وأن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر)<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة المائدة ٤١.

(٢) سورة البقرة ١٩٥.

(٣) مغازي الواقدي ١/٩١٨.

وفي الحديث نهي عن الإنتحار ، وأنه من الفجور ، وعاقبته النار ، وإن اجتهد صاحبه في سبيل الله ، لأن الإنتحار من سوء العاقبة .

وهذا النهي النبوي عن الإنتحار ، وبيان قبحه وضرره من مصاديق فضل الله عز وجل في بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ورد الله عز وجل على الملائكة ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup> حين قالوا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾<sup>(٢)</sup> .

ولا يعلم منافع التنزيل والسنة في المنع من القتل والإنتحار إلا الله عز وجل ، إذ انتفع مئات الملايين من الناس منه ، سواء بالنجاة من القتل مباشرة أو بالسلامة من القتل ، وإنجاب الأولاد ثم الأحفاد وكثرة العقب ، وهو الذي يتبين للناس يوم القيامة بالوقائع والأسباب ، والموانع وكيفيتها ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَأَخْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾<sup>(٣)</sup> .

واستعمل المسلمون المنجنيق في حصار الطائف عمله سلمان الفارسي بيده ، وفي رواية أن خالد بن سعيد بن العاص جاء بالمنجنيق ودبابتين من جرش .

### قانون الإنتفاع العام من الآية القرآنية

اثناء سير النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقبل بلوغ حين جاءه سهل بن الحنيفة الأنصاري وأخبره بأن طائفة من الصحابة تقطعوا من وراء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصارت مسافة بينهم فنزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لصلاة العصر ، وليتحقق به المتخلف خاصة ، وأن منهم مشاة . وجاء فارس (فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي انْطَلَقْتُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيكُمْ عَلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا ، فَإِذَا بِهِوَازِنَ عَلَى بَكْرَةٍ أَبِيهَا بَطْنُهَا وَنِسَائُهَا وَنَعْمَهَا فِي وَادِي

(١) سورة البقرة ٣٠ .

(٢) سورة البقرة ٣٠ .

(٣) سورة الجن ٢٨ .

حَنِينٍ . فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ تِلْكَ غَنِيمَةُ الْمُسْلِمِينَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ<sup>(١)</sup>.

للبشارة بالوحي ، ولمنع ديب الخوف لقلوب الصحابة أو حدوث الإختلاف بينهم .

ولبيان معجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومقدمة لنزول السكينة عليه وعلى المؤمنين يومئذ ، إذ قال تعالى ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وذكرت الآية أعلاه خصوص المؤمنين ليخرج المنافقون والمؤلفة قلوبهم من أهل مكة الذين صاحبوا النبي محمداً طمعاً في الغنائم ، ولرؤية ما تؤول إليه الحرب ، ولمن تكون الدائرة منهم حكيم بن حزام ، وأبو سفيان بن حرب ، وحويطب بن عبد العزى ، وصفوان بن أمية الذي كان على كفره للمدة التي جعلها له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وكانوا خلف الناس واضطربوا لما انهزمت السرايا الأولى من المسلمين ، وأظهروا الضغائن .

وأعلنوا الشماتة بالمسلمين ، وتوقعوا هزيمتهم ، مما يدل بالدلالة التضمنية على أنهم لم يقاتلوا يوم حنين ، ومع هذا جعل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لهم سهماً في الغنائم للآية القرآنية ولتألف القلوب .

### **قانون ترجيح الذكر على القتال**

لقد وردت النصوص والأحاديث النبوية التي تبعث على ذكر الله عز وجل وتبين فضائله وما فيه من النفع في النشاطين ، وأظهرت بعض النصوص رجحان وأفضلية الذكر على القتال .

(١) مغازي الواقدي ١/٨٩٣.

(٢) سورة التوبة ٢٦.

وفيه ترغيب بأداء الفرائض اليومية الخمسة في الصلاة ، وانتظار شهر رمضان للفوز بصيامه ، لذا يستقبله المسلمون بالغبطة والسعادة ، فهو جهاد في سبيل الله بالأبدان ، والإمتناع عن الطيبات في أيامه ، لذا جاء الحكم بوجوده في القرآن ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

وعن (سالم بن أبي الجعد قال : قيل لأبي الدرداء : إن رجلاً اعتق مائة نسمة قال : إن مائة نسمة من مال رجل لكثير ، وأفضل من ذلك وأفضل إيمان ملزوم بالليل والنهار أن لا يزال لسان أحدكم رطباً من ذكر الله . وأخرج أحمد والترمذي وابن ماجه وابن أبي الدنيا والحاكم وصححه والبيهقي عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عداءكم فتضربوا أعناقهم؟ قالوا : بلى . قال : ذكر الله .

وأخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يقول : إن لكل شيء صقالة وإن صقالة القلوب ذكر الله ، وما من شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله . قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال : ولو أن يضرب بسيفه حتى ينقطع .

وأخرج البزار والطبراني والبيهقي عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من عجز منكم عن الليل أن يكابده ، وبخل بالمال أن ينفقه ، وحين غدر العدو ان يجاهده فليكثر ذكر الله<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة البقرة ١٨٣.

(٢) الدر المنثور ١/٢٩٨.

ليان موضوعية الذكر في إصلاح الحال ، والدعاء في إزاحة أسباب الأذى والعناء ، قال تعالى ﴿ قُلْ مَا يَعْزُبُ عَنْكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ (١).

### قانون مقابلة التهديد بالذكر

قال تعالى ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ (٢).

عندما كانت قريش قبل وبعد معركة بدر تكثر من بعث رسائل التهديد للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من المهاجرين والأنصار لم يرد النبي صلى الله عليه وآله وسلم على التهديد بالمثل ، ولم يعسكر المدينة ، ويجعل أزقتها محلاً للتمرين والتدريب على السلاح ، ولم يقيم بجباية الأموال من أهلها لشراء الخيل والسلاح خاصة مع قلة ما في أيدي المسلمين منه ، والذي وثقته آية بيدر بقوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ نَصْرُكَ اللَّهُ بِدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٣).

إنما كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه منقطعين إلى ذكر الله ، وتلاوة القرآن ، وتعاهد الصلاة اليومية خمس أوقات في المسجد النبوي ومساجد المدينة الأخرى ، في آية لم تشهدا مدن أهل الأرض . ولم يكتف مشركو قريش بالتهديد والوعيد بل اعلنوا النفير العام ، وسخروا أموال قافلة أبي سفيان التي ادعوا أنها السبب في معركة بدر ، وحرصوا القبائل حول مكة ضد النبي صلى الله عليه وآله وسلم والتنزيل فزحفوا بثلاثة آلاف رجل ليطلوا في شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة على المدينة بجيوشهم .

(١) سورة الفرقان ٧٧.

(٢) سورة البقرة ١٥٢.

(٣) سورة آل عمران ١٢٣.

وسرحوا خيلهم وإبلهم في زراعات أهل المدينة ، وصاروا يرمون بالسهم والنبال الذي يخرج من المدينة مقدمة لمعركة أحد ، والقادم إليها ، فشكى الناس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وألح عليه جمع من الصحابة بالخروج لقتالهم لأنهم على وشك غزو المدينة .

ومن الذين ألحوا على الخروج شباب الأنصار الذين لم يحضروا معركة بدر ، فبعد أن صلى الله عليه وآله وسلم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم صلاة الجمعة دخل بيته ولبس لأمة الحرب ، وخرج عليهم .

ولما رآوه لا بساً سلاحه ندموا (وَقَالُوا : أَكْرَهْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا خَرَجَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي سِلَاحِهِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أقم ، إن شئت ، فإننا لا نريد أن نُكْرِهَكَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : مَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ لَيْسَ سِلَاحُهُ أَنْ يَضَعَهَا ؛ حَتَّى يُقَاتِلَ) (١).

ثم سار بأصحابه من غير أن يلوم أحداً ، إذ كان يرى البقاء في المدينة لقتالهم ، نعم كان خروج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى أحد بالوحي وبأمر من عند الله عز وجل ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢).

### النفي الاختياري

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه لم يكره أحداً للخروج معه ، مع حاجته للأنصار والرجال يومئذ ، إذ اصطف معه سبعمائة من الصحابة مقابل ثلاث آلاف مدججين بالسلاح ، ومع أن الذي يخرج ويجاهد يومئذ يفوز بالسعادة في الآخرة ، سواء كان من السبعين الذين سقطوا شهداء أو من الجرحى ، إذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأكثر الصحابة جرحى يومئذ ، أو من الذين عادوا إلى المدينة سالمين ، حتى

(١) تفسير الثعالبي ١/٢٤٢.

(٢) سورة التكوير ٢٩.

الصحابة الذين فروا من الميدان يومئذ نزل العفو عنهم من عند الله ، كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (١) (٢).

لتنقضي معركة أحد في ذات اليوم الذي بدأت به ، ويعود المسلمون إلى الصلاة والذكر ، وهل كان اجتهادهم في الذكر لله عز وجل بين معركة بدر وأحد واقية من الهزيمة يوم أحد ، الجواب نعم ، للشواب العظيم العاجل والآجل على الذكر .

### تقدير ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ﴾

ورد هذا اللفظ مرتين في القرآن ، وكلاهما خطاب موجه إلى المسلمين أيام الرسالة وهما :

الأولى : قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٣) .

الثانية : قوله تعالى ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَكَيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ (٤) .

ويكون تقدير الآية أعلاه على وجوه :

الأول : لقد نصركم الله تثبيتاً للإيمان في الأرض .

الثاني : لقد نصركم الله لأن المشركين هم المعتدون .

(١) سورة آل عمران ١٥٥ .

(٢) أنظر الجزء الثالث والثلاثين بعد المائة من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

(٣) سورة آل عمران ١٢٣ .

(٤) سورة التوبة ٢٥ .

الثالث : لقد نصركم الله وعداً من عند الله عز وجل الذي قال ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١).

الرابع : لقد نصركم الله ، ولا يقدر على نصركم إلا الله عز وجل .  
الخامس : لقد نصركم الله بنزول الملائكة مدداً وعوناً ، وفي معركة بدر قال تعالى ﴿إِذْ تَسْتَعِينُونَ رَبُّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ (٢).

السادس : لقد نصركم الله نصراً مبيناً .

السابع : لقد نصركم الله بفضل ولطف منه تعالى .

الثامن : لقد نصركم الله كما نصر الرسل والمؤمنين من قبل ، قال تعالى ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (٣).

التاسع : لقد نصركم الله فاجتهدوا في طاعته ، لذا اختتمت آية (ببدر) بالحض على التقوى والخشية من الله بقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَتَمَّ أَذْلَهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٤).

العاشر : ولقد نصركم الله لتعلموا والناس جميعاً أن النصر بيد الله عز وجل .

الحادي عشر : ولقد نصركم الله ، وهذا النصر نعمة عظيمة .

الثاني عشر : ولقد نصركم الله فليكنف الذين كفروا عن قتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) سورة الروم ٤٧.

(٢) سورة الأنفال ٩.

(٣) سورة غافر ٥١.

(٤) سورة آل عمران ١٢٣.

الثالث عشر: لقد نصركم الله في مواطن بالصلح والمعاهدة ، ومنه صلح الحديبية الذي سماه الله عز وجل فتحاً ميبناً ، قال تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾<sup>(١)</sup>.

الرابع عشر: يا أيها الذين آمنوا لقد نصركم الله فاشكروا له سبحانه.  
الخامس عشر: لقد نصركم الله فتعاهدوا أداء الفرائض العبادية.  
السادس عشر: لقد رضي الله عنكم فنصركم .  
السابع عشر: لقد نصركم الله لصبركم وصدق إيمانكم .  
الثامن عشر: لقد نصركم الله ليخزي المشركين ويفضح المنافقين.  
التاسع عشر: لقد نصركم الله الذي له ملك السموات والأرض وبيده مقاليد الأمور .

ومن مصاديق نسبة النصر لله قوله تعالى بخصوص معركة بدر ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾<sup>(٢)</sup>.

العشرون: لقد نصركم الله وينصركم بلحاظ أن الآية بشارة ووعد .  
الواحد والعشرون: لقد نصركم الله بالمعجزة وليس بالسبب والمسبب والعلة المادية بدليل قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

### النسبة بين النصر والصلح

من البيان العام والقوانين الثابتة التي جاء بها القرآن قوله تعالى ﴿وَالصَّلْحُ خَيْرٌ﴾<sup>(١)</sup> فلا يعلم منافع الصلح الآتية واللاحقة إلا الله عز وجل ، سواء الصلح في المعارك والحروب أو أمور الجماعة أو الأفراد.

(١) سورة الفتح ١.

(٢) سورة الأنفال ١٧.

(٣) سورة آل عمران ١٢٣.

عن أنس بن مالك قال (نزلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾<sup>(١)</sup> مرجعه من الحديبية، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لقد أنزلت علي آية أحب إلي مما على الأرض ، ثم قرأها عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم . فقالوا: هنيئًا مريئًا يا نبي الله، لقد بين الله، عز وجل، ماذا يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فنزلت عليه ﴿يُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾<sup>(٢)</sup> حتى بلغ ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾<sup>(٤)</sup>(٥).

والنسبة بين النصر والصلح عموم وخصوص من وجه ، ولكنها بالنسبة للنبوة والإسلام عموم وخصوص مطلق ، فالنصر أعم وكل صلح عقده النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو نصر له وللقرآن ، ومنه صلح الحديبية ، لبيان مسائل :

الأولى : قانون انتصار الإسلام بالصلح والموادعة .

الثانية : قانون موضوعية إعجاز القرآن في النصر .

الثالثة : ميل وسعي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للصلح حتى من منازل القوة والمنعة .

الرابعة : اختيار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الصلح من مصاديق قوله تعالى ﴿وَإِنْ جُنَحُوا لِلْسَّلَامِ فَأَجْزَلٌ لَهَا﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة النساء ١٢٨.

(٢) سورة الفتح ٢.

(٣) سورة الفتح ٥.

(٤) سورة الفتح ٥.

(٥) تفسير ابن كثير ٣٢٦/٧.

(٦) سورة الأنفال ٦١.

**الخامسة :** الصلح مقدمة ومصداق لقوله تعالى ﴿ادْعِ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾<sup>(١)</sup>.

### **جريان ماء البئر**

لقد قدم وفد صداء إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأعلنوا إسلامهم ، وهو في حال سفر ، ثم أخبروه بشحة ماء بئرهم في الصيف ، فيضطرون للتفرق على مياه الآخرين .

وقالوا : ولكن الآن دخلنا الإسلام وصار الذين حولنا أعداء لنا يحاربوننا على دخولنا الإسلام ونحن حينئذ في حال تفرق واستضعاف . قال زياد الصدائي (فادع الله لنا في بئرننا فيسعنا ماؤها فنجتمع عليه ولا نتفرق فدعا سبع حصيات فعركهن بيده ودعا فيهن .

ثم قال اذهبوا بهذه الحصيات فاذا أتيتم البئر فالتقوا واحدة واحدة واذكروا الله قال الصدائي ففعلنا ما قال لنا فما استطعنا بعد ذلك أن ننظر إلى قعرها)<sup>(٢)</sup> ، أي قعر البئر لكثرة الماء فيها .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن الذي كان يبغضه إذا رآه يصبح يحبه ، وينقاد إليه للفطرة بادراك أنه رسول من عند الله لا يأمر إلا بالصالحات ، ولا ينهى إلا عن القبائح والرذائل ، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾<sup>(٣)</sup>.

والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو الرسول والإمام في الأمر بالصالحات واجتناب السيئات ، قال تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة النحل ١٢٥.

(٢) البداية والنهاية ٨٤/٥.

(٣) سورة مريم ٩٦.

(٤) سورة الحشر ٧.

وفيه شواهد عديدة و(عن عبد الرحمن ابن أبي عقيل<sup>(١)</sup>) قال انطلقت في وفد الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاتيناه فأنخنا بالباب وما في الناس رجل أبغض إلينا من رجل نلج عليه .  
فلما دخلنا وخرجنا فما في الناس رجل أحب إلينا من رجل دخلنا عليه.

فقال قائل منا يا رسول الله ألا سألت ربك ملكا كملك سليمان.  
فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال فلعل صاحبك عند الله أفضل من ملك سليمان إن الله عز وجل لم يعث نبيا إلا أعطاه دعوة فمنهم من اتخذها دنيا فأعطيا ومنهم من دعا بها على قومه إذ عصوه فاهلكوا وان الله أعطاني دعوة فاخبتاتها عند ربي شفاعة لامتي يوم القيامة<sup>(٢)</sup>.

وفيه دعوة للمسلمين لإستحضار عالم الآخرة ، وما فيه من الحساب والجزاء ، ودعوة للإستعداد بأداء الفرائض العبادية وعمل الصالحات .

### أصالة الحلية

قال تعالى ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَكَأَعَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾<sup>(٣)</sup>.

لقد أنعم الله عز وجل على الإنسان ان هيئ له الأطعمة والأشربة ليتغذى بها ، وتكون سبباً للنمو والتوالد والتكاثر بين الناس ، وهي من

(١) الثقفى ، له صحبة يعد من أهل الكوفة ، أي أنه انتقل للسكن فيها.

(٢) البداية والنهاية ٨٥/٥.

(٣) سورة الأنعام ١٤٥.

مقومات استدامة الخلافة في الأرض ، قال تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (١) .

وبالأطعمة والماء يدفع شبح الموت عن الإنسان، فهي شاهد على استدامة العناية الإلهية بالإنسان وأن الله سبحانه لم يخلقه ويتركه سدى، بل جعل في الأرض أسباب دوام حياته، لذا فإن الطعام والشراب من أبهى وأعظم آيات الله في كل زمان، ومن بديع النظام التكويني الأحسن الذي انعم الله به على الناس ولا يمكن ان يتصور أفضل وأحسن منه.

ومن الآيات ان ترى في كل زمان ومصر نباتات تخرج من غير جهد للإنسان في زراعتها وسقيها بل تخرج بواسطة المطر وطيب التربة، كما تجد الطيور والأسماك وبعض الحيوانات البرية قريبة من الإنسان وجزء من رزقه لتكون موضوعاً لاشباع حاجات النفس الشهوية وتدارك النقص في القوى البدنية، وسبباً لدفع العلل والأمراض، ومانعاً من الأوبئة في آيات لا تعد ولا تحصى تبدو جليلة في زمن الثورة العلمية والصناعية والذكاء الإصطناعي ومدى الانتفاع الأمثل من الزراعات.

ثم أنعم الله عز وجل مرة أخرى على الناس فجعل الأصل في الأشياء الإباحة والحلية الا ان يرد دليل شرعي خاص على الحرمة في المطعوم او المأكول وما حرم منها محدود وقليل .

ولم يحرم الا لأنه يضر بالأبدان وحال النفس والتكاثر والتناسل والوجود الإنساني في الأرض، كما في الخمر والميتة والدم مثلاً، قال تعالى ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أَلْهِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَكَانَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢).

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة الأنعام ١٤٥.

والدراسات الطبية قديماً وحديثاً أكدت هذه الحقيقة واثبتت ان الحرمة في بعض الأشياء حاجة للناس، وجزء من قوام مصلحتهم في الأرض، لذا فان المحرمات تخرج عن الطيبات بالتخصص لعدم انطباق الاسم عليها واقعاً وشرعاً وعقلاً، ولا عبرة بتلذذ جماعة او افراد بها، ممن غلبت عليهم النفس الشهوية واتبعوا الباطل وأصرروا على العناد .

والنهي الشرعي كاشف عن قبحها ولزوم الإمتناع عنها، خصوصاً وان الله جعل الطيبات متيسرة للإنسان، وكافية لحاجته في كل زمان، اما الضرورة فلها أحكامها الخاصة ، لانها تقدر بقدرها من جهة الجواز بما يكفي لسد الرمق .

وقانون أصالة الحلية مطلقة لإباحة الأشياء ولقاعدة قبح العقاب بلا بيان إلا ما خرج منها بالدليل .

قال تعالى ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَاتُوا بِالْحَقِّ قُلْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وجاءت هذه الآية الكريمة لتؤكد هذا القانون وتدعو لأن يكون متعارفاً عند الأمم ومانعاً من الاجتهاد في منع الطيبات أي ان الله عز وجل تفضل على الناس مرة أخرى ومنع الناس من حجب نعمه تعالى وحرمان انفسهم وغيرهم من الطيبات في الأكل والملبس والمشرب .

وهذه الآية مصداق لهذا الفضل الالهي وحنة للناس في التمتع بأصالة الإباحة في الأشياء والمحصار الحرمة في الخبائث، وقد تنعمت الأجيال السالفة من ذرية إسرائيل ما قبل اليهودية بأصالة الحلية .

وجاءت هذه الآية توكيداً للرحمة الالهية ومصداقاً عملياً لعظيم فضل الله سبحانه و ارادته الخير والسعادة لبني آدم عامة، والمليين منهم خاصة ، لبيان أن من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في المقام وجوه:

(١) سورة آل عمران ٩٣.

الأول : بيان أحكام الشريعة العامة ، قال تعالى ﴿وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا

لِكُلِّ شَيْءٍ﴾<sup>(١)</sup>.

الثاني : التخفيف عن أهل الكتاب ، وإزاحة التشديد الذي صاروا عليه.

الثالث : احتجاج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على اليهود بالتوراة ، وما فيه من الدليل على إنتفاء التعارض بين القرآن والتوراة .  
(وعن عبد الله بن أبي يعفور قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله : كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه.

قال : ان إسرائيل كان اذا أكل لحوم الابل هيج عليه وجع الخاصرة ، فحرم على نفسه لحم الابل ، وذلك من قبل ان تنزل التوراة ، فلما انزلت التوراة لم يحرمه ولم يأكله)<sup>(٢)</sup>.

ولعل ذيل الحديث أعلاه مضاف لأصل الرواية أو فيه تصحيف لأن التوراة نزلت على موسى عليه السلام ، وزمان إسرائيل وهو يعقوب متقدم عليه بمئات السنين ، إلا أن يقال بأن شطراً من التوراة نزل أيام يعقوب عليه السلام .

### أكل الطيبات

من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾<sup>(٣)</sup> الطيبات من الرزق ففضل الله عز وجل برزق الإنسان الطيبات من الطعام متجدد كل يوم ، ومنه ما يلائم النفس وتستلذ به وفق الشريعة .

(١) سورة النحل ٨٩.

(٢) تفسير العياشي ١/١٩٧ ، البحار ١٢/٢٩٩.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

وحرم عليه ما ينفر منه الطبع مثل الميتة والدم والخمر والغصب  
وتستقذره النفس.

ومن رافة الله عز وجل بعث الأنبياء بالفصل بين الطيب الحلال والحرام  
الخبيث من الطعام ، قال تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾<sup>(١)</sup>.

مع جريان أصالة البراءة ، وأصالة الطهارة والحلية ، قال تعالى ﴿قُلْ لَا أَجِدُ  
فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا  
مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ  
رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأصالة الحلية وسيلة مباركة لجذب الإنسان لأحكام الشريعة وجعله  
منقاداً لأحكام الحلال والحرام مطلقاً وليس في الأطعمة فقط ولكن هذا  
الجذب لم يأت لإرهاق المكلف في الميادين الأخرى ، لان أصالة الإباحة  
مطلقة في الأشياء الا ان يرد دليل خاص.

وجاءت آيات حلية الطيبات بصيغة الأمر مثل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا  
مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾<sup>(٣)</sup>.  
وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ  
كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة المائدة ٤.

(٢) سورة الأنعام ١٤٥.

(٣) سورة البقرة ١٦٨.

(٤) سورة البقرة ١٧٢.

وجاءت بصيغة الجملة الخبرية ، ومنه قوله تعالى ﴿وَأَيُّ لَهِمُ الْأَرْضِ الْمَيْتَةِ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ \* وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرَانًا فِيهَا مِنْ الْعُنُوبِ \* لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ \* وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ \* وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومن الشكر لله عز وجل الإيمان وأداء الفرائض العبادية .

وجاءت الملازمة بين أكل الطيبات وعمل الصالحات بقوله تعالى ﴿يَا

أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

وتكشف هذه الآيات عن قوانين ثابتة في الأرض وتبين الصلة بين الأنبياء السابقين وذراريهم من جهة وبين المسلمين من جهة أخرى باتحاد الماكول والمشروب، وأكل الطيبات وهي من فضل الله عز وجل على أهل الكتاب حتى ما بعد نزول القرآن بحثهم على الرجوع الى مناهج آبائهم في الأطعمة والأشربة .

فالأصل ان يتبع الناس النبي محمداً في سنن أحكام الحلال والحرام واكل الطيبات واجتناب الخبائث وهذا لا يمنع من التذكير بحياة الأنبياء والأجداد من الصالحين للاقتداء بهم ، وهذه الآيات لتهديب الأحكام وعدم القول بجرمة الأشياء من غير حجة شرعية.

لقد غاصت هذه الآيات في أعماق مجتمعات وجذبت الناس إلى قوانين السماء وجعلتهم امام حقيقة كونية يدرك الإنسان فيها غبطته وسعادته الا وهي أصالة حلية الأطعمة والأشربة من وجوه :

(١) سورة يس ٣٣-٣٥ .

(٢) سورة يس ٧١-٧٣ .

(٣) سورة المؤمنون ٥١ .

الأول : عدم جواز تحريم بعض الأطعمة من غير دليل شرعي .  
الثاني : الحلية والحرمة امران توقيفیان يرجعان للشارع المقدس ولا يخضعان لإجتهد ومزاج الإنسان .

الثالث : التباين بين القضية الشخصية والنوعية ، وجاءت الأحكام الشرعية بلغة العموم والشمول ، فاحتراز أحد الأنبياء السابقين مثل يعقوب عليه السلام من طعام مخصوص لا يكون حكماً شرعياً عاماً ، وفيه بعث للناس للتعرف في الدين .

فمن مصاديق ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ﴾<sup>(١)</sup> البيان والتخفيف في الأطعمة والفصل بين الحلال والحرام ، ولا يتبع الناس هذا الفصل إلا بشرعية سماوية تأخذ الناس طوعاً وكرهاً على التقييد بالسنن ، وبعد أن استقر الإسلام في الجزيرة نزل قوله تعالى ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾<sup>(٢)</sup> .

### بين الفقه والطب

بين الفقه والطب بخصوص الأطعمة عموم وخصوص من وجه اذ ان الفقه يبين الحلال والحرام من الأطعمة ومصاديق كل واحد منهما، فيشمل الحلال ما هو واجب ومستحب ومباح ومكروه، اما المحرم فيختص بفرد واحد من الأحكام التكليفية الخمسة وهو الحرمة التي تعني ان الشئ منهي عنه شرعاً ويؤثم من يأتيه ، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَكَأَعَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾<sup>(٣)</sup> .

أما علم الطب فانه يبين المنافع والمضار في تناول الاشياء وخواص كل منها، ومع التحقيق تجد توافقاً بين الشرع والطب في آية اعجازية تدل على

(١) سورة سبأ ٢٨ .

(٢) سورة المائدة ٣ .

(٣) سورة البقرة ١٧٣ .

الحكمة الإلهية المتعالية وتعاهد الله عز وجل للإنسان في وجوده في الأرض بالشرائع السماوية، وجذب الإنسان .

والمراد من الطعام هو المأكولات مطلقاً، ولاتدخل فيه الخبائث التي توارثت أمم الملمين حرمتها وإجتنابها ، وفي الثناء على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتكامل شريعة الإسلام ، قال تعالى ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾<sup>(١)</sup>.

وتخرج الخبائث من معنى الطعام لأن القدر المتيقن منه هو الإطعام اي الأكل والتناول ، والإدخال في الفم والحلقوم، والخبائث منهي عنها فلا يشملها اصطلاح المطعم .

وأما شرعاً فلأحكام المتوارثة بين الأمم التي تزجر عنها، وهذا لا يمنع من الكثرة والقلة في جنس المحرمات عند الملل والشرائع ولا يعني هذا الإختلاف في الكم التباين، للتسالم على إجتناوب الخبائث.

### لفظ الطعام

لفظ (الطعام) مصدر مشتق من مادة (طعم) والطعام هو المأكول ، وهذا اللفظ عام وقد يراد منه معنى خاص كالحبوب ، قال تعالى ﴿ وَطَعَامَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلِ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلِ لَهُمْ... ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهل يمكن إرادة الخنطة من لفظ الطعام الوارد في الآية أعلاه بلحاظ انه ينصرف الى هذا المعنى في لغة الحجاز، الجواب: لا ، لوجوه :

الأول : إفادة إطلاق الطعام بلفظ (كل) الوارد في أول الآية وهو سور جامع وعنوان للموجبة الكلية.

الثاني : جاءت الآية بخصوص بني إسرائيل والأمم السالفة وليس بخصوص الألفاظ المتعارفة في لغة الحجاز.

(١) سورة الأعراف ١٥٧.

(٢) سورة المائدة ٥.

**الثالث :** الآية في مقام بيان الحلال وإطلاقه.

**الرابع :** من الثابت واليقيني عند جميع الأمم ان الحنطة حلال ومباحة.  
**الخامس :** جاءت الآية للاحتجاج على بني إسرائيل وادعائهم حرمة بعض الأطعمة وامتداد هذه الحرمة بالإستصحاب القهقري وشمولها للأنبياء من بني إسرائيل وآباء اليهود قبل أيام موسى عليه السلام ونزول التوراة عليه.

فالمراد من الآية كل الأطعمة من الطيبات سواء من الزراعات او من صيد البر او صيد البحر الا ما دلّ الدليل انذاك على حرمة.

**السادس :** ورود النصوص منها عن للإمام الصادق عليه السلام ، ووردت أيضاً (من طريق سعيد بن جبیر عن ابن عباس ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾<sup>(١)</sup> قال : العرق . أخذه عرق النسا ، فكان يبيت له زقاء يعني صياح ، فجعل لله عليه إن شفاه أن لا يأكل لحمًا فيه عروق ، فحرّمته اليهود)<sup>(٢)</sup>.

### **المراد من بني إسرائيل**

ذكر بنو إسرائيل على نحو الخصوص في قوله تعالى ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَاتُوا بِالْتَّوْرَةِ فَاتَلَوْهَا إِنَّكُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(٣)</sup> ، وهو أعم من الأنبياء من ذرية إسحاق ويعقوب ، وأعم من اليهود وقوم موسى عليه السلام .

فيشمل الأسباط وابناءهم وهم كالبائل في ولد إسماعيل . وجاء الفصل والتمييز في الاسم بين أبناء يعقوب وأبناء إسماعيل ، والحجة في هذا الذكر هي تثبيت أصل الإباحة والحلية ، وتوكيد حقيقة

(١) سورة آل عمران ٩٣ .

(٢) الدر المنثور ٢/٣٨٢ .

(٣) سورة آل عمران ٩٣ .

تفضيل بني إسرائيل في زمانهم لا يعني تحريم المباحات، ولا حلية المحرمات، بل المباحات والمحرمات على حالها، فلا يصح الخلط بينهما في المصاديق، أو الإتحاد في الحكم.

وورود الآية بلفظ (كل الطعام) شاهد آخر على اكرام الله عز وجل لبني إسرائيل من وجوه:

الأول : صيغة الإطلاق في الحلية وعدم الحرمة.

الثاني : لم يرد لفظ (كل الطعام) في القرآن إلا في هذه الآية وفي حليته لبني إسرائيل.

الثالث : تلقي بني إسرائيل أحكام الطعام والزاد وحليته من عند الله عز وجل، وتبين الآية ان آباء بني إسرائيل كانوا ملتزمين بهذه الأحكام والتقيد بها عنوان للشكر، وإنتفاع من النعمة، وعدم التقيد بسنن الإباحة والحلية تشديد على النفس، وتجراً في الحكم.

فجاءت الآية لإرشاد بني إسرائيل الى هذه النعمة والرجوع إلى عمل الآباء في الإنتفاع من النعم، وفيه دعوة للمسلمين بأخذ أحكام حلية الطعام او حرمة من القرآن والسنة النبوية، لذا تجد الإبتلاء في هذا الباب قليلاً عند المسلمين، وحتى الأمور المستحدثة والمترشحة عن تقارب البلدان والإرتقاء الصناعي يمكن ارجاعها إلى الأصول الثابتة بخصوص الحلية والتذكية.

### قانون الآية حصانة

وفي آيات أصالة حلية الطعام حصانة للمسلمين دون التعدي عليهم في حلية الطعام فلولا هذه الآية لجادلهم الناس بأن ما حرم عند موسى عليه السلام وأنبياء بني إسرائيل مما يتقيد به اليهود لماذا لم يكن محرماً عند المسلمين لوحدة أصل الشرائع .

فجاءت هذه الآيات حجة لإسكات الخصم واقامة الدليل بان الأصل هو حلية الأطعمة وان المسلمين على الأصل الذي كان عليه الأنبياء

والأولياء والصالحون ، قال تعالى ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وتدل الآية على تعدد انواع الطيبات التي رزقها الله بني إسرائيل ، ومن الطعام ما كان يأتيهم من السماء كالمن وطائر السلوى .  
وجاء قيد ووصف بني إسرائيل للإشارة الى ان أحكام التوراة خاصة بهم ، لذا ورد الإحتجاج بها فهي حجة عليهم ، وليس لهم ان يحتجوا بها على المسلمين ، مع انها خالية من التعارض مع القرآن ولالإشارة الى الحنيفة والإسلام الذي يتغشى الأزمنة بأفرادها الطولية المتعددة .

لقد وردت عدة آيات تذكر بني إسرائيل بما رزقهم الله عز وجل من الطيبات ، منها قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبْوَءَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ . . .﴾<sup>(٢)</sup> و﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup> و﴿وَوَضَّلْنَا عَلَيْكُمْ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى كُلَّوَمِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ وَعَنْ أَبِي الْجَارود قال (قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن الجبن ، فقلت له : أخبرني من رأى أنه يجعل فيه الميتة ؟ فقال : أمن أجل مكان واحد يجعل فيه الميتة حرم في جميع الارضين إذا علمت أنه ميتة فلا تأكله ، وإن لم تعلم فاشترى وبيع وكل .

والله إنني لاعترض السوق ، فأشتري بها اللحم والسمن والجبن ، والله ما أظن كلهم يسمون هذه البربر وهذه السودان)<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة يونس ١٤ .

(٢) سورة يونس ٩٣ .

(٣) سورة الجاثية ١٦ .

(٤) سورة البقرة ٥٧ .

(٥) الوسائل ٢٥٠/٩ .

وأبو الجارود زياد بن المنذر الهمداني مولا هم .  
 روى عن الإمام الباقر والصادق عليهما السلام ، وكان أعمى من  
 ولادته ، وهو من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام ، وأيد ثورة زيد بن  
 علي ، وأنشأ فرقة الجارودية من الزيدية .  
 قال الكشي : سمي سرحوباً باسم شيطان أعمى يسكن  
 البحر<sup>(١)</sup>.

وفي مرسلة معاوية بن عمار (كنت عند أبي جعفر عليه السلام فسأله  
 رجل عن الجبن ، فقال أبو جعفر عليه السلام : إنه لطعام يعجبني ،  
 فسأخبرك عن الجبن وغيره ، كل شيء فيه الحلال والحرام فهو لك حلال ،  
 حتى تعرف الحرام ، فتدعه بعينه)<sup>(٢)</sup> .  
 وهي أصالة الحلية أو قاعدة الحل في موارد الشك بين الحلال والحرام ،  
 فيحكم بحلية الشيء المشكوك فيه .

وفي صحيحة الحلبي (سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الخفاف التي  
 تباع في السوق فقال: اشتر وصل فيها حتى تعلم أنه ميت بعينه.  
 محمد بن يعقوب عن سهل عن بعض أصحابه عن الحسن الجهم قال:  
 قلت لابي الحسن الرضا عليه السلام اعترض السوق فاشتري خفا لا أدري  
 أذكي هو أم لا؟ قال: صل فيه .  
 قلت: والنعل؟ قال: مثل ذلك قلت: اني اضيق من هذا قال: أترغب عنا  
 ، كان أبو الحسن عليه السلام يفعله)<sup>(٣)</sup>.

(١) خلاصة الأقوال ١/٣٢٧ .

(٢) الوسائل ٩/٢٥٠ .

(٣) تهذيب الأحكام ٤٤/٢٩ .

## آيات الإسراء

من علوم القرآن علم التفسير ، وفيه وجوه :

الأول : تفسير الآية لموضوع آية أخرى .

الثاني : تفسير الآية للحكم وما ورد في آية أخرى .

الثالث : تفسير آيات متعددة لآية واحدة .

الرابع : إجتماع آيتين أو أكثر لتفسير وبيان جوانب من آية أخرى .

الخامس : قانون تؤكد الآية القرآنية لمضامين آية قرآنية أخرى .

السادس : استنباط الحكم الشرعي من الجمع بين آيتين .

ومن منافع هذا العلم بيان ووضوح الأحكام ، ومنع الريب والاختلاف في الأحكام .

وقد نزلت آية الإسراء ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>(١)</sup> خاصة بتمامها بمعجزة الإسراء ، وسميت السورة باسمه ، ونزلت آيات أخرى تؤكد الإسراء ، وتبين المعراج وماهيته .

لتأتي السنة النبوية بالبيان والتفصيل ، إذ أخبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عما رأى من بدائع الآيات في عالم السموات ، وقد تكرر هذا الإخبار من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم سواء قبل الهجرة أو بعدها .

وجاءت آيات من سورة النجم في موضوع الإسراء والمعراج ، منها قوله

تعالى ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾<sup>(٢)</sup> .

(١) سورة الإسراء ١ .

(٢) سورة النجم ٧ .

ومن معاني الآية إرتفاع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالمعراج ،  
ومنع إستواء جبرئيل والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليلة المعارج  
﴿بِالْفُتُوحِ الْعَالِيَةِ﴾ وهو ( أقصى الدنيا عند مطلع الشمس في السماء ،

وقيل : استويا في القوة والصعود إلى السماء .

وقيل : استويا في العلم بالوحي .

وقال بعضهم : معنى الآية : استوى جبريل أي ارتفع وعلا في السماء  
بعد أن علّم محمداً<sup>(١)</sup>.

وعن الإمام الرضا عليه السلام لما أسري به إلى السماء وبلغ عند سدره  
المنتهى خرق له في الحجب مثل سم الابرة فرأى من نور العظمة ما شاء الله  
أن يرى .

وعن الباقر عليه السلام قال : فلما انتهى إلى سدره المنتهى تخلف عنه  
جبرئيل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا جبرئيل في مثل هذا الموضع  
تخذلني فقال تقدم أمامك فوالله لقد بلغت مبلغا لم يبلغه خلق من خلق الله  
قبلك .

فأريت من نور ربي وحال بيني وبينه السبحة قيل وما السبحة فأومى  
بوجهه إلى الارض ويده إلى السماء وهو يقول جلال ربي جلال ربي ثلاث  
مرات .

### الإسراء بشارة السلام

الإسراء نعمة عظيمة على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم  
والمسلمين والناس جميعاً ، وقد حدث في السنة الخامسة للبعثة النبوية على  
المختار ، وفيه دعوة لقريش وعمار وزوار المسجد الحرام ووفد الحاج كل  
سنة لدخول الإسلام وهو رسالة سلام وأمن سماوية .

وهل كان الإسراء سبباً لدخول رهط من الناس الإسلام ، الجواب نعم .

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٥/١٣ .

وفي العلل عن الإمام الرضا عليه السلام ﴿وَلَقَدْ رَأَوْا نَزْلَةَ أُخْرَىٰ \* عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾<sup>(١)</sup> يعني عندها وافى به جبرئيل حين صعد إلى السماء فلما انتهى إلى محل السدرة وقف جبرئيل دونها .

وقال يا محمد إن هذا موقفي الذي وضعني الله عز وجل فيه ولن أقدر على أن أتقدمه ولكن امض أنت أمامك إلى السدرة فوقف عندها قال . فتقدم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى السدرة وتخلف جبرئيل عليه السلام قال إنما سميت سدرة المنتهى لأن أعمال أهل الأرض تصعد بها الملائكة الحفظة إلى محل السدرة والحفظة الكرام البررة دون السدرة يكتبون ما يرفع إليهم الملائكة من أعمال العباد في الأرض . قال فينتهون بها إلى محل السدرة قال فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله فرأى أغصانها تحت العرش وحوله .

قال فتجلى لمحمد صلى الله عليه وآله نور الجبار عز وجل فلما غشى محمد النور شخص يبصره وارتعدت فرائضه قال فشد الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وآله قلبه وقوى له بصره حتى رأى من آيات ربه ما رأى وذلك قول الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ رَأَوْا نَزْلَةَ أُخْرَىٰ \* عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ \* عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾<sup>(٢)</sup> .

يعني الموافاة قال فرأى محمد صلى الله عليه وآله ما رأى يبصره من آيات ربه الكبرى يعني أكبر الآيات قال عليه السلام وإن غلظ السدرة لمسيرة مائة عام من أيام الدنيا وإن الورقة منها تغطي أهل الدنيا . وفي المجمع عن النبي صلى الله عليه وآله قال رأيت على كل ورقة من أوراقها ملكا قائما يسبح الله تعالى<sup>(٣)</sup> .

(١) سورة النجم ١٣-١٤ .

(٢) سورة النجم ١٣-١٥ .

(٣) تفسير الصافي ٦/٨٩ .

وعن ( ابن مسعود ) ﴿وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾<sup>(١)</sup> قال : رأى جبريل معلقاً  
رجله بسدره عليه الدر كأنه قطر المطر على البقل<sup>(٢)</sup>.

وعن (أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : انتهيت إلى  
السدره فإذا نبقها مثل الجراد وإذا ورقها مثل آذان الفيلة ، فلما غشيها من  
أمر الله ما غشيها تحولت ياقوتاً وزمرداً ونحو ذلك)<sup>(٣)</sup>.

### استحالة الرؤية

ورد في التنزيل ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقد تواترت الأخبار بنفي رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لله عز  
وجل ، وهذه الرؤية متعذرة ، إذ جعل الله عز وجل الناس في سنخية  
خلقهم عاجزين عنها ، غير قادرين عليها.

فمن بديع صنع الله عز وجل استحالة رؤية الخلائق له ، وهو سبحانه  
ليس بجسم ، والدلائل على أن الإنسان من الممكنات ، وإذا كان الناس لا  
يرون الله عز وجل فهل يراه الملائكة ، المختار أنهم لا يرون الله عز وجل  
لوجود حجب أنوار العظمة والجلالة التي هي برزخ بين الخالق الغني  
والمخلوقات ، قال تعالى ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾<sup>(٥)</sup>.

وروى مسلم (عن ابن عباس أنه قال : رأى محمد ربه بفؤاده مرتين)<sup>(٦)</sup>.  
(وعن أبي موسى قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم  
بخمسة كلمات فقال : إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ولكنه يرفع القسط  
ويخفضه ، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل ،

(١) سورة النجم ١٣.

(٢) الدر المنثور ٣٢٠/٩.

(٣) الدر المنثور ٣٢١/٩.

(٤) سورة الأنعام ١٠٣.

(٥) سورة الأنعام ١٠٣.

(٦) تفسير ابن كثير ٤٤٧/٧.

حجابه النور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه<sup>(١)</sup>.

وأختلف هل يرى الله عز وجل في الآخرة ، (وعن ابن عباس أن الله يرى في الآخرة) وهو مشهور المسلمين .

وعن ( إسماعيل بن الفضل قال: سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام عن الله تبارك وتعالى هل يرى في المعاد. فقال: سبحان الله وتعالى عن ذلك علوا كبيرا يا ابن الفضل إن الابصار لا تدرك إلا ما له لون وكيفية ، والله خالق الألوان والكيفية)<sup>(٢)</sup>.

### رؤية القلوب

يدرك المؤمن بقلبه أنوار الربوبية المطلقة من غير تشبيه أو تجسيم. (وعن ابن عباس في قوله ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾<sup>(٣)</sup> ﴿وَلَقَدْ رَأَى نَزْلَةَ أُخْرَى﴾<sup>(٤)</sup> قال : رأى محمد ربه بقلبه مرتين)<sup>(٥)</sup>.

(وعن أبي ذر قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ربه بقلبه ولم يره ببصره)<sup>(٦)</sup>.

وقال (همان بن عبدالله بن شفيق قال : قلت لأبي ذر : لو رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسألته ، قال : وعما كنت تسأله . قلت : كنت أسأله : هل رأى ربه عز وجل ، قال : فإني قد سألته فقال : قد رأيت نوراً ، أنى أراه .

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٦٣/٢ .

(٢) البحار ٣١/٤ .

(٣) سورة النجم ١١ .

(٤) سورة النجم ١٣ .

(٥) الدر المنثور ٣١٨/٩ .

(٦) الدر المنثور ٣٢٠/٩ .

وكذلك روي عن أبي سعيد الخدري أنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾<sup>(١)</sup> قال : رأيت نورا<sup>(٢)</sup>.

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام (قال: بينا أمير المؤمنين عليه السلام يخطب على منبر الكوفة إذ قام إليه رجل يقال له ذعلب ذو لسان بليغ في الخطب، شجاع القلب، فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك . قال: ويلك يا ذعلب ما كنت أعبد ربا لم أره، فقال: يا أمير المؤمنين كيف رأيته .

قال: ويلك يا ذعلب لم تره العيون بمشاهدة الابصار، ولكن رأته القلوب بمحائق الايمان وويلك يا ذعلب إن ربي لطيف اللطافة لا يوصف باللفظ، عظيم العظمة لا يوصف بالعظم، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ، قبل كل شئ.

لا يقال شئ قبله، وبعد كل شئ، لا يقال له بعد، شاء الاشياء لا بهمة، دراك لا بخديعة في الاشياء كلها غير متمازج بها ولا بائن منها، ظاهر لا بتأويل المباشرة، متجل لا باستهلال رؤية، ناء لا بمسافة، قريب لا بمداناة، لطيف لا بتجسم .

موجود لا بعد عدم، فاعل لا باضطرار، مقدر لا بحركة مرید لا بهمامة. سمیع لا بألة، بصیر لا بأداة، لا تحويه الاماكن ولا تضمنه الاوقات ولا تحده الصفات ولا تأخذه السنات .

سبق الاوقات كونه والعدم وجوده والابتداء أزله .  
بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له وبتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له وبمضادته بين الاشياء عرف ان لا ضد له وبمقارنته بين الاشياء عرف ان لا قرين له .

ضاد النور بالظلمة واليبس بالبلل والخشن باللين والصرده بالحرور .

(١) سورة النجم ١١.

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ٩/١٣ .

مؤلف بين متعادياتها ومفرق بين متدانياتها، دالة بتفريقها على مفرقتها  
 وبتأليفها على مؤلفها وذلك قوله تعالى ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ  
 لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ففرق بين قبل و بعد ليعلم أن لا قبل له ولا بعد له، شاهدة بغرائزها أن  
 لا غريزة لمغرزها، مخبرة بتوقيتها أن لا وقت لموقيتها، حجب بعضها عن  
 بعض ليعلم أن لا حجاب بينه وبين خلقه كان ربا إذ لا مربوب وإلها إذ لا  
 مالوه وعالما إذ لا معلوم وسميعا إذ لا مسموع<sup>(٢)</sup>.

### سرية الخبط

الخبط هو ضرب الشجرة البرية بالعصا لتساقط منها الأوراق من غير  
 الإضرار بأصل الشجرة ، وقد أكل الصحابة في هذه السرية من هذه  
 الأوراق المتساقطة في بعض الليالي عند مسيرهم لما أصابهم من الجوع.  
 لقد بعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هذه السرية وأميرها  
 عبيدة بن الجراح ومعه ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار ، ومنهم عمر بن  
 الخطاب في شهر رجب من السنة الثامنة للهجرة ، وقيل في السنة السادسة  
 قبل صلح الحديبية إلى حي من جهينة مما يلي ساحل البحر ، وبينه وبين  
 المدينة خمس ليال .

وتحتمل الغاية من هذه السرية وجوهاً :

الأول : دعوة جهينة إلى الإسلام .

الثاني : بيان أحكام الإسلام ، وتلاوة القرآن على الناس .

الثالث : وعلى فرض أنها في السنة السادسة قبل صلح الحديبية فإنها

بقصد رصد عير وقوافل قريش التي تسير بمحاذاة الساحل .

الرابع : زجر القبائل عن إعانة قريش على قتال النبي محمد صلى الله

عليه وآله وسلم .

(١) سورة الذاريات ٤٩.

(٢) الكافي للكليني ٢٠٢/١.

الخامس : إظهار منعة وشوكة المسلمين ، ووصول السرايا إلى أماكن بعيدة عن المدينة المنورة .

وصار الصحابة في حال جهد وضعف ، وقالوا لو لقينا عدواً ما كان بنا حركة إليه ، فنظر قيس بن سعد لبعض رجال في تلك الناحية ، فوجد رجلاً من جهينة فقال له بعني جُزراً أي عدة أباعر وأوفيك سقة من تمر بالمدينة . قال الجهني : ما أعرفك ، ومن أنت ، فعرف له نفسه .

فقال ، نعم ، بيني وبين سعد خلة ، سيد أهل يثرب ، فابتاع منه خمس جزر ، كل جزر أي بعير بسوقين من تمر ، وطلب الجهني شهوداً ، فأشهد نقرأ من المهاجرين والأنصار ، وليس لقيس من مال ، ولكنه ابتاع على مال أبيه ، فذبح لهم ثلاثة جزر في ثلاثة مواطن ، وفي اليوم الرابع نهأه أبو عبيدة .

فقال (قيس : يا أبا عبيدة، أترى أبا ثابت وهو يقضي دين الناس، ويحمل الكل ، ويطعم في الجماعة، لا يقضي سقة تمر لقوم مجاهدين في سبيل الله . فكاد أبو عبيدة أن يلين له ويتركه حتى جعل عمر يقول: اعزم عليه! فعزم عليه فأبى عليه أن ينحر. فبقيت جزوران معه حتى وجد القوم الحوت. فقدم بهما قيس المدينة ظهراً يتعاقبون عليها .

وبلغ سعد ما كان أصاب القوم من الجماعة فقال: إن يكن قيس كما أعرفه فسوف ينحر للقوم)<sup>(١)</sup> .

وقدم البدوي مع قيس أي جاء مع السرية عند عودتها إلى المدينة ، فأواه قيس سقته ، وحمله وكساه .

(فبلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعل قيس فقال: إنه في بيت جود)<sup>(٢)</sup> .

(١) مغازي الواقدي ٣١٥/١ .

(٢) مغازي الواقدي ٣١٥/١ .

ثم رزق الله عز وجل هذه السرية حوتاً ضخماً خرج من البحر باسناد الواقدي عن جابر بن عبد الله الأنصاري الذي كان في السرية ، إذ قال ( فأكل الجيش منه اثنتي عشرة ليلة، ثم أمر أبو عبيدة بضلع من أضلاعه فنصب، ثم أمر براحلة فرحلت، ثم مر تحتها فلم يصبها.

حدثني ابن أبي ذئب، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله، قال: إن كان الرجل ليجلس في وقب عينه، وإن كان الراكب ليمر بين ضلعين من أضلاعه على راحلته.

حدثني عبد الله بن الحجازي، عن عمر بن عثمان بن شجاع، قال: لما قدم الأعرابي على سعد بن عبادة قال: يا أبا ثابت والله ما مثل ابنك صنعت ولا تركت بغير مال؛ فابنك سيد من سادة قومه، نهاني الأمير أن أبيعته. قلت: لم؟ قال: لا مال له .

فلما انتسب إليك عرفته فتقدمت لما عرفت أنك تسمو على معالي الأخلاق وجسيمها، وأنتك غير مذم بمن لا معرفة له لديك. قال: فأعطى ابنه يومئذ أموالاً عظيماً<sup>(١)</sup>.

ولم يسأل قيس والمسلمون معه البدوي عن دينه ، ولم يقتلوه ولم يمنعوه حقه لأنه من الكفار إنما أعطوه حقه وزيادة .

وفي حديث للصحابي رافع بن خديج الأنصاري أن سعداً بن عبادة قال لابنه قيس في ثنائه على كرمه ومبادرته في إطعام أفراد السرية (فلك أربع حوائط قال وكتب له بذلك كتاباً قال وأتى بالكتاب إلى أبي عبيدة فشهد فيه وأتى عمر فأبى أن يشهد وأدنى حائط منها يجذ خمسين وسقاً)<sup>(٢)</sup>.

(١) مغازي الواقدي ١/٣١٥.

(٢) تاريخ دمشق ٤٩/٤١٤.

## من خصائص النبي محمد (ص)

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

لقد صدر لي والحمد لله الجزء الخامس من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وتتضمن الأجزاء الخمسة (٢١١٠) خصيصة مباركة ، انفرد بها النبي محمد من بين الأنبياء .

ومنها ما ورد بالإسناد عن عطاء بن السائب عن الإمام الباقر (عن أبيه ، عن جده ، عن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه عن النبي صلى الله عليه وآله قال : أعطيت خمسا لم يعطهن نبي كان قبلي أرسلت إلى الأبيض والأسود والأحمر .

وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد أو قال لنبي قبلي .  
و أعطيت جوامع الكلم. قال عطاء فسألت أبا جعفر، قلت وما جوامع الكلم قال القرآن<sup>(٢)</sup>.

وهل يدل الحديث على الحصر ، الجواب لا ، بدليل آيات وأحاديث أخرى تدل على خصائص ينفرد بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم . وهو الذي نسميه في علم الأصول (الحكومة) وهو اصطلاح حديث في الحوزة العلمية يفيد ورود دليل يوسع أو يضيق الدليل الأصل<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة التوبة ٦ .

(٢) الأمالي للطوسي ٥٣/٢ .

(٣) أنظر كتابي الموسوم (معراج الأصول) الجزء الثالث وهو تقريرات بحثي الخارج في أصول الفقه .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم (أرسلت إلى الأبيض والأسود و الأحمر) لإرادة عموم الناس ويدل عليه قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله (جعلت لي الأرض طهورا و مسجدا) للتيمم عند تعذر الطهارة المائية ، قال تعالى ﴿إِن كُنتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وهل قوله تعالى (نصرت بالرعب) شاهد على النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لم يغز أحداً ، الجواب نعم . وجاء هذا الجزء المبارك من تفسيري للقرآن بخصوص هذا القانون ، وهو الجزء الواحد والسبعون بعد المائتين .

فما أن يسمع المشركون بخروج النبي وسراياه من المدينة حتى يتفرقوا ، وهل يشمل الحديث قذف الرعب في قلوب المشركين وإن كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مقيماً في المدينة ، الجواب نعم ، وهو من عمومات قوله تعالى ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾<sup>(٣)</sup>.

(وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد أو قال لنبي قبلي) . وكان يوزعها على المسلمين وكثير منها كان يعيدها لأهلها . ولم يأخذ غنائم الحرب إلا من الذين حاربوه وبدأوا قتاله وأرادوا قتله . وأعطيت جوامع الكلم) لإحاطة كلمات القرآن المحدودة باللامحدود من الوقائع والأحداث .

(١) سورة سبأ ٢٨ .

(٢) سورة النساء ٤٣ .

(٣) سورة آل عمران ١٥١ .

## إفاضات النبوة

لقد صدرت خمسة أجزاء بعنوان (خصائص النبي محمد) وتتضمن الفين ومائة وعشرة من خصائص وخصال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الكريمة .

واذكر هنا مسألة لم تذكر في هذه الأجزاء وهي تقسيم خصائص النبي محمد إلى أقسام بما يساعد طلبة الدراسات العليا ونحوهم :

الأول : خصائص النبي محمد في القرآن وهي على شعب :  
الأولى : الخصائص التي ينفرد بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بين الرسل وفق آيات القرآن .

الثانية : الخصائص التي تجمع النبي محمد والرسل ، وعددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولاً .

الثالثة : الخصائص العامة .

الرابعة : خصائص النبي محمد القرآنية في العبادات ، قال تعالى ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾<sup>(١)</sup> ، وقال تعالى ﴿طه \* مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْتَبَى﴾<sup>(٢)</sup> .

الخامسة : خصائص النبي محمد في المعاملات .

الثاني : خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في سوح الدفاع ، ومنها :

الأولى : لم يبدأ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قتالاً .

الثانية : كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في حال دفاع .

الثالثة : أنه لم يفر في معركة أبداً .

(١) سورة الإسراء ٧٨ .

(٢) سورة طه ١-٢ .

الرابعة : كانت غاية المشركين في كل معركة في بدر وأحد ، والخندق ، وحنين ، قتل النبي فأنجاه الله بالمعجزة ، ففي معركة أحد صارت حجارة المشركين تصل إليه ، ونادى ابن قمئة قتلت محمداً .

الثالث : خصائص النبي محمد في سنته القولية والعقلية والتقريرية .

### خصائص النبي (ص) في الآخرة

خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الآخرة فوزه بالمقام المحمود وبمرتبة الشفاعة العظمى لأهل الكبائر من المسلمين .

وفي حديث عبادة بن الصامت أنهم كانوا في المسجد ومعهم أبو بكر (يقرئ بعضنا بعضاً القرآن، فجاء عبد الله بن أبي بن سلول ومعه ثمرقه وزربيه فوضع واتكأ وكان صبيحاً جديلاً، فقال: يا أبا بكر، قل لمحمد: يأتينا بآية كما جاء الأولون ، جاء موسى بالألواح وجاء داود بالزبور، وجاء صالح بالناقة ، وجاء عيسى بالإنجيل وبالمائدة، فبكى أبو بكر .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال أبو بكر: قوموا بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نستغيث به من هذا المنافق .

فقال رسول الله: إنه لا يقام لي، إنما يقام لله عز وجل، فقلنا، يا رسول الله، إنا لقينا من هذا المنافق، فقال إن جبريل قال لي: اخرج فأخبر بنعم الله التي أنعم بها عليك وفضيلته التي فضلت بها، فبشرني أنه بعثني إلى الأحمر والأسود، وأمرني إن أنذر الجن، وآتاني كتابه وأنا أمي وغفر ذنبي ما تقدم وما تأخر .

وذكر اسمي في الأذان وأيدني بالملائكة وآتاني النصر، وجعل الرعب أمامي، وآتاني الكوثر، وجعل حوضي من أعظم الحياض يوم القيامة، ووعدني المقام المحمود .

والناس مهطعون مقنعو رؤوسهم، وجعلني في أول زمرة تخرج من الناس، وأدخل في شفاعتي سبعين ألفاً من امتي الجنة بغير حساب، وآتاني السلطان والملك .

وجعلني في أعلى غرفة في الجنة في جنات النعيم فليس فوقني أحد إلا الملائكة الذين يحملون العرش، وأحل لي العنائم، ولم تحل لأحد كان قبلنا<sup>(١)</sup>.

و(عن العباس بن عبد المطلب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قال نبي الله داود: يا رب، أسمع الناس يقولون: رب إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، فأجعلني رابعاً، قال: إن إبراهيم ألقى في النار فصبر من أجلي، وإن إسحاق جاد لي بنفسه، وإن يعقوب غاب عنه يوسف وتلك بليّة لم تنلك)<sup>(٢)</sup>.

### من خصائص النبي (ص) في ميدان القتال

قد صدرت لي والحمد لله خمسة أجزاء من كتابي الموسوم (خصائص النبي محمد (ص)) ويمكن تقسيم خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تقسيماً استقرائياً إلى وجوه:

الأول: خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في علم التفسير والتأويل القولي والفعلي.

الثاني: خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في السنة النبوية القولية والفعلية والتقريرية.

الثالث: خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في بيان الأحكام والسنن.

الرابع: خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أهل بيته، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي)<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير ابن أبي حاتم ٣١٢/٩.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ١٠٥/١٢.

(٣) تفسير ابن كثير ٢٤٢/٢.

الخامس : الخصال الحميدة والخلق الكريم الذي يتصف به النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

السادس : خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في ميدان الدفاع والقتال ، وهو الذي صدت بخصوصه ثلاثون جزء وأن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لم يغز أحداً ، ولييان موضوعية الرعب الذي يقذفه الله في قلوب أعدائه .

وهل هذا الرعب من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup> ، الجواب نعم ، وفيه تخفيف عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمهاجرين والأنصار وحتى عن الكفار باصابتهم بالفزع والتفرق والعجز عن قتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وسرايا الإسلام .

والله وحده هو الذي يحصي المعارك الكثيرة التي محيت ولم تقع بسبب حال الرعب الذي يصيب الكفار عند سماعهم بقدوم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى ناحيتهم ، قال تعالى ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾<sup>(٣)(٤)</sup>.

(١) سورة القلم ٤.

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٣) سورة آل عمران ١٥١.

(٤) أنظر الجزء الثالث والعشرين بعد المائة من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

## بشر بن سفيان

لما توجه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نحو مكة في عام الحديبية قدم عليه بشر بن سفيان ، وهو من بني كعب من خزاعة ، وكانت خزاعة ناصحين لرسول الله صادقين معه لا يخفون عنه أمراً لذا قيل أنهم عيبة رسول الله مؤمنهم وكافرهم .

وعن (ابن عباس قال لما توجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يريد مكة في عام الحديبية قدم عليه بشر بن سفيان العتكي فسلم عليه فقال له: " يا بشر هل عندك علم أن أهل مكة علموا بمسيري .

فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله إني لأطوف بالبيت في ليلة كذا وسمي الليلة التي انشثوا فيها السفر وقريش في أُنديتها إذ صرخ صارخ في أعلى أبي قبيس بصوت أسمع قاصيهم ودانيهم يقول:

سيروا فصاحبكم قد سار نحوكم ... سيروا إليه وكونوا معشراً كرماً  
فذكر آياتاً فارتجت مكة واجتمعوا عند الكعبة فتحالفوا وتعاهدوا إلا تدخلها عليهم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم " هذا شيطان الأصنام يوشك أن يقتله الله " .

ثم ذكر إرساله إلى مكة يتجسس أخبارهم<sup>(١)</sup>.

لقد بعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بشر بن سفيان عيناً على أهل مكة ، ولما وصل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى عسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي

(فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ قُرَيْشٌ ، قَدْ سَمِعَتْ بِمَسِيرِكَ ، فَخَرَجُوا مَعَهُمُ الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ<sup>(٢)</sup> .

قَدْ لَبَسُوا جُلُودَ النَّمُورِ وَقَدْ نَزَلُوا بِذِي طُوًى ، يُعَاهِدُونَ اللَّهَ لَأَ تَدْخُلَهَا عَلَيْهِمْ أَبَدًا ، وَهَذَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي خَيْلِهِمْ قَدْ قَدَّمُوهَا إِلَى كُرَاعِ الْغَمِيمِ .

(١) الإصابة في معرفة الصحابة ١/١٠١.

(٢) أي الإبل مع أولادها ، والمطفل الناقة قريبة العهد بالنتاج معها طفلها .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : يَا وَيْحَ قُرَيْشٍ لَقَدْ أَكَلْتَهُمْ الْحَرْبُ ، مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ خَلَوْا بَيْنِي وَبَيْنَ سَائِرِ الْعَرَبِ ، فَإِنْ هُمْ أَصَابُونِي كَانَ الَّذِي أَرَادُوا ، وَإِنْ أَظْهَرَنِي اللَّهُ عَلَيْهِمْ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَأَفْرِينِ وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا قَاتَلُوا وَبِهِمْ قُوَّةٌ فَمَا تَظُنُّ قُرَيْشُ .

فَوَاللَّهِ لَا أَزَالُ أَجَاهِدُ عَلَى الَّذِي بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ تَنْفَرِدَ هَذِهِ السَّالِفَةُ<sup>(١)</sup> ثُمَّ قَالَ مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى طَرِيقٍ غَيْرِ طَرِيقِهِمُ الَّتِي هُمْ بِهَا<sup>(٢)</sup> لِيَبَانَ قَانُونُ إِجْتِنَابِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَلَاقَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَمَنْعَهُ مِنْ مَقَدِمَاتِ الْقِتَالِ .

وكان بشر بن سفيان يحمل راية بني كعب بن خزاعة يوم فتح مكة ، إذ ورد أنهم مروا على العباس بن عبد المطلب وأبي سفيان ، وسأل أبو سفيان عنهم كما في حديث عبد الله بن عباس قال (ثم مرت بنو كعب بن عمرو يحمل رايتهم بشر بن سفيان قال من هؤلاء قال بنو كعب بن عمرو قال نعم هؤلاء حلفاء محمد فلما حاذوه كبروا ثلاثا .

ثم مرت مزينة في ألف فيها ثلاثة ألوية وفيها مائة فرس يحمل ألويتها النعمان بن مقرن وبلال بن الحارث وعبد الله بن عمرو<sup>(٣)</sup> .

### سرية بشر بن سفيان

لقد أرسل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بشر بن سفيان العدوي إلى بني كعب من قبيلة خزاعة في سرية .

ولم تكن سرية قتال إنما هي سرية إستطلاع ، ورؤية كيفية عبادة بني كعب وأدائهم الصلاة مع نصحتهم وتفقههم في الدين ، وجمع أموال الزكاة مما تعلق في أموالهم ، وكان مع بشر بن سفيان صحابي واحد ، أي أن عدد أفراد السرية اثنين .

(١) السالفة : جانب العنق ، وهما سالفتان .

(٢) الإصابة في معرفة الصحابة ٢٢ / ٣٠٩ .

(٣) تاريخ دمشق ٤٥٢/٢٣ .

ومع هذا تسمى سرية ، وأمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يأخذ العفو أي الزائد ، ويتوقى كرائم أموالهم .

ولما وصل بشر بن سفيان إلى بني كعب من خزاعة أمرهم بجمع مواشيهم ، ليأخذ منها الزكاة ، فقاموا بجمعها وأخرجوا أعيان الزكاة برضا ، وكان معهم على عين الماء قوم من تميم فاستكثروا أخذ هذه الأنعام ، وقالوا ما لهذا يأخذ أموالكم منكم بالباطل .

(فقال الخزاعيون: نحن قوم ندين بدين الاسلام وهذا أمر ديننا .

فقال التميميون: لا يصل الى بغير منها أبدا)<sup>(١)</sup> .

وشهرت تميم السيوف واستعدوا للقتال ، فهرب بشر بن سفيان لأنه جاء مصدقاً وليس للقتال .

عندئذ اجتمع الخزاعيون وقرروا طرد بني تميم من جوارهم ، وقالوا لهم لولا قرابتكم لما جعلناكم تصلون بأمان بلادكم ، إنما أردنا إعطاء ما يجب علينا من زكاة .

وقالوا (لتدخلن علينا بلاء من عداوة محمد وعلى أنفسكم، حيث تتعرضون لرسول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، تردونهم عن صدقات أموالنا. فخرجوا راجعين إلى بلادهم)<sup>(٢)</sup> .

ليان تفقه المسلمين في الدين وإن كانوا بعيدين عن المدينة بدلالة عملهم بأحكام آية الصدقات ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾<sup>(٣)</sup> .

فخرجت هذه البيوت من تميم وعادت إلى ديارها فسارع بشر بن سفيان بالعودة إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأخبره بالأمر .

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٦/٢١٢ .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٥/٢٩٢ .

(٣) سورة التوبة ٦٠ .

## سرية عيينة بن حصن

لقد عاد بشر بن سفيان من سرية من غير أن يجلب الصدقات من بني كعب من خزاعة ، وأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن رهطاً من بني تميم هم السبب .

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من لهؤلاء القوم الذين فعلوا ما فعلوا ، أي منعوا خزاعة من إخراج الزكاة ودفعها إلى المصداق الذي بعثه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

فبادر عيينة بن حصن الفزاري (أنا والله لهم أتبع آثارهم ولو بلغوا يبرين حتى آتيك بهم إن شاء الله فترى فيهم رأيك أو يسلموا)<sup>(١)</sup>.

لقد انتدب عيينة بن حصن نفسه للذهاب إلى بني تميم ، فبعث معه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خمسين فارساً من العرب ، ليس فيهم مهاجر ولا أنصاري واحد ، فكانوا يسيرون ليلاً ، ويكمنون في النهار كيلاً يعلم بنو تميم بقدمهم ، وليدخلوا عليهم بغتة من أجل حقن الدماء ، وصار عيينة يتبع أثرهم ويسأل عنهم .

فأخبره الناس (أنهم قد عارضوا إلى أرض بني سليم ، فخرج في أثرهم حتى وجدهم قد عدلوا من السقيا يؤمون أرض بني سليم في صحراء قد حلوا وسرحوا مواشيهم والبيوت خلف ليس فيها أحد إلا النساء ونفير .

فلما رأوا الجمع ولوا وأخذوا منهم أحد عشر رجلاً ، ووجدوا في المحلة من النساء إحدى عشرة امرأة وثلاثين صبياً ، فحملهم إلى المدينة)<sup>(٢)</sup>.

لقد سار عيينة حتى ادرك في الصحراء هؤلاء القوم من بني تميم الذين أصرروا على منع المسلمين من إخراج الزكاة ومنع وصول الزكاة إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، ووجدهم عيينة قد سرحوا

(١) مغازي الواقدي ٣/٩٧٤.

(٢) مغازي الواقدي ٣/٩٧٥.

مواشيهم فولى أكثرهم هارين وتركوا بيوتهم وأنعامهم ، فأخذ عيَّنة منهم أحد عشر رجلاً وإحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبياً ، وساقهم إلى المدينة فأنزلوا في دار رملة بنت الحارث ، لينظر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من يقدم من قبيلة تميم .

أي أنه لم يقتل أحداً ، فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم توصيته للسرايا وامرائها بالرفق والرافة ، والتنزه عن الغدر وعن الغلبة ، وإجتنب التعرض للنساء والصبيان والشيوخ ، وأصحاب الصومعات.

### تأمر قريش بعد صلح الحديبية

لقد تم صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة بشروط منها الهدنة لعشر سنوات يأمن فيها الناس ، ويكف بعضهم عن بعض بصيغة المواعدة (وإنَّ بَيْنَنَا عِيَّةً مَكْفُوفَةٌ وَأَنَّهُ لَا إِسْلَالَ وَلَا إِغْلَالَ وَأَنَّهُ مِنْ أَحَبِّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ فِيهِ وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ فِيهِ)<sup>(١)</sup>.

وأن يرجع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من الحديبية فلا يؤدوا العمرة ، إنما يأتون في قابل بسلاح الراكب ، السيوف في أغمادها فيؤدوا العمرة ، ويقون ثلاثة أيام في مكة .

والتي تسمى عمرة القضاء ولها أسماء أخرى وهي :

الأول : عمرة القصاص للإقتصاص من قريش لمنعهم المسلمين من العمرة في الحديبية .

الثاني : عمرة صلح الحديبية لأنها شرط من شروط صلح الحديبية .

الثالث : عمرة القضية من المقاضاة والمصالحة .

الرابع : عمرة المقاضاة .

ويمكن أن نضيف لها أسماء وهي :

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ٣١٧/٢ .

الخامس : عمرة السنة السابعة للهجرة .

السادس : العمرة مقدمة الفتح لأنها من مصاديق قوله تعالى ﴿ إِنَّا

فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾<sup>(١)</sup> ، الآية التي نزلت عند عودة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من صلح الحديبية ولأول مرة بعد الهجرة دخل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مكة في هذه العمرة وطاف بالبيت الحرام ، وهي باشرة فتح مكة سلماً .

### أسباب معركة حنين

قد تقدم في الجزء السادس والستين بعد المائتين عنوان (من هم الغزاة في معركة حنين)<sup>(٢)</sup> مع البيان بالدليل أن هوازن وثقيفأ هم الغزاة ، وهو المستقرأ من الآيات والسنة والوقائع وكتب التفسير والسيرة ، ومع هذا يعدونها غزوة من غزوات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على المشركين .

وقد يكون وصف الغزوة عاماً ، ويراد منه مسير النبي محمد في طلائعه سواء وقع القتال أو لا .

وحينما علمت هوازن وثقيف بنبا فتح النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لمكة سلماً ومن غير قتال يذكر امتلأت صدورهم بالغیظ والحسد ، وتناجوا بالهجوم على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، ويظهر أنهم يعلمون عدد أصحاب النبي محمد يومئذ وكانوا عشرة آلاف على أكثر التقادير .

فغزمت هوازن وثقيف على قتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لوجوه :

الأول : خشية الإنقياد لأحكام الشريعة ، وما فيها من مسائل الحلال والحرام ، وحضورها في الواقع اليومي للفرد والجماعة وصلاة كل مسلم

(١) سورة الفتح ١ .

(٢) أنظر الجزء السادس والستين بعد المائتين ص ٢٤٨ من هذا السفر .

ومسلمة خمس مرات في اليوم ، وكانت ثقيف تأنف من الركوع والسجود ، كما استبان في مجيئهم في السنة التاسعة للهجرة إلى المدينة لدخول الإسلام فمما سألوا النبي حط الصلاة عنهم ، وقالوا (فإننا لا ننحني فإنها سبة ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأجابهم بقانون ثابت إلى يوم القيامة إذ قال : لا خير في دين لا صلاة فيه)<sup>(١)</sup>.

وفي قوله تعالى ﴿وَيْلٌ لِّيَوْمِئذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ \* إِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ، قال مقاتل (نزلت في ثقيف حين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالصلاة) وذكر قولهم أعلاه .

ولكنهم لم يأتوا مكذبين بل جاءوا لدخول الإسلام ولم يغادروا المدينة يومئذ إلا وقد دخلوا الإسلام .

ليان جهاد النبي محمد في صبره وهدايته للناس وآيات التنزيل .

الثاني : المائز بين هوازن وثقيف وبين قريش من جهة اتقان فنون الحرب والقتال إذ كانت هوازن وثقيف يظنون أنهم أشد بأساً في القتال ، ولهم القدرة على مواجهة النبي وأصحابه .

ولم يعلموا أنه كان يقاتل بالمعجزة والمدد الملكوتي حتى رأوه في معركة حنين ، فكان هذا المدد سبب هزيمتهم وعذابهم وخزيهم يومئذ ، إذ قال تعالى بخصوص معركة حنين ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup> .

الثالث : كثرة رجال وأموال هوازن وثقيف ، وتعدد حلفائهم من القبائل مثل نصر ، وجشم ، وسعد بن بكر .

الرابع : طمع ثقيف في بساتين قريش التي في الطائف ، فظنوا أنهم إذا هزموا المسلمين استحوزوا على تلك البساتين .

(١) المحرر الوجيز ٤٧٦/٦ .

(٢) سورة المرسلات ٤٧-٤٨ .

(٣) سورة التوبة ٢٦ .

الخامس : حب ثقيف لصنمهم اللات ، إذ سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم في السنة التاسعة للهجرة التمتع باللات سنة فأبى عليهم .

السادس : عمل ثقيف في الربا وحرمة في الإسلام ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾<sup>(١)</sup> وقد صدرت والحمد لله الأجزاء (٩٤-٩٥-٩٦-٩٧) من هذا السفر المبارك خاصة بتفسير هذه الآية الكريمة .

السابع : علم ثقيف بأن الإسلام يحرم الزنا وشرب الخمر .  
الثامن : إحتمال سعي هوازن وثقيف للإستيلاء على مكة ، وأخذ سدانة الكعبة من قريش بالقوة ، ولم نجد هذا السبب في كتاب آخر .  
 وهل خرج المؤلفه قلوبهم وبعض الكفار في ملتهم مثل صفوان بن أمية إلى جانب النبي محمد في معركة حنين للدفاع عن البيت الحرام من استحواذ ثقيف عليه ، الجواب يمكن أن يكون هذا الأمر عند بعضهم لمجئ الأخبار إلى مكة بأن هوازن وثقيفاً خرجوا بجيوش عظيمة من الطائف للهجوم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه .

وإلا فان أبا سفيان عندما رأى هزيمة الطلائع الأولى للمسلمين قال (لَا تَنْتَهِي هَزِيمَتُهُمْ دُونَ الْبَحْرِ وَإِنَّ الْأَزْلَامَ لَمَعَهُ فِي كِنَانَتِهِ .  
 وصرخ جبلة بن الحنبل قال ابن هشام : كلدة بن الحنبل وهو أخيه صفوان بن أمية مشرك في المدة التي جعل له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا بطل السحر اليوم فقال له صفوان أسكت فض الله فاك فوالله لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن)<sup>(٢)</sup> .

(١) سورة آل عمران ١٣٠ .

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية ٤٤٣/٢ .

## الدفاع يوم حنين

جرت معركة حنين بعد فتح مكة بين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من جهة وبين جيوش هوازن وثقيف من جهة أخرى في العاشر من شوال من السنة الثامنة للهجرة.

فالتبادر دخول العرب بعد فتح مكة الإسلام ولكن هوازن وثقيفاً أعلنوا النفير وتهيئوا لقتال النبي .

(واجتمعت نصر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من بني هلال، وهم قليل، ولم يشهدا من قيس عيلان إلا هؤلاء.

وغاب عنها ولم يحضرها من هوازن كعب وكلاب، ولم يشهدا منهم أحد له اسم)<sup>(١)</sup>.

والتقت معهم قبائل أخرى فساروا عشرين ألفاً نحو وادي حنين وأخذوا معهم جميع نسائهم وصبيانهم وأنعامهم للإستماتة في الدفاع عنها ، وكنوا في شعاب ومضاف الوادي واستعدوا للهجوم.

وكان عندهم عيون تخبرهم عن مسير النبي وأصحابه من المهاجرين والأنصار وعددهم عشرة آلاف ، ومعهم ألفان من مسلمة فتح مكة .

حتى إذا رأوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه يسيرون في عماية الصبح في وادي حنين خرجت هوازن وثقيف من الشعاب والأودية وهجموا عليهم هجمة رجل واحد ، وفرت سرايا الأولى من المسلمين .

وثبت النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مكانه مع قلة من أصحابه وأهل بيته ، فعاد لهم الذين فروا .

ليبان انتفاع المسلمين من الآيات القرآنية التي نزلت بخصوص معركة أحد وفرار كثير من الصحابة ، قال تعالى ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلَوْنَهَا عَلَى

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٦١١/٣.

أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍ لَكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَيَّ مَا فَاتَكُمُ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١﴾ (٢).

فعادوا في حنين إلى جانب من ثبت في مكانه ، وكان الذي يمتنع بغيره عن الإستدارة يتركه ، ويأخذ سيفه ودرعه ويتوجه للدفاع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ونزلت الملائكة للنصرة ، ورمى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بحصى على المشركين .

وتنادى الأنصار : يا معشر الأنصار ، يا معشر الأنصار .

ثم اختصت الدعوة على بني الحارث من الخزرج فدافعوا ضد الغزاة المعتدين من هوازن وثقيف .

واجتمع حول النبي حينها مائة من الصحابة .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (الآن حمي الوطيس :

أنا النبي لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب) (٣).

وأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال : انهزموا ورب محمد ، فملاً التراب عيونهم بتلك القبضة ونزل الملائكة للنصر وبالنصر .

وعن العباس بن عبد المطلب والذي كان حاضراً واقعة حنين مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال في حديث (أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَصِيَّاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وَجُوهَ الْكُفَّارِ ثُمَّ قَالَ انْهَزَمُوا وَرَبُّ الْكَعْبَةِ انْهَزَمُوا وَرَبُّ الْكَعْبَةِ قَالَ فَذَهَبَتْ أَنْظَرُ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئِهِ فِيمَا

(١) سورة آل عمران ١٥٣ .

(٢) قد صدرت بفضل ولطف من الله عز وجل ثلاثة أجزاء من كتابي الموسوم (معالم الإيمان في تفسير القرآن) بخصوص هذه الآية الكريمة مع قلة كلماتها ، وهذه الأجزاء هي (١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨) .

(٣) مجمع البيان ٢٩/٥ .

أَرَى قَالَ فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِحَصِيَّاتِهِ فَمَا زَلَّتْ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا حَتَّى هَزَمَهُمُ اللَّهُ قَالَ وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَرْكُضُ خَلْفَهُمْ عَلَى بَغْلَتِهِ<sup>(١)</sup>.

وتسمى هذه البغلة : البيضاء ودلّل اهداها له الأمير فروة بن نفاعة ، الذي كان منزله وإمارته في معان وما حولها من أرض الشام ، أسلم في أيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ليبان أن هوازن وثقيفاً هم الغزاة المعتدون يوم حنين ، ومع هذا تذكر كتب التاريخ والسنة أن حنيناً من غزوات النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد بينا الأمر في الجزء السادس والستين بعد المائتين من تفسيري للقرآن .

### معجزات يوم حنين

قال تعالى ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كُرُوكُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

لقد صدر لي بفضل ولطف من عند الله عز وجل الجزء الخامس من كتاب (خصائص النبي محمد (ص) ) ويتضمن خمسمائة وستين خصيصة وخصلة مباركة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وهل من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصف أكثر المفسرين وكتاب السيرة له بأنه غاز ، وعدد غزواته سبع وعشرون غزوة ، الجواب لا ، فلم يغز النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أحداً .

ونأخذ مثلاً معركة حنين إذ يسميها المفسرون وكتاب السيرة غزوة حنين ، بمعنى أن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو الغازي يومئذ ، وآيات القرآن والوقائع والشواهد بخلافه .

(١) مسند أحمد ٤/٢٠٦ .

(٢) سورة التوبة ٢٥-٢٦ .

فمن إعجاز القرآن توثيقه للوقائع والأحداث قبل النبوة وأيام النبوة ، وإخباره عن المغيبات .

وتسمية هذه المعركة باليوم لتكون يوماً من أيام التأريخ ، ودعوة للمسلمين والناس جميعاً أن لا تشغلوا بحرب البسوس وداحس والغبراء ، هذا اليوم يوم حنين حيث الحرب بين الإيمان والكفر ، وتجلي المعجزات النبوية ، ويمكن القول بقانون معجزات النبي محمد مانع من الإرهاب ، وهو من مصاديق ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

لقد تفاجئ العرب بفتح مكة ، فمن شروط صلح الحديبية الهدنة عشر سنوات ، ابتداء من شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة ولم يظنوا أن قريشاً ستنقض الهدنة .

ولم ترض هوازن وثقيف بالهدنة إذ أدركوا أنها مناسبة لنشر الإسلام ، خاصة وأن الناس صاروا يدخلون الإسلام جماعات .

فأخذ رؤساء ورجالات هوازن وثقيف يتدارسون بينهم كيف يوقفون المد الإسلامي الذي صار يدخل بيوتهم ويهدد مشيختهم ، ويقطع ملذاتهم بضوابط الحلال والحرام .

وأن الإسلام لا يفرق بين السيد والعبد في الحقوق والواجبات الشرعية . ولما نقضت قريش بند صلح الحديبية ، وأعانت حلفاءهم بني بكر على خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قدم وفد خزاعة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة مستصرخين مستغيثين طالبين النجاة .

ولما فتحت مكة مسلماً بمعجزة من عند الله عز وجل والمتبادر أن القبائل تدخل الإسلام تبعاً لأهل مكة ، ولكن ثقيف وهوازن خالفوا هذا الأصل . وقبل فتح مكة يعدون العدة لقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعزموا على ملاقاته ، وصاروا يحرضون القبائل على قتاله .

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.

(وقالوا: قد فرغ لنا فلا ناهية له دوننا، والرأي أن نغزوه، فحشدوا وبغوا وقالوا: والله إن محمدا لاقى قوما لا يحسنون القتال فاجمعوا أمركم، فسيروا في الناس وسيروا إليه قبل أن يسير إليكم)<sup>(١)</sup>.

فأجمعت هوازن أمرها إلى مالك بن عوف ، وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة ، ووصل إلى سمع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما عزمت عليه هوازن وثقيف فارسل عليه السلام عبد الله بن حدرد ليأتي بخبرهم فتأكد من جمعهم الجيوش.

وخرجت هوازن في عشرين ألفا ، وأخرجوا معهم النساء ، والصبيان والإبل والشيء ليدافعوا عنهم في المعركة ولكنهم وقعوا غنائم وسبايا فأطلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم السبي جميعهم.

وفيه شاهد بأن هوازن وثقيفاً هم الغزاة في معركة حنين ، وأنهم باغتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الذين كانوا يسيرون خارجين من مكة .

وفيه شاهد على قبح تعدي وإرهاب المشركين في أيام السلم والأمن بفتح مكة .

ولينزل الملائكة لنصرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، وفيه دعوة للمسلمين للإمتناع عن الظلم والإرهاب .

ولقد جعل الله عز وجل الإنذار قريبا من الناس وإن كانوا مشركين ليتداركوا أمرهم .

وذكر (أن مالك بن عوف بعث عيوناً من رجاله ، فأتوه وقد تفرقت أوصالهم فقال ويلكم ما شأنكم ؟ فقالوا رأينا رجالاً بيضا على خيل بلق<sup>(٢)</sup> فوالله ما تماسكتنا أن أصابنا ما ترى ، فوالله ما رده ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد)<sup>(٣)</sup>.

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٣١٠/٥ .

(٢) الخيل البلق : التي فيها بياض وسواد ، والدهم : جمع أدهم ودهماء وهو السواد.

(٣) ابن هشام / السيرة النبوية ٤٣٩/٢ .

وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾<sup>(١)</sup> وهم الملائكة .  
 وكان عدد أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم اثني عشر ألفاً .  
 وكانت الغنائم التي استولى عليها المسلمون يوم حنين (٢٤) ألفاً من  
 الإبل ، و(٤٠) ألفاً من الغنم .  
 وأعاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم النساء والصبيان وعددهم  
 ستة آلاف .

﴿أَعْجَبْتُكُمْ كَثْرَتِكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> كيفية نفسانية ، أما ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾  
 أمر يدل على حال الشدة التي صار عليها المسلمون بسبب الهجوم المباغت  
 لهوازن وثقيف .

لقد تعرض النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه لأشد أنواع  
 الإرهاب فنصرهم الله ، لبيان أن جبل الكفر قصير ، ولا يؤدي إلا إلى  
 الخسارة والندامة ، وفي التنزيل ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ  
 زَهُوقًا﴾<sup>(٣)</sup> .

### لماذا سعى المشركون لقتال النبي (ص)

لقد سخر مشركو قريش وحلفاؤهم أموالهم وتجارتهم وما لهم من جاه  
 لمحاربة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وغزو المدينة في مشهد لم  
 يحدث مع أي من الأنبياء السابقين ، ويبلغ عددهم مائة وأربعة وعشرين  
 ألف نبي ، وخاتمهم هو رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذه  
 الحقيقة ظاهرة في القرآن ، والأخبار التي وردت من المسلمين وغيرهم .

(١) سورة التوبة ٢٦ .

(٢) سورة التوبة ٢٥ .

(٣) سورة الإسراء ٨١ .

وقد ذكرت كتب السيرة النبوية أن عدد غزوات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ست وعشرون غزوة ، وسبع وعشرون غزوة مع بيان أسمائها مثل غزوة بدر ، غزوة أحد ، غزوة الخندق .

ولا أصل لهذه التسمية وهذا العدد إنما كان المشركون هم الغزاة فيها ، بشواهد من القرآن والسنة ، وتفصيل الوقائع في هذه المعارك ، لذا صدر لي والحمد لله بين أجزاء التفسير تسعة وعشرون جزء بعنوان (لم يغز النبي (ص) (أحدا) وهذا الجزء الذي بين يديك هو الثلاثون من ذات السلسلة بمنهجية حسب تسلسل تواريخ الوقائع أيام النبوة .

لقد تيقن المشركون أنهم الأكثر عدداً وعدة ، وأن شرائع الإسلام تهدد سلطانهم وطغيانهم فبادروا إلى قتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، لتتجلى أمور :

الأول : قانون الملازمة بين الشرك والإرهاب .

الثاني : قانون خيبة وخسارة الذي يتخذ الإرهاب سبيلاً ومنهاجاً ، وعندما غزا المشركون المدينة في النصف من شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة في معركة أحد انقلبوا بعد المعركة خائبين ، ونزل قوله تعالى ﴿لَيَقَطَعَنَّ طَرَفَايِنِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾<sup>(١)(٢)</sup> .

الثالث : لقد أدرك المشركون أن قوة الإسلام في تنامي ، وأن عدد المسلمين يزداد كل أسبوع وكل شهر ، ويفادر شباب وكهول من مكة إلى المدينة مهاجرين ، لتأتي الأخبار إلى مكة بأنهم في خير وغبطة وصلاح .

فعزم المشركون على التعجيل بالإجهاز على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من المهاجرين والأنصار ، وفيه أمور :

الأول : قانون المشركين هم الغزاة المعتدون .

(١) سورة آل عمران ١٢٧ .

(٢) أنظر الجزء الواحد والثمانين من هذا السفر وهو خاص بتفسير هذه الآية .

الثاني : قانون امتناع النبي محمد عن الغزو ، وعن مقابلة الغزو بمثله ، وفيه دعوة لكل مسلم ومسلمة لتعاهد السلم المجتمعي وقانون تنزه المؤمنين عن التعدي والإرهاب .

الثالث : قانون خيبة المشركين في غزوهم المدينة ، قال تعالى ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا <sup>(١)</sup> مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴾ .

لقد جاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالدعوة السلمية إلى التوحيد والإيمان ، قال تعالى ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ <sup>(٢)</sup> . ولكن المشركين أرادوا قتله في فراشه ، فنزل جبرئيل بالأمر بهجرته إلى المدينة حيث صار عدد أصحابه في زيادة ومضاعفة متجددة يقيمون الصلاة ويستبشرون بفضل الله بهدايتهم للإسلام .

وفي السنة الثانية للهجرة هجم مشركو قريش فكانت معركة بدر لإرادة قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجعل أصحابه بين قتيل وأسير ، ومنع نزول القرآن .

فهزمهم الله عز وجل لذا نسب نصر النبي محمد وأصحابه لنفسه تعالى إذ قال ﴿ وَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

### جمع الجيوش لغزو المدينة بعد صلح الحديبية

لقد كان صلح الحديبية خاصاً بين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ورجال قريش ، فلم يكن عاماً في الجزيرة ، لذا بلغ النبي محمداً أن غطفان يجمعون في الجنب للإغارة على المدينة المنورة .

(١) سورة آل عمران ١٢٧ .

(٢) سورة النحل ١٢٥ .

(٣) سورة آل عمران ١٢٣ .

وبعث إليهم عيينة بن حصن الفزاري يعلن تأييده لهم ، ويخبرهم بين المجئى له أو يأتيهم برجاله (فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ أَنْ سِرَّ إِلَيْنَا حَتَّى نَزْحَفَ إِلَى مُحَمَّدٍ جَمِيعًا ، وَهُمْ يَرِيدُونَكَ أَوْ بَعْضَ أَطْرَافِكَ) (١).

في تحريض له على المشاركة في غزو المدينة ليسبق سرايا النبي له ولكن لم ينو النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث سرية نحوه وكان اسمه حذيفة ، ولكن أصابته شجة فجحظت عيناه فسمي عيينة وهو من الأعراب .

وسماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (الْأَحْمَقُ الْمَطَاعُ لِأَنَّهُ كَانَ مِنَ الْجَرَّارِينَ تَتَّبَعُهُ عَشْرَةُ آلَافٍ قَنَاةً) (٢).

وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن شر الناس من ودعه الناس اتقاء شره وفي رواية أخرى : أنه قال إني أداريه لأنني أخشى أن يفسد علي خلقا كثيرا (٣).

هذا بعد إسلامه ، إذ أنه اسلم قبل فتح مكة ، فشهد الفتح وحينما وحصار الطائف ، ولكنه إرتد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقاد قبائل غطفان تحت أمرة طليحة بن خويلد الأسدي .

### جفاء عيينة

لما أذن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بترك حصار الطائف ، والرحيل إلى المدينة ، أظهر عيينة بن حصن جفاه ونفاقه ، ومدح أهل الطائف لبقائهم خلف أسوارها .

وقال (أَجَلٌ وَاللَّهِ مَجْدَةٌ كَرَامًا ؛ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَاتَلِكَ اللَّهُ يَا عِيْنَةُ أَمَدَحَ الْمُشْرِكِينَ بِالْأَمْتِنَاعِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ جِئْتَ تَنْصُرُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(١) مغازي الواقدي ١/ ٧٢٨ .

(٢) القناة : الرمح .

(٣) الروض الأنف ٢/ ٤١٧ .

فَقَالَ إِنِّي وَاللَّهِ مَا جِئْتُ لَأُقَاتِلَ ثَقِيفًا مَعَكُمْ وَلَكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ يَفْتَحَ مُحَمَّدٌ  
الطَّائِفَ فَأَصِيبَ مِنْ ثَقِيفٍ جَارِيَةٍ أَنْطِطُهَا لَعَلَّهَا تَلِدُ لِي رَجُلًا ، فَإِنَّ ثَقِيفًا قَوْمٌ  
مَنَاكِيرٌ<sup>(١)</sup> (٢).

أي ذوو دهاء وفطنة .

ولم يستحضر هزيمتهم في معركة حنين مع أنهم بدأوا الهجوم على النبي  
محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، وقيام النبي باعطاء عيينة نفسه  
مائة بعير .

والمشهور أن مع عيينة عشرة آلاف من قومه فزارة تحت أمرته .  
ولكن اشترك عيينة وقومه في معركة الأحزاب ومحاصرتهم المدينة المنورة  
في شوال من السنة الخامسة للهجرة واضطرار النبي محمد صلى الله عليه  
وآله وسلم وأصحابه لحفر خندق حولها بمشورة من سلمان المحمدي ،  
وحضرت جيوش قريش وحلفائها من الأحابيش وغطفان (فزارة وبنو مرة ،  
وأشجع) وعلى كل منهم رئيس ، وهم الغزاة .

نعم (ذَكَرَ قَائِدَ غَطَفَانَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ ، وَهُوَ عَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ)<sup>(٣)</sup> .  
ومعهم حلفاؤهم من بني أسد وسليم ، وقبيلة هذيل ، وخزاعة وغيرها .  
وكان مجموع هذه الجيوش عشرة آلاف ، وحتى على فرض أن رهطاً من  
فزارة لم يشتركوا في الأحزاب فان عددهم في الجزيرة لا يصل إلى عشرة  
آلاف ، وكثرة هذه القبائل ورجالها تم هزيمتهم ورؤسائهم .

وفيه شاهد على الإعجاز في رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله  
وسلم لبيان أن من خصائصه هزيمة أعدائه مع أن أعدادهم وعدتهم  
أضعاف عدد المسلمين وعدتهم .

(١) مناكير: ذوو دهاء وخداع .

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية ٤٨٤/٢ .

(٣) الروض الأنف ٤١٧/٣ .

## خوف عيينة

لقد كان عيينة بن حصن فاراً خائفاً في السنة السابعة أمام سرية من سرايا المسلمين تتألف من ثلاثمائة رجل برئاسة بشير بن سعد لتفريق جمعهم عندما بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن غطفان يجمعون الجيوش للإغارة على المدينة .

وقد فاجئت هذه السرية عيينة بن حصن وأصحابه فناوشوهم (ثم انكشف جمع عيينة وتبعهم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأصابوا منهم رجلاً أو رجلين فأسروهما أسراً، فقدموا بهما على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأسلما فأرسلهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

قالوا: وكان الحارث بن عوف المري حليفاً لعيينة ولقيه منهزماً على فرس له عتيق يعدو به عدواً سريعاً ، فاستوقفه الحارث فقال : لا ما أقدر الطلب خلفي أصحاب محمد وهو يركض<sup>(١)</sup> .

فحمل الحارث بن عوف وهو رئيس بني مرة كلام عيينة على حمل الجد وصار يخاف هو الآخر من سرايا النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيقول (فتتحت عن سنن خيل محمد حتى أراهم ولأ يروني، فأقمت من حين زالت الشمس إلى الليل ما أرى أحداً - وما طلبوه إلا الرعب الذي دخله)<sup>(٢)</sup> .

فلقد ملأ الرعب قلب عيينة مع عدم وجود سرية تتعقبه أو تلاحقه ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿سُنُّتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾<sup>(٣)</sup> .

(١) مغازي الواقدي ٧٢٩/٢ .

(٢) مغازي الواقدي ٧٢٩/٢ .

(٣) سورة آل عمران ١٥١ .

ولقي الحارث عيينة بعد هذه الواقعة فأخبره بأنه أقام في الموضع إلى الليل فلم ير سرية أو جيشاً للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فاقر عيينة بالأمر .

وقال (هُوَ ذَاكَ إِنِّي خِفْتُ الْإِسَارَ وَكَانَ أَثْرِي عِنْدَ مُحَمَّدٍ مَا تَعَلَّمُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ)<sup>(١)</sup>.

يريد إيذائه للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين في معركة الخندق وغيرها .

### بداية رئاسة عيينة لقومه

وكانت بداية رئاسة عيينة لقومه أن أباه حصن بن بدر الفزاري طعنه كرز بن عامر العقيلي طعنة ، فاشتد عليه مرضه وألمه بسبب هذه الطعنة . وكان عنده بنون عشرة (الموت أروح مما أنا فيه ، فإياكم يطيعني؟ قالوا: كلنا لك مطيع .

فبدأ بأكبرهم ، فقال: خذ سيفي هذا ، فضعه على صدري ، ثم اتكئ عليه حتى يخرج من ظهري .

فقال: يا أبتاه ، وهل يقتل الرجل أباه؟ فعدل عنه إلى ولده ، كلهم يقول مقالة الأول ، حتى انتهى إلى عيينة ، فقال: - يا أبتاه ، أليس لك فيما تأمرني به سلوى وراحة ، ولك مني فيه طاعة؟ قال: بلى .

قال: فمرني كيف أصنع .

قال حصن : ألق السيف يا بني ، فإني أردت أن أبلوكم فأعرف أطوعكم لي في حياتي ، فهو أطوعكم لي بعد وفاتي ، فاذهب فأنت سيد ولدي من بعدي ، ولك رياستي .

وليس من حكمة في نتيجة هذا الإختيار ، وترتيب الأثر عليه على فرض حدوثه ، لأن الرياسة تستلزم الحلم والحكمة والبر والإحسان .  
(ولعل لهذه الواقعة موضوعية في تسميته (الأحْمَقُ الْمُطَاع)<sup>(١)</sup> .

(١) معازي الواقدي ٧٢٩/٢ .

و(عن ابن بريدة قال : دخل عيينة بن حصن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في يوم حار وعنده سلمان عليه جبة من صوف ، فثار منه ریح العرق في الصوف ، فقال عيينة : يا محمد ، إذا نحن أتيناك فأخرج هذا وضرباه من عندك؛ لا يؤذونا؛ فإذا خرجنا فانت وهم أعلم ، فأنزل الله ﴿وَلَا تَطْعَمَنْ أَعْغَلْنَا قَلْبَهُ﴾ (٢) (٣).

(ومما يذكر من جفائه أن عمرو بن معدي كرب نزل به ضيفا ، فقال له عيينة هل لك في الخمر تتادم عليها ؟ فقال عمرو : أليست محرمة في القرآن .

فقال عيينة إنما قال فهل أنتم متتهون فقلنا نحن لا ، فشربا) (٤).  
فجمع بني بدر ، فأعلمهم بذلك .

ثم قال حصن بن بدر : اسمعوا ما أوصيكم به ، لا يتكلن آخركم على فعال أولكم ، فإن الذي يدرك به الأول حجة على الآخر ، وانكحوا الكفيء من العرب فإنه عزّ حادث ، وإذا حاربتم فأوقعوا ، وقولوا وصدقوا ، فإنه لا خير في الكذب .

وصونوا الخيل فإنها حصون الرجال ، وأطيلوا الرماح فإنها قرون الخيل . واغزوا الكثير بالكثير ، وبذلك كنت أغلب ، ولا تغزوا إلا بالعيون (يعني بالأشراف) ، ولا تسرحوا حتى تأمنوا الصباح .

وعجلوا القرى فإن خيره أعجله ، وأعطوا على حسب المال ، فإنه أبقى لكم ، ولا تحسدوا من ليس مثلكم ، فإنما يحسد القوم أمثالهم ، ولا تحكروا على الملوك فإن أيديهم أطول من أيديكم .

(١) الروض الأنف ٤/٢٧٠ .

(٢) سورة الكهف ٢٨ .

(٣) الدر المنثور ٦/٣٥٨ .

(٤) الروض الأنف ٤/٢٧٠ .

ولا تأمنوا صرعات البغي، ونضحات الغدر، وفتلات المزاح، واقتلوا " كرز بن عامر ، فإنه قتلني فمات .  
فقام عيينة بالرياسة ، وقتل كرزاً ، وأدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان من المؤلفة قلوبهم<sup>(١)</sup> .

### ترغيب عيينة بالإسلام

لقد صار الحارث بن مرة يبين لعيينة بن حصن كرامات ومعجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وظهورها الجلي بالشواهد والوقائع في فشل حصارهم للنبي في واقعة الخندق ، وما جرى لبني قينقاع وبني قريظة .  
وقال (إنهم كانوا أعز يهود الحجاز كله ، يقرون لهم بالشجاعة والسخاء ، وهم أهل حصون منيعة وأهل نخل ، والله إن كانت العرب لتلجأ إليهم فيمتنعون بهم . لقد سارت حارثة بن الأوس حيث كان بينهم وبين قومهم ما كان فامتنعوا بهم من الناس ، ثم قد رأيت حيث نزل بهم كيف ذهبت تلك النجدة وكيف أدبل عليهم)<sup>(٢)</sup> .

فاقر عيينة بهذه الوقائع ، ولكنه قال : ولكن نفسي لا تقرني بأن أدخل مع محمد وأصير تابعاً ، وقد سبق قوم إليه وقاتلوا معه في معركة بدر ، وأحد وغيرها ، ويظن أنهم ينظرون لمن يأتي بعدهم نظرة أدنى ، ولا أصل لقوله هذا فقد تدارك القرآن هذه المسألة قال تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾<sup>(٣)</sup> .  
وقال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (الإسلام يَجِبُ ما قبله والتوبة تجب ما كان قبلها)<sup>(٤)</sup> .

(١) أبو حاتم السجستاني ت ٢٥٠ هجرية / المعمرن والوصايا ٤٢/١ .

(٢) مغازي الواقدي ٢٩٧/١ .

(٣) سورة الحجرات ١٠ .

(٤) تفسير ابن كثير ٥٥/٤ .

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يكرم الرؤساء والأشراف ، وتجلى في معركة حنين إذ أعطى كل واحد من المؤلفلة قلوبهم منهم مائة بعير بما فيهم عيينة نفسه .

وفي معركة حنين أمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم باطلاق السبابا ، فحبس عيينة امرأة عجوزاً عنده (يتلمس بها الفداء فجاء ابنها فبذل فيها مائة من الإبل فتقاعد عيينة ثم غاب عنه ونزله إلى خمسين فامتنع ثم لم يزل به إلى أن بذل فيها عشرة من الإبل فغضب وامتنع ثم جاءه وقال : يا عم أطلقها وأشكرك .

قال : لا حاجة لي بمدحك ثم قال : ما رأيت كاليوم أمرا أنكد وأقبل يلوم نفسه .

فقال الفتى : أنت صنعت هذا : عمدت إلى عجوز والله ما ثديها بناهد ولا بطنها بوالد ولا فوها ببارد ولا صاحبها بواجد ، فأخذتها من بين من ترى فقال : خذها لا بارك الله لك فيها .

قال الفتى : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد كسا السبي فأخطأها من بينهم الكسوة فهلا كسوتها .

قال : لا والله . فما فارقه حتى أخذ منه سمل ثوب ثم ولى الفتى وهو يقول : إنك لغير بصير بالفرص<sup>(١)</sup> .

### تمر المدينة في معركة الخندق

في معركة الخندق ومع اشتداد حصار قريش على المدينة (وكان المشركون يتناوبون بينهم فيغدو أبو سفيان بن حرب في أصحابه يوما، ويغدو خالد بن الوليد يوما .

ويغدو عكرمة بن أبي جهل يوما، ويغدو ضرار بن الخطاب الفهري يوما، فلا يزالون يجيلون خيلهم، ويتفرقون مرة، ويجمعون أخرى،

(١) الذهبي / تاريخ الإسلام ٤٢٧/١ .

ويناوشون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويقدمون رماتهم<sup>(١)</sup>.

وبلغ النبي محمداً نقض بني قريظة عهدهم معه وأصاب الصحابة الكرب والعناء، وتحرك رأس النفاق.

فكثر استئذان المنافقين من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لمغادرة المرابطة كما في قوله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ النَّبِيِّ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ عَلَىٰ عَورَةٍ وَمَا هِيَ بِعَورَةٍ إِنَّا فَرَقْنَا بِكَ الْبَاطِلَ وَالْحَقَّ﴾<sup>(٢)</sup>.

فتوجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الدعاء، وقال (اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إنك أن تشأ لا تعبد)<sup>(٣)</sup>.

وقد ورد ذات الدعاء في معركة أحد، و(عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: يوم أحد لما أرهقوه وهو في سبعة من الأنصار، ورجل من قريش، من يردهم عنا، فهو رفيقي في الجنة، فقام رجل من الأنصار، فقاتل حتى قتل، ثم قال مثل ذلك، فقام آخر، فقاتل حتى قتل، فلم يزل يقول ذلك، حتى قتل السبعة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما أنصفنا أصحابنا، اللهم إنك إن تشأ لا تعبد في الأرض)<sup>(٤)</sup>.

والحارث بن مرة وكان مع رجالهم في الأحزاب يوم الخندق وهما قائدا غطفان، فاراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم مصالحتهما وسحبهما لرجالهم، وبعث فتنة وقنوط في جيوش المشركين.

بأن يجعل لهما ثلث تمر المدينة أي في تلك السنة بشرطين:

الأول: الرجوع بمن معهما من رجالهما من غطفان.

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٤/٣٧٦.

(٢) سورة الأحزاب ١٣.

(٣) مغازي الواقي ١/١٨٨.

(٤) صحيح ابن حبان ٤٥١/١٩.

الثاني : خذلان الأعراب الموجودين مع قريش ، وبث الأشاعات بينهم .  
واختلف هل حضر الحارث بن عوف وقومه بنو مرة الخندق أم لا ،  
والأظهر حضورهم ويدل عليه هذا الخبر وبحضورهما قال علي بن الحسين  
بن واقد (١٣٠-٢١١ هجرية) .

قال النسائي : ليس به بأس ، وقال أبو حاتم : ضعيف الحديث .  
وطلب عيينة والحارث نصف تمر المدينة فأبى النبي محمد صلى الله عليه  
 وآله وسلم فرضيا بالثلث ، وحضرا مع عشرة من قومهما عند النبي محمد .  
 فأحضر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصحيفة والدواة وقيل  
(وأحضر عثمان بن عفان فأعطاه الصحيفة وهو يريد أن يكتب الصلح  
بينهم .

وعباد بن بشر قائم على رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم  
مقنع في الحديد .

فأقبل أسيد بن حضير إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا  
يدرى بما كان من الكلام ، فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم  
وجاء عيينة ماداً رجليه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلم  
ما يريدون .

فقال: يا عين الهجرس<sup>(١)</sup>، اقبض رجليك أتمد رجليك بين يدي رسول  
الله ومعك الرمح ، والله لولا رسول الله لأنفذت خصيتيك بالرمح .  
ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله ،  
إن كان أمراً من السماء فامض له ، وإن كان غير ذلك فوالله لا نعطيهم إلا  
السيف متى طمعوا بهذا منا<sup>(٢)</sup> .

(١) الهجرس : ولد الثعلب .

(٢) مغازي الواقدي ١/١٨٨ .

ثم دعا النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة فاستشارهما لقوله تعالى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُؤَكِّدِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وهل كان عرض النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إعطاء ثلث تمر المدينة إلى عيينة والحارث بالرأي منه ، الجواب لا ، إنما هو من الوحي والله عز وجل يعلم أن هذا الأمر لا يتم ، ولكن فيه مواساة للصحابة ، وتخفيف عنهم ، وحجة عامة في تأريخ النبوة ، وسنن الرسالة .  
وحرص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على أن تكون هذه الإستشارة خاصة مع وجود القوم جالسين ، إذ همس في أذنيهما بكلام ، ثم أخبرهما بما أراد من الصلح .

(فقالا : إن كان هذا أمراً من السماء فامض له ، وإن كان أمراً لم تؤمر فيه ولك فيه هوى فامض لما كان لك فيه هوى ، فسمعاً وطاعة ، وإن كان إنما هو الرأي فما لهم عندنا إلا السيف)<sup>(٢)</sup>.

ثم قال سعد بن معاذ : بيننا السيف ، عندئذ قال عيينة لقد تركتم هذا الصلح بيننا وهو خير لكم ، فما لكم طاقة بهذه الأحزاب والجيوش .  
فرد عليه عباد بن بشر : أبالسيف تخوفنا ، ستعلم أينا أجزع ، ولقد كنت أنت وقومك تأكلون العلهز<sup>(٣)</sup> والرمة من الجهد ، فتأتون لنا ولا تطمعون من

(١) سورة آل عمران ١٥٩.

(٢) مغازي الواقدي ١٨٨/١ .

(٣) العلهز : طعام كانوا تأكله العرب في الجاهلية في حال الجذب والمجاعة ، وهو من الدم اليابس يدق به أوبار الإبل ثم يشوونه بالنار ويأكلونه ، وتدفع المجاعة أهل الجاهلية إلى الغزو والسطو والبطش .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ انقطاع الغزو بين القبائل وطلاق أكل العلهز ونحوه.

تمر المدينة إلا بالشراء ، أو الضيافة ، ونحن في جاهلية ، فكيف وقد هدانا الله عز وجل بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .  
فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم للوفد ارجعوا ، بيننا السيف ، رافعاً صوته ، لبيان أن الحديث ابتداء وخاتمة من الوحي .

## التذكير والتذاكر

لقد خرج عيينة والحارث من عند النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد الإمتناع عن أعطائهما ثلث تمر المدينة فذاكرا الثبات والعزيمة عند الأنصار ، وكيف أنهما من فروع الإيمان ، وأن قريشاً إذا علمت بما جرى من مقدمات صلح بيننا وبين محمد .

(عرفت أنا قد خذلناها ولم نصرها)<sup>(١)</sup>.

وهذا الأمر من أسرار الوحي في مفاوضات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع عيينة والحارث للصلح على ثلث تمر المدينة ببعث الفرقة والشقاق في جيش المشركين ، قال تعالى ﴿ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾<sup>(٢)</sup>.

لقد كان الحارث بن مرة أكثر ميلاً للإسلام وبصيرة بالأمر إذ قال لعيينة بأنهم لا يستفيدون من نصر قريش فهي إذا ظهرت يكون الأمر والسيادة لها في الجزيرة .

وهناك أمارات وعلامات على ظهور النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال (والله ، لقد كان أحبار يهود خبير وإنهم يحدثون أنهم يجدون في كتبهم أنه يبعث نبي من الحرم على صفته .

قال عيينة: إنا والله ما جئنا ننصر قريشاً، ولو استنصرنا قريشاً ما نصرتنا ولا خرجت معنا من حرمها. ولكني كنت أطمع أن نأخذ تمر المدينة فيكون لنا به ذكرٌ مع ما لنا فيه من منفعة الغنيمة. مع أنا ننصر حلفاءنا من اليهود فهم جلبونا إلى ما ها هنا)<sup>(٣)</sup>.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ديب اليأس في قلوب رؤساء المشركين الذين يحاربونه ، كما في معركة الخندق وثبات

(١) مغازي الواقدي ١/١٨٨ .

(٢) سورة الحشر ١٤ .

(٣) مغازي الواقدي ١/١٨٨ .

المهاجرين والأنصار في الدفاع عن النبوة والتنزيل وعن المدينة وأهلها مع طول الحصار .

وكان كتيبة ذي قرد بسبب قيام عيينة بن حصن الفزاري وأربعين من قومه بالإستيلاء على لقاح للنبي أي إبل ذوات لبن ، وقتلوا الراعي وأسروا امرأة .

فأمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم سلمة بن الأكوع بمطاردتهم وملاحقتهم لحين قدوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه .  
وكان سلامة سريع الركض لاجتاربه الخيل ، ورامياً حاذقاً فلحقهم يرميهم بالسهم وعندما يكرون عليه يتراجع إلى الوراء ، وفيه إشغال لهم ، ومنع طيهم للمسافات ، وإذا كانوا بواد يقوم برميهم بالحجارة وأعاد عدداً من الإبل ، إلى أن وصل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وأعادوا الإبل .

### **الحارث بن عوف**

الحارث بن عوف رئيس بني مرة ومنزلته بين العرب معروفة وكان يصلح بين الناس .

ومما يروى عن الحارث أنه كان يزهو بنفسه ، وقال يوماً لابن عمه (خارجة بن سنان المري: أتراني أخطب إلى أحد فيردني ، قال: نعم .

قال: ومن ذاك ، قال: أوس بن حارثة بن لام الطائي .  
فقال الحارث لغلامه: ارحل بنا، فركبا حتى انتهيا إلى أوس بن حارثة في بلاده، فوجداه في ثني منزله .

فلما رآه قال: مرحباً بك يا حار، ما جاء بك؟ قال: جئتك خاطباً، قال: لست هناك، فانصرف ولم يكلمه؛ ودخل أوس على امرأته مغضباً، وكانت من بني عبس .

فقالت: من رجل وقف عليك فلم يطل ولم تكلمه؟ قال: ذاك سيد العرب الحارث بن عوف، قالت: فما لك لم تستنزه؟ قال: إنه استحمق، جاءني خاطباً، قالت: أفتريد أن تزوج بناتك .

قال: نعم، قالت: فإذا لم تزوج سيد العرب فمن؟ قال: قد كان ذلك،  
قالت: فتدارك ما كان منك، قال: بماذا؟ قالت: أن تلحقه فترده .

قال: وكيف وقد فرط إليه مني ما فرط؟ قالت: تقول: إنك لقيتني وأنا  
مغضب بأمر لم تقدم فيه قولاً، فلم يكن عندي من الجواب إلا ما سمعت،  
فأنصرف ولك عندي كل ما أحببت، فركب في أثرهما .

قال خارجة بن سنان: فوالله إنا نسير إذ حانت مني التفاتة فرأيت،  
فأقبلت على الحارث وما يكلمني غماً، فقلت له: هذا أوس بن حارثة في  
أثرنا .

قال: وما نصنع به ، امض ، فلما رأنا لا نقف عليه صاح: يا حار أربع  
علي، فوقفنا له وكلمه بذلك الكلام، فرجع مسروراً، فبلغني أن أوساً لما  
دخل منزله دعا ابنته الكبرى وأعلمها خطبة الحارث بن عوف فقالت: لا  
تفعل .

قال: ولم؟ قالت: لأن في وجهي ردة وفي خلقي بعض العريضة، ولست  
بابنة عمه فيرعى حقي، وليس بجمارك فيستحي منك، ولا آمن أن يرى مني  
ما يكره فيطلقني، فيكون علي في ذلك ما تعلم؛ قال: قومي بارك الله عليك،  
ثم دعا بابنته الوسطى .

وقال لها كمقالته للكبرى، فقالت له: أنا خرقاء، وأجابته بنحو جواب  
أختها. فقال: أدعوا لي بهيسة، يعني الصغرى، فقال لها كمقالته لأختها.  
فقالت: أنت وذاك. فقال لها: إنني عرضت ذلك على أختيك فأبتاه،  
فقالت: لكني والله الجميلة وجهاً، الصناعات يداً، الرقيقة خلقاً، الحسبية أباً،  
فإن طلقني فلا أخلف الله عليه بخير .

قال: فخرج إلينا وقال: قد زوجتك يا حار بهيسة بنت أوس، قال: قد  
قبلت؛ فأمر أمها أن تهيئها وتصلح من شأنها، ثم أمر بيت فضرب له وأنزله  
إياه، ثم خرج إلي فقلت: أفرغت من شأنك .

فقال: لا، قلت: وكيف؟ قال: لما مددت يدي إليها قالت: مه أعند أهلي وإخوتي، هذا والله ما لا يكون، قال: فأمر بالرحلة فأرتحلنا بها معنا، فسرنا ما شاء الله .

ثم قال لي: تقدم فتقدمت، وعدل بها عن الطريق، فما لبث أن لحقني فقلت: أفرغت، قال: لا والله .

قلت: ولم، قال: قالت لي: أكما يفعل بالأمة الجليية والسبية الأخيذة؟ لا والله حتى تنحر وتذبح وتدعو العرب وتعمل ما يعمل لمثلي .

قال: قلت والله إنني لأرى همة وأرى عقلاً وإنني لأرجو أن تكون المرأة النجيية. فرحلنا حتى جئنا بلادنا فأحضر الإبل والغنم ودخل عليها .

ثم خرج فقلت: أفرغت؟ قال: لا والله، قلت: ولم؟ قال: دخلت عليها أريدها، وقلت لها: قد أحضرنا من المال ما تريدين. فقالت: والله لقد ذكرت لي من الشرف بما لا أراه فيك .

قلت: وكيف، قالت: أتفرغ لنكاح النساء والعرب يأكل بعضها بعضاً، وذلك في أيام حرب عيس وذبيان .

قلت: فتقولين ماذا؟ فقالت: أخرج إلي هؤلاء القوم فأصلح بينهم ثم ارجع إلى أهلك فلن يفوتوك .

فقلت: والله إنني لأرى همة وعقلاً ولقد قالت قولاً. قال: فأخرج بنا، فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا بينهم بالصلح، فاصطلحوا على أن يحسبوا القتلى ثم يؤخذ الفضل ممن هو عليه، فحملنا عنهم الديات فكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين، فانصرفنا بأجمل الذكر<sup>(١)</sup>.

### صبر النبوة

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم صبره في الدعوة إلى الله عز وجل، وهذا الصبر متعدد وفي طاعة الله عز وجل، وجذب الناس لمنازل الهدى ومقامات الإيمان وفي محاربة الكفار ومفاهيم الضلالة وعبادة

(١) ابن حمدون / التذكرة الحمدونية ١/١٤٥ .

الأوثان ، ومجاهدة المنافقين ودفع ضررهم العام والخاص ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أمور :

الأول : لم يقتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم منافقاً مع شدة ضرر المنافقين ، وتجاهرهم بما يبتغون من الكفر في ساعات الشدة والخرج لأنهم نطقوا بالشهادتين ، لبيان أن هذا النطق عصمة للدم ، إنما كان النبي يفضح المقالات الباطلة ، لذا ترى عدد المنافقين في تناقص وتضاؤل مستمر .

الثاني : العصمة من الزلل والخطأ ، وفيه مسائل :

الأولى : بقاء سنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ضياءً ومنهاجاً

للمسلمين .

الثانية : قول وفعل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم شعبة من

الوحي ، قال تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾<sup>(٢)</sup>.

الثالثة : عصمة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حجة على الناس ،

المؤمن والكافر إذ تدعو العصمة النبوية المؤمن إلى تلقي أوامر ونواهي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالرضا والقبول والإمثال ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾<sup>(٣)</sup>.

وهل الصبر الذي تحلى به النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من

العصمة ، نعم ، وهو شعبة من الوحي ، لذا فان السنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع .

(١) سورة التوبة ٧٣.

(٢) سورة النجم ٢-٣.

(٣) سورة الحشر ٧.

**الرابعة:** قانون النبي أفضل أهل زمانه ، وقد فاز النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالمحاسن والكمالات الإنسانية ، وفيه دعوة للناس للرجوع إليه ، لفضل الله في عدم تقديم المفضول على الفاضل في باب الأحكام والسنن .

**الخامسة:** من الوحي امتناع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن الإبتداء بقتال المشركين ، وعدم عسكرة المدينة ، فحالما تأتيه الأموال يقوم بتوزيعها على المسلمين ، وحتى خمس الغنائم الذي له يرده عليهم من غير أن يسخر هذه الأموال لشراء الأسلحة والخيول ومؤون القتال .

**الثالث:** لقد صبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على أذى قريش وحصارهم لبني هاشم في شعب أبي طالب وبعد الهجرة غزو المدينة وقتلوه وأصابته الجراحات وهو صابر لأن الله عز وجل أمره بالصبر ، وأنه ولا يقول ويفعل إلا بالوحي ، قال تعالى ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾<sup>(١)</sup>.

### **العدو يمدح النبي محمداً**

لقد صدرت خمسة أجزاء من كتابي الموسوم (خصائص النبي محمد (ص)) وتتضمن (٢١١٠) خصيصة مباركة ، لبيان المرتبة السامية التي فاز بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من بين الأنبياء ولزوم اقتداء المسلمين بسيرته الكريمة ذات صبغة السلم ، والتي تفيض بالرحمة على المسلم وغير المسلم .

ونضيف خصيصة مباركة أخرى وهي أن أعداء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذين يسعون في محاربتة والإشكال على سيرته يقومون بمدحه والثناء عليه من حيث لا يعلمون ، فليس في سيرته وسنته إلا ما هو خير محض لأنه من الوحي ، قال تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا

وَحْيِي يُوحَى ﴿١﴾ قَالَ تَعَالَى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ (٢).

لقد سعى أعداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لصرف الناس عنه وعن القرآن بالقول والهجاء ، وتارة بالفعل بإيذاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الأوائل .

قال ابن إسحاق (وكان نفر الذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيته أبو لهب والحكم بن أبي العاص بن أمية ، وعقبة بن أبي معيط وعدي بن الحمراء وابن الاصداء الهذلي .

وكانوا جيرانه لم يسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبي العاص وكان أحدهم فيما ذكر لي يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلي ، وكان أحدهم يطرحها في برمته إذا نصبت له حتى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حجرا يستتر به منهم إذا صلى .

فكان إذا طرحوا شيئاً من ذلك يحمله على عود ثم يقف به على بابه ثم يقول يا بني عبد مناف أي جوار هذا ثم يلقيه في الطريق

قلت وعندني أن غالب ما روي مما تقدم من طرحهم سلا الجزور بين كتفيه وهو يصلي كما رواه ابن مسعود وفيه أن فاطمة جاءت فطرحته عنه وأقبلت عليهم فشتمتهم) (٣).

ومع هذا الأذى كان رؤساء المشركين يقرون في متدياتهم الخاصة بدلائل تدل على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأن القرآن فوق كلام البشر ، ووقفوا مذهولين عاجزين أمام آياته الباهرة ، وأدركوا أنه فوق بلاغتهم ، وليس من جنس فصاحتهم ، ولكن أغاظهم شتم القرآن لأبائهم ، لأنه أخبر عن عاقبة الذين كفروا هي النار .

(١) سورة النجم ٢-٣.

(٢) سورة الفرقان ٣١.

(٣) البداية والنهاية ١٣٤/٣.

و(لما سمع الوليد بن مغيرة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(١)</sup>).

قال : والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر<sup>(٢)</sup>.

### إنتفاء التعارض بين القرآن والسنة والوقائع

من الإعجاز في السنة النبوية أنها بيان وتفسير للقرآن ، وهي مفاتيح لعلومه وخزائنه ، وحضورها في الواقع اليومي في بناء صرح الإسلام ، وإزاحة الشرك بعد رسوخه في المجتمعات ، وتوارث مفاهيمه ، ومنها تقديس الأصنام ، وإنعدام الواعز الذاتي والزاجر الغيري وسنن الأحكام عن إرتكاب الفواحش والمحرمات .

وتفضل الله عز وجل بنزول القرآن على التوالي والتعاقب ، وأسباب النزول مع تفضله بهداية المسلمين للعمل بأحكام الآية القرآنية حال نزولها ، ومنه تلاوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته والصحابة آيات القرآن خمس مرات في اليوم واللييلة ، ليكون من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾<sup>(٣)</sup> بلحاظ عنوان هذا الجزء وهو (لم يغز النبي (ص) أحداً) .

والقرآن قطعي الصدور قطعي الدلالة ، وقد ذم الله عز وجل أهل الريب ومرضى القلوب ، قال تعالى ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة النحل ٩٠.

(٢) الشفا ١/١٩٧.

(٣) سورة الإسراء ٩.

(٤) سورة النور ٥٠.

وقد يبدو ظاهر بعض الأحاديث النبوية غير تام المطابقة لأحكام الآية القرآنية ، ولكنها شبهة بدوية تزول بأدنى تأمل وتحقيق ، بالإضافة إلى لزوم الرجوع في هذه الحالة إلى سند الحديث فقد يكون ضعيفاً أو شاذاً أو معارضاً لما يتوافق مع أحاديث موافقة لآيات القرآن في ذات الموضوع ، فيرجع إلى قاعدة التعادل والترجيح ، وتعيين الحكم الشرعي بالدليل .

والمراد من (التعادل) تساوي الدليلين المتعارضين من غير ترجيح لأحدهما ، أما (الترجيح) فهي المرجحات لأحد الدليلين على الآخر ، وفق شروط متعددة ذكرتها في علم الأصول<sup>(١)</sup> .

والذي يدعي وجود تعارض بين القرآن والسنة عليه الإتيان بالشواهد وذكر تلك الأحاديث وإحصائها وحصرها ، فقد يكون السبب عدم فهم المعنى والغاية من الحديث أو أصل اللفظ العربي وتعدد معاني المشترك اللفظي .

ومن الإعجاز في السنة النبوية ورود آلاف الأحاديث النبوية ، وهي موافقة لمنطوق آيات القرآن ، وبيان لها .

### كتاب أمير مكة

لقد دخل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومعه عشرة آلاف من أصحابه سلماً مكة في شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة .

والمبادر للإذهان دخول قبائل العرب الإسلام بفتح مكة ويؤمن شهرهم ، وهو المستقر من تسمية مكة (أم القرى) والذي تكرر مرتين في القرآن ، قال تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾<sup>(٢)</sup> .

فلا تجتمع قبيلة على قتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد فتح مكة والذي تم بالمعجزات المتتالية وآيات القرآن ، وخيبة قريش في النيل من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في معركة بدر ، وأحد ،

(١) أنظر الجزء الرابع من كتابي الموسوم (معراج الأصول) .

(٢) سورة الشورى ٧ .

والخندق خاصة وأنه ما من قبيلة من العرب التي حاربت النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا وفيها قبل فتح مكة عدد من المسلمين ، منهم من هاجر إلى المدينة ومنهم حالت أسباب دون هجرته .

وكان كثير من أهل مكة والساكنين فيها قد دخلوا الإسلام قبل فتحها . وقد تقدم في الجزء السادس والستين بعد المائتين من هذا السفر أن مالك بن عوف رئيس جيوش هوازن وثقيف بيث العيون ويتابع أخبار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عند فتح مكة ، وكان يرجو انقلاب أهل مكة على النبي وانحيازهم إلى هوازن وثقيف ، ولكن العيون جاءت به بما يقطع أمله إنذاراً وتوبيخاً له ، بأن أهل مكة دخلوا الإسلام وأن النبي محمداً لم ينتقم منهم .

ليبان منافع عفو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن رؤساء قريش وعامة من حاربه منهم ، إذ منع ميلهم إلى هوازن وثقيف ، أو تحريضهم القبائل لقتاله ، قال تعالى ﴿وَأَسْتَوِي الْحَسَنَةَ وَلَا السَّيِّئَةَ ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد أسست في هذا التفسير علماً بأن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فتم مكة مسلماً وفيه كشف للحقائق وترغيب الناس بدخول الإسلام ، وبعث اليأس والقنوط والرعب في قلوب المشركين . وجعل أميراً على مكة شاباً من أهلها وهو عتاب بن أسيد من بني أمية ، وعمره آنذاك عشرون سنة .

فلم ينصب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على مكة أميراً من بني هاشم ، ولا من الصحابة الذين جاءوا معه من المهاجرين والأنصار كما هو شأن الفاتحين في كل زمان ، وفي استبدال حكم بآخر ، قال تعالى ﴿وَتِلْكَ

(١) سورة فصلت ٣٤.

الْيَوْمَ نُدَّأُولَهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾.

ربما لم يقف كتاب السيرة عند أسباب ومنافع اختيار عتاب بن أسيد أميراً لمكة ، ومن بين أهلها الذين دخلوا الإسلام يوم الفتح ، والغايات الحميدة منه ، خاصة وأنه لم يتم إلا بالوحي ، وحج عتاب بالناس سنة ثمانية للهجرة .

(روى عمرو بن أبي عوف قال: سمعت عتاب بن أسيد يقول وهو يخطب مسنداً ظهره إلى الكعبة يحلف: ما أصبت في الذي بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا ثوبين كسوتهما مولاي كيسان. وحدث عنه سعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح ولم يسمعا منه)<sup>(١)</sup>.

ليخرج جميع أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم معه من مكة عائدين إلى المدينة ولملاقاة هوازن وثقيف في طريق العودة ، وبيان أن الإسلام في حال مواجهة مع المشركين ، وأن الحرب لم تلق أوزارها بعد ، قال تعالى ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾<sup>(٢)</sup>.

ويبين تعيين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لعتاب بن أسيد أميراً على مكة زهده وأصحابه في الدنيا ، وإكرام أهل مكة بأن يكون أميرهم منهم وهو شاب من حديثي العهد بالإسلام ، وفيه ترغيب لهوازن وثقيف بدخول الإسلام ، بدل اختيار قتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه .

(١) سورة آل عمران ١٤٠.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣١٤/١ .

(٣) سورة محمد ٤.

## آيات معركة حنين

من مصاديق قوله تعالى ﴿وَرَزَقْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾<sup>(١)</sup> ذكر القرآن لبعض معارك الإسلام الأولى ، وبيان كيف أن المشركين هم الغزاة المعتدون فيها ، لتكون شاهداً على ذات السياق في المعارك الأخرى وللإستصحاب والقياس مع أخبار السنة النبوية ، والشواهد التاريخية ، وأحاديث الصحابة بخصوص كتائب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وسراياه ، وكذا إخبار الذين كانوا في صفوف المشركين في تلك المعارك ، وهم على قسمين :

الأول : الذين تابوا ودخلوا الإسلام ، وقد ذكرهم الله عز وجل في آيات معركة حنين بقوله تعالى ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

الثاني : الذين ماتوا على الكفر ، ولكنهم ذكروا أخبار تلك المعارك لأبنائهم وغيرهم ممن دخلوا الإسلام وأحسنوا إسلامهم .  
لقد وثق العرب في أشعارهم وأخبارهم وقائع حدثت قبل الإسلام بعشرات ومئات السنين ، ولما جاء الإسلام نزل القرآن ببيان الوقائع وأسباب النزول مع التوثيق بالسنة النبوية ، والشعر والنثر .  
ومن خصائص القرآن بعثه على توثيق الوقائع والأحداث واستقراء المواعظ والدروس منها .

ومثلما ذكر الله عز وجل واقعة (بدر) بالاسم بقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> وسماه الله ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾<sup>(٤)</sup> فقد

(١) سورة النحل ٨٩.

(٢) سورة التوبة ٢٧.

(٣) سورة آل عمران ١٢٣.

(٤) سورة الأنفال ٤١.

ذكر الله واقعة حنين بالاسم بقوله تعالى ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ  
 وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَكُم كُرُوتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ  
 وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾<sup>(١)</sup> فنعتها الله عز وجل بأنها يوم لتكون من آيات التاريخ  
 وليس من أيام العرب وحدهم .

فهذه المعركة معجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ كان  
 الرجحان وفق حساب العدد والعدة لهوازن وثقيف ، إضافة إلى عنصر  
 المباغته الذي استعملوه بمكر ، وكانوا يعرفون بالذكاء والدهاء ، فسخروه  
 لمحاربة الله ورسوله ، فابتلاهم الله عز وجل بالخزي ، لينطبق عليهم قوله  
 تعالى ﴿يَقْطَعُ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾<sup>(٢)(٣)</sup> الذي نزل  
 في معركة أحد ، مع زيادة في البلاء للذين كفروا بقوله تعالى ﴿وَعَذَابَ الَّذِينَ  
 كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

فمع خيبة هوازن وثقيف جاء ضرب الحصار عليهم ، وعجزهم عن  
 الخروج من الطائف وشدة العذاب الذي ينتظرهم في عالم البرزخ ويوم  
 القيامة إلا الذين تابوا أو يتوبون قبل موتهم لقوله تعالى ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ  
 ذَلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة التوبة ٢٥.

(٢) سورة آل عمران ١٢٧.

(٣) أنظر الجزء الواحد والثمانين من هذا السفر والذي اختص بتفسير هذه الآية  
 الكريمة.

(٤) سورة التوبة ٢٦.

(٥) سورة التوبة ٢٧.

وتبين آيات معركة حنين قانوناً من الإرادة التكوينية وهو لقاء الذين كفروا في كل زمان العذاب ، لورود التشبيه في الآية أعلاه ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ أي الكافرين من الأولين والآخرين .

### نزول السكينة يوم حنين

لقد كان نصر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في معركة حنين معجزة له ، وشاهداً على المدد الملكوتي من عند الله عز وجل بعد الهجوم المباغت من هوازن وثقيف المنظم والمخطط له بعناية على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه .

وخصَّ الله عز وجل واقعة حنين بآيات من القرآن ، وسماه ﴿يَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ لبيان أنه من الأيام التي تشهد على التاريخ ، وتكون لها موضوعية في تبدل أحوال الأمم بتثبيت كلمة التوحيد ، قال تعالى ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كُرُوكُكُمْ فَلَمْ تَغْنَمْ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ \* ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١﴾ .

فتبين هذه الآيات أموراً :

الأول : الشهادة من عند الله عز وجل على رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثاني : نزول السكينة من الله عز وجل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وبخصوص معركة حنين قال تعالى ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى

رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١﴾.

**الثالث :** نزول السكينة والطمأنينة على المؤمنين من المهاجرين والأنصار الذين مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .  
ومن الإعجاز في الآية أنها لم تقل (وعلى الذين آمنوا) إنما خصت الآية المؤمنين بصدق التوحيد والنبوة .

وهل تشمل الآية مسلمي الفتح الذين خرجوا مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعددهم ألفان ، الجواب إنما تشمل المؤمنين منهم ، فلا تشمل المؤلفلة قلوبهم مثلاً ، ولا الذين استبشروا بهجوم هوازن وثقيف المفاجئ .

وهل تشمل الآية المسلمين من السرايا في المقدمة الذين فروا امام شدة هجوم هوازن وثقيف ، الجواب نعم .  
لذا ما أن سمعوا نداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عادوا إلى الميدان مسرعين .

بالإسناد (عن أبي إسحاق : قيل للبراء : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيمن ولى دبره يوم حنين قال : والذي لا إله إلا هو ما ولى رسول الله دبره قط .

لقد رأيناه وأبو سفيان بن الحرث أخذ بالركاب والعباس أخذ لجام الدابة وهو يقول : أنا النبي لا كذب أنا بن عبد المطلب .  
قالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للعباس : ناد يامعشر المهاجرين ويامعشر الأنصار وكان العباس رجلاً صوتياً .  
ويروى من شدة صوت العباس أنه أغير يوماً على مكة فنادى : واصباحاه فأسقطت كل حامل سمعت صوته جينها .

فجعل ينادي : يا عباد الله ، يا أصحاب الشجرة ، يا أصحاب سورة البقرة ، وعطف المسلمون حين سمعوا صوته عطفة البقر على أولادها فقالوا : يالبيك يالبيك يالبيك وجاءوا عنقاً واحداً<sup>(١)</sup>.

وقد تقدم في كتابي خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الجزء الأول ص ١٩٠ (الشهادة على ثبات النبي (ص) في الميدان) ، وفي الجزء الرابع منه ص ٢٠٨ عنوان (الثبات في الميدان) ، وفي الجزء الخامس منه ص ٢٩٦ عنوان (الثبات طريق النصر).

### مصاديق السكينة

السكينة النازلة هي الطمأنينة التي تملأ القلوب ، وتمنع من اضطرابها ، وتكون واقية من الخوف والفرع والرعب ، ومن الإعجاز في صيغة الجمع في قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَةً عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup> أمور :

الأول : قانون بعث الصحابة على الصبر والثبات في الميدان الذي هو حاجة حيثئذ .

الثاني : قانون منع الاختلاف والشقاق بين الصحابة ساعة القتال.

الثالث : ذب ودفاع الصحابة عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الرابع : قانون نزول السكينة على الصحابة المؤمنين إكرام لهم من

جهات :

الأولى : اشتراك الصحابة المؤمنين في تلقي السكينة من الله عز وجل.

الثانية : قانون السكينة ثناء ورضا من عند الله سبحانه.

الثالثة : استدامة السكينة في قلوب المهاجرين والأنصار ساعات معركة

حين حتى تم النصر من عند الله عز وجل وانهمزمت هوازن وثقيف .

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ١٠٨/٦ .

(٢) سورة التوبة ٢٦ .

الرابعة : قانون مصاحبة السكينة للمؤمنين حتى بعد انتهاء المعركة وهو وسام وتشريف إضافي لمن حضر معركة حنين منهم ، أما ﴿الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ﴾ فقد نالوا الجائزة الدنيوية كل واحد منهم مائة ناقة .

الخامسة : قانون حضور السكينة يوم القيامة مع الذين فازوا بها في الدنيا لتكون حرزاً وواقية لهم من الخوف والحزن .

الخامس : السكينة نعمة عظيمة على أجيال المسلمين ، ومنها ما نزل يوم حنين ، ولكن منافعتها تتجدد في حياة المسلمين ، مما يلزم شكرنا لله عز وجل على نعمة السكينة .

السادس : تبدل حال القتال بنزول السكينة ، إذ تبدل رجحان كفة القتال إلى جانب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، ثم تفضل الله عز وجل وأنزل جنوداً لنصرته وأصحابه .

السابع : السكينة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة بعد معركة حنين وفي حصار الطائف .

الثامن : السكينة عز وفخر ورحمة وأمنة للمؤمنين ، وزجر للمشركين عن قتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

التاسع : نزول السكينة من عند الله عز وجل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه شاهد على أن المشركين هم المعتدون الغزاة .

العاشر : من فضل الله عز وجل أنه يعطي بالأتم والأوفى فتفضل وأنزل الملائكة يوم حنين لنصرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه .

وعن (عوف بن عبد الرحمن مولى أم برثن، عن من شهد حنيناً كافراً قال: لما التقينا نحن ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يقوموا لنا حلب شاة .

فجئنا نهش سيوفنا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى إذا غشيناه فإذا بيننا وبينه رجال حسان الوجوه ، فقالوا: شأهت الوجوه فارجعوا ، فهزمننا من ذلك الكلام ، رواه البيهقي<sup>(١)</sup>.

وسمي الموضع حنيناً باسم رجل هو حنين بن قانية بن مهلايل ، كان يسكن ذات الوادي ، الذي يبعد عن مكة (٢٦) كم شرقاً ويعرف اليوم بالشرائع .

والحنين لغة عربي مؤنث يعني الشوق ، ومنه الصوت الذي يصدر من الإنسان عن حزن أو اشتياق .

وتسمى أيضاً غزوة هوازن ، وأوطاس ، وحنين جزء من أوطاس ، ولكن هناك سرية عامر الأشعري باسم سرية أوطاس التي وقعت بعد معركة حنين لتجمع فلول من هوازن في أوطاس .

### أسباب النصر في معركة حنين

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم النصر حتى مع خلاف قاعدة السبب والمسبب والعلة والمعلول ، وهذا النصر من عند الله الذي له ملك السموات والأرض .

فمع أن كل أسباب وكيفية القتال لصالح هوازن وثقيف فان الله عز وجل نصر نبيه الكريم وأخزى أعداءه الذين نصبوا الكمائن ، ووضعوا الرماة في مسالك الوادي وفاجأوا المسلمين بالنبال والسهام والهجوم المباشر من أمامهم ومن اليمين واليسار ، وكان مع المسلمين حديثوا عهد بالإسلام من أهل مكة فلم يثبتوا في مواضعهم ، وانهمزوا لشدة الهجوم وعنصر المباغته فيه ، لينزل الفتح من عند الله بثبات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في موضعه مع قلة من أهل بيته وأصحابه .

وليس من حصر لأسباب نصر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في معركة حنين ، وكلها من فضل ولطف الله عز وجل منها :

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٣/٦٣٠.

الأول : تجلي أسباب النصر المدد من عند الله ، قال تعالى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾<sup>(١)</sup>.

الثاني : نزول السكينة على الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ، ومن مصاديقها ثباته في الميدان ، ومعه عدد من أهل بيته والصحابة نحو مائة (ومنهم من قال : ثمانون)<sup>(٢)</sup> وهل من السكينة ما كانت سبباً بعودة عدد من المنهزمين إلى ميدان القتال ، الجواب نعم .

الثالث : اجتهاد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالدعاء قبل وأثناء المعركة .

ودعاء النبي يومئذ على قسمين :

الأول : الدعاء بالنصر وأسبابه في المعركة .

الثاني : الدعاء العام ، ويشمل ميدان المعركة (وعن أنس : قال : كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم : رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)<sup>(٣)</sup>.

والنصر في معركة حنين من الحسنه في الدنيا والحسنه في الآخرة لما فيه من الثواب العظيم والنفع العام للأجيال المتعاقبة .

الرابع : نزول الملائكة في معركة حنين لنصرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآله وسلم وصدّ هوازن وثقيف المشركين المعتدين ، قال تعالى ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

الخامس : مناداة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الميدان على الصحابة الذين انهزموا ، ودعوتهم للرجوع إلى ميدان القتال ، بل وشمل

(١) سورة المدثر ٣١ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤/١٢٦ .

(٣) تفسير الثعالبي ١/١١٦ .

(٤) سورة الروم ٤٧ .

نداء الذين تأخروا من الصحابة عن القتال بالصفوف الأولى ، وقانون استجابة الصحابة لنداء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وهل من مصاديق قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَرِّمْنَا وَكَبِّرْ عَنَا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾<sup>(١)</sup> ، الجواب نعم . وقد صدر لي الجزء التاسع والخمسون بعد المائتين من هذا السفر خاصاً بتفسير هذه الآية الكريمة .

(وعن عتبة بن فرقد قال: رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أصحابه تأخراً ، فقال : يا أصحاب سورة البقرة . وأظن هذا كان يوم حنين ، حين ولوا مدبرين أمر العباس فناداهم : يا أصحاب الشجرة ، يعني أهل بيعة الرضوان . وفي رواية : يا أصحاب البقرة ، لينشطهم بذلك ، فجعلوا يقبلون من كل وجه)<sup>(٢)</sup> .

ولم يعلم أحد ستكون موضوعية ومنافع تجديد الصحابة بيعتهم للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يوم الحديبية والتي تضمنت عدم فرارهم عنه أو عن نصرته .

فأمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين عمه العباس وكان جهير الصوت أن ينادي بأعلى صوته ، يا أصحاب الشجرة ، يا أصحاب السمرة ، وتارة يقول يا أصحاب سورة البقرة .

فجاءته الردود : لبيك يا لبيك في نفس الوقت الذي يشتد فيه القتال ، فصار الصحابة يرجعون إلى النبي محمد أفراداً وجماعات ، ومن لم يطاوعه بعيره على الرجوع لبس درعه وحمل سلاحه ، وأرسل بعيره .

السادس : لما رجع نحو ثلاثمائة من الصحابة إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أمرهم أن يصرفوا الحمولة ويجاهدوا في سبيل الله بالدفاع

(١) سورة آل عمران ١٩٣ .

(٢) تفسير ابن كثير ١/١٥٦ .

عن النبوة والتنزيل ، وهم من الذين قال الله تعالى فيهم ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ...﴾ (١).

وعن أبي قتادة (قال لما كان يوم حنين نظرت إلى رجل من المسلمين يُقاتل رجلاً من المشركين ، وآخر من المشركين يختله من ورائه ليقتله ، فأسرعت إلى الذي يختله فرفعه يده ليضربني ، وأضرب يده ، فقطعتها ، ثم أخذني ، فضمني ضمًا شديدًا حتى تخوفت .

ثم ترك فتحلل ، ودفعته ثم قتلته ، وانهزم المسلمون ، وانهزمت معهم ، فإذا بعمر بن الخطاب في الناس ، فقلت له ما شأن الناس قال أمر الله ، ثم تراجع الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من أقام بينة على قتيل قتله فله سلبه . فقمتم لألتمس بينة على قتيلي ، فلم أر أحدًا يشهد لي فجلست ، ثم بدأ لي .

فذكرت أمره لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال رجل من جلسائه سلاح هذا القتيل الذي يذكر عندي فأرضه منه . فقال أبو بكر كلاً لا يعطه أصيبغ من قريش ، ويدع أسداً من أسد الله يُقاتل عن الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

قال فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأداه إلي ، فاشتريت منه خرافاً فكان أول مال تأثلته (٢) في الإسلام (٣).

(١) سورة الحج ٧٨ .

(٢) تأثلته : جمعه واستثمرته .

(٣) صحيح البخاري ٢٣٣/١٤ .

## بيان الأحكام في الميدان

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إجابته على الأسئلة من عامة الناس بوحى من عند الله عز وجل ، ومع شدة القتال كما في معركة حنين وما تبعها من سرية أوطاس ، ولجوء ثقيف إلى حصنهم وغلقه ، والحشية من إغارتهم على مكة بعد مغادرته ودعوته إلى المدينة ، لأن مكة صارت مكشوفة أمامهم .

وخرج منها الفان من مسلمي الفتح مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نحو حنين وكثير منهم لم يرجع إلى مكة ، وليس من نص يتضمن الإخبار عن أمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إليهم بالرجوع إلى مكة ، فان النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم كان يتلو القرآن ، ويبين الأحكام الشرعية ، ويجب على الأسئلة الفقهية بالوحي .

(وبينما النبي صلى الله عليه وآله وسلم قاعد بالجعرانة ومعه ثوب وقد أظلم به معه ناس من أصحابه إذ جاءه أعرابي عليه جبة متضمخ بطيب فقال يا رسول الله كيف ترى برجل أحرم بعمرة في جبة بعد ما تضمخ بطيب وإذا النبي صلى الله عليه وسلم مخمر الوجه يغط فلما سرى عنه قال أين الذي سألتني عن العمرة أنفا فأتى به .

فقال أما الطيب فاغسله عنك وأما الجبة فانزعها ثم اصنع في عمرتك ما تصنع في حجتك)<sup>(١)</sup>.

وفيه مسائل :

الأولى : كثرة الأسئلة التي توجه إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأن قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ الذي ورد خمس عشرة مرة في القرآن هو من باب المثال الأهم والأظهر .

الثانية : ليس من حواجز بين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعامة الناس ، فلم يمنع أصحابه الأعرابي الذي جاء يسأل عن أمور دينه .

(١) ثقات ابن حبان ٧٧/٢ .

الثالثة : تكون إجابة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الأسئلة على وجوه :

الأول : نزول آية قرآنية للجواب على السؤال المتحد والمتعدد فقد يجتمع أكثر من سؤال بآية واحدة فيأتي الجواب من عند الله كما في قوله تعالى ﴿سَأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَسَأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد يتعدد السؤال في الموضوع المتحد كما في قوله تعالى ﴿سَأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً سَأَلُونَكَ كَأَنَّكَ خَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنِ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

الثاني : الإجابة بالوحي الظاهر الجلي كما في حديث الأعرابي هذا .

الثالث : الإجابة بعمومات الوحي بقوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾<sup>(٣)</sup>.

الرابعة : إنشغال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بوقائع الميدان لم يمنعه من الإجابة عن الأسئلة الفقهية ، ولم يرجئ الأسئلة أو يحيل السائل على أحد كبار الصحابة ، بل يتولى الإجابة بنفسه لأنها شعبة من الوحي غير موجودة عند غيره ، وشاء الله عز وجل توثيق هذه الأجوبة بالتنزيل لتكون مدرسة للأجيال .

(١) سورة البقرة ٢١٩ .

(٢) سورة الأعراف ١٨٧ .

(٣) سورة النجم ٣-٤ .

### تقسيم غنائم حنين

لقد كانت غنائم حنين أكثر وأكبر غنائم حازها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، ولم يقصدها النبي محمد ولم يرد حيازتها ، إنما تركتها هوازن وثقيف وراءهم في الميدان بعد تعديهم وهجومهم المباغت على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه بعد أن أمرهم رئيسهم مالك بن عوف باخراج نسائهم وصبيانهم وأنعامهم معهم للميدان كي يقاتلوا دونها.

وتبين الواقعة الضبط والإنضباط في معسكر المشركين بتقيدهم بأوامر مالك بن عوف مع أنه لم يبلغ من العمر سوى ثلاثين سنة ، ومع استماعهم لإحتجاج دريد بن الصمة عليه ، وتوييخه له على إخراج الطعن والأنعام معه .

وكان دريد بن الصمة يومئذ ضريراً قد تجاوز عمره مائة عام أخرجوه معهم للتيمن ، فأرسل على مالك بن عوف فقال له (يا مالك إنك قد أصبحت رئيس قومك ، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام ، ما لي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء .  
قال سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم قال : ولم ذاك .  
قال أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله ليقاتل عنهم قال :  
فأنقض به .

ثم قال راعي ضأن والله وهل يرد المنهزم شيء ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه وإن كانت عليك فضحت في أهلِكَ ومالك<sup>(١)</sup>.

ليبان إرادة الله عز وجل في إنذار الذين كفروا على ألسنتهم واقتران هذا الإنذار بالشقاق بينهم ، وإدراك الخطأ والضلالة التي هم عليها لعلمهم يحذرون ، ويتوبون .

(١) الروض الأنف ٤/٢٠٤.

ثم طلب من مالك بن عوف إعادة النساء والصبيان إلى ديار هوازن ومدينة الطائف ليقوا في أمن حتى في حال الهزيمة ، ولكن مالكا كان يظن أن النصر والغلبة له ، وكره أن يكون شأن وقول لدريد بن الصمة في الواقعة.

فقال (وَاللَّهِ لَأَفْعَلُ ذَلِكَ إِنَّكَ قَدْ كَبَرْتَ وَكَبَرَ عَقْلُكَ . وَاللَّهِ لَتُطِيعَنِّي يَا مَعْشَرَ هَوَازِنَ أَوْ لَأَتَكْتَنَنَّ عَلَيَّ هَذَا السَّيْفَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ ظَهْرِي . وَكَرِهَ أَنْ يَكُونَ لِدُرَيْدِ بْنِ الصِّمَّةِ فِيهَا ذِكْرٌ أَوْ رَأْيٌ ؟ فَقَالُوا : أَطْعَمَكَ) (١).

لقد أقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الجعرانة وهو يرجو مجئ وفد هوازن ليعيد لهم الغنائم والسبايا ، ولكنهم تخلفوا وصار الناس يلحون عليه بتوزيع الغنائم ومنها أربعة وعشرون ألف من الإبل ، وأربعون ألف شاة . وقال ابن الأثير (ولما فرغ رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، من رد سبايا هوازن ركب واتبعه الناس يقولون: يا رسول الله اقسم علينا فيئنا، حتى أجزؤه إلى شجرة، فاخطف رداؤه .

فقال: ردوا علي ردائي أيها الناس، فوالله لو كان لي عدد شجر تهامة نعم لقسمتها عليكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً. ثم رفع وبرة من سنام بعير وقال: ليس لي من فيئكم ولا هذه البرة إلا الخمس وهو مردود عليكم.

ثم أعطى المؤلف قلوبهم، وكانوا من أشراف الناس، يتألفهم على الإسلام، فأعطى أبا سفيان وابنه معاوية، وحكيم بن حزام، والعلاء بن جارية الثقفي، والحارث بن هشام، وصفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى، وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، ومالك بن عوف النصرى، كل واحد منهم مائة بعير .

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ٤٣٧/٢.

وأعطى دون المائة رجالاتاً، منهم: مخزوم بن نوفل الزهري، وعمير بن وهب، وهشام بن عمرو، وسعيد بن يربوع، وأعطى العباس بن مرداس أباعر، فسخطها وقال:

كانت نهاباً تلافيتها ... بكرّي على المهر في الأجرع  
وليقاضي القوم أن يرقدوا ... إذا هجع الناس لم أهجع  
فأصبح نهبي ونهب العبي ... د بين عيينة والأقرع  
وقد كنت في الحرب ذا تدرب ... فلم أعط شيئاً ولم أمنع  
إلا أفائل أعطيتها ... عديد قوائمها الأربع  
وما كان حصن ولا حابس ... يفوقان مرداس في المجمع  
وما كنت دون امرءٍ منهما ... ومن تضع اليوم لا يرفع  
فأعطاه حتى رضي<sup>(١)</sup>.

أي أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لم يوجه له اللوم ، ولم يعرض عنه ، فهو من المؤلفلة قلوبهم إنما أعطاه من الإبل والشيء حتى رضي ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

### دريد بن الصمة

اسمه دريد بن معاوية بن الحارث ، والصمة لقب ابيه فغلب عليه ، وهو من هوازن ، من فرسان العرب ، قاد قبيلته في عدد كثير من الغزوات ولم ينهزم في واحدة منها ، وهو من المعمرين عاش حتى سقط حاجباه على عينيه وفقد بصره في آخر سني حياته ، أخرجته هوازن معها لمعركة حنين تيمناً به ، والإنتفاع من خبرته ، وقد تقدم احتجاجه على مالك بن عوف في إخراج النساء والصبيان معه للقتال<sup>(٣)</sup>.

(١) الكامل في التاريخ ١/٣٣٨.

(٢) سورة القلم ٤.

(٣) أنظر الجزء السادس والستين بعد المائتين من هذا السفر ص ٢٤ من هذا السفر.

وعند هزيمة هوازن تفرقوا إلى ثلاث فرق بلحاظ الجهة التي توجهوا إليها ، فرقة توجهت إلى نخلة والتي تبعد عن مكة نحو (٤٢) كم ومنهم دريد بن الصمة على جملة ، فأرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم خيلا من سلك نخلة ، وأدرك ربيعة بن ربيع دريد بن الصمة ، فأخذ بخنطام جملة ، وهو على هودج صغير شجار يوضع عادة للنساء ، فظن أنه امرأة ، فأخذ ربيعة بخنطام الجمل .

ثم تبين له أنه شيخ كبير فأناخ فلما نظر إليه قال (ما أريد إلى غيره ممن هو على مثل دينه)<sup>(١)</sup> أي في مثل هذا العمر والتقدم فيه وهو على الشرك والوثنية .

وقيل كان عمره مائة وستين سنة (فقال : له دريد ما تريد قال أقتلك قال وما تريد إلى المرعش الكبير الفاني الأورد قال : الفتى ما أريد إلى غيره ممن هو على مثل دينه .

قال له دريد من أنت ، قال أنا ربيعة بن ربيع السلمي ، قال فضربه بسيفه فلم يغن شيئا .

قال دريد بثس ما سلحتك أمك خذ سيفي من وراء الرحل في الشجار فاضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فإني كنت كذلك أقتل الرجال .

ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة فرب يوم قد منعت فيه نساءك .

زعمت بنو سليم أن ربيعة لما ضربه تكشف للموت عجانه وبطون فخذيه مثل القراطيس من ركوب الخيل .

فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه فقالت والله لقد اعتق أمهات لك ثلاثا في غداة واحدة وجز ناصية أهلك ، قال الفتى لم أشعر<sup>(٢)</sup> .

(١) مغازي الواقدي ١/٩١٥ .

(٢) تاريخ دمشق ١٧/٢٤٢ .

وقالت ابنته عمرة بنت دريد في رثاء أبيها :  
 جزى عنا الإله بني سليم ... وأعقبهم بما فعلوا عقاق  
 وأسقانا إذا سرنا إليهم ... دماء خيارهم عند التلاقي  
 فرب عظيمة دافعت عنهم ... وقد بلغت نفوسهم التراقي  
 ورب كريهة أعتقت منهم ... وأخرى قد فككت من لوثاق  
 ورب منوه بك من سايم ... أجبت وقد دعاك بلا رماق  
 لعمرك ما خشيت على دريد ... ببطن سميرة جيش العتاق  
 وقال تراثيه أيضاً:

قالوا قتلنا دريداً قلت قد صدقوا ... وظل دمعي على الخدين ينحدر  
 لولا الذي قهر الأقوام كلهم ... رأت سليم وكعب كيف تقتدر  
 إذا لصبحهم منا وظاهرهم ... حيث استقلت نواهم جحفل زفر<sup>(١)</sup>.

### الأنصار وتوزيع الغنائم

لقد أكرم الله عز وجل الأوس والخزرج بايواء النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمهاجرين ، ونصرته والدفاع معه في أحلك الأحوال ، فائى الله عز وجل عليهم وعلى المهاجرين في آيات من القرآن منها ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأثناء توزيع الغنائم قال أحد الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن (محمد بن عمر: هو سعد بن أبي وقاص: يا رسول الله، أعطيت عيينة بن حصن، والاقرع بن حابس مائة، وتركت جعيل بن سراقه الضمري

(١) الوافي بالوفيات ٤/٤٢٤.

(٢) سورة الأنفال ٧٢.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أما والذي نفس محمد بيده لجعيل بن سراقه خير من طلاع الارض كلهم مثل عيينة بن حصن، والاقرع بن حابس، ولكني تألفتها ليسلما، ووكلت جعيل بن سراقه إلى إسلامه<sup>(١)</sup>.

أي وإن لم يعط جعيل زيادة من الغنائم فهو باق على إيمانه ، ونزل القرآن بإعطاء المؤلفة قلوبهم ، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وكانت واقعة حنين هي أكثر الوقائع التي أعطي فيها المؤلفة قلوبهم من الغنائم وكثرة عدد الرؤساء والوجهاء الذين دخلوا الإسلام عند فتح مكة ، ورجاء جذب قبائلهم للإيمان ، ومنع إثارتهم الفتن .

### تهذيب السلوك

قال زياد الصائدي أنه أتى رجل وهو يسمع إلى النبي فقال (يا رسول الله أعطني فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من سأل الناس عن ظهر غنى فصداع في الرأس وداء في البطن)<sup>(٣)</sup>.

ليبان قبح السؤال من غير حاجة ، فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم جهاده في تهذيب السلوك ، وبعث العز في النفوس ، والتوجه إلى الله عز وجل بالحاجة قليلة كانت أو كثيرة ، وفي التنزيل ﴿وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾<sup>(٤)</sup>.

فعاد السائل وقال (أعطني من الصدقة .

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٤٠١/٥.

(٢) سورة التوبة ٦٠.

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ١٦١/٤.

(٤) سورة النساء ٣٢.

فقال رسول الله: إن الله لم يرض في الصدقات بحكم نبي ولا غيره حتى حكم هو فيها فجزأها ثمانية أجزاء.  
فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك.  
قال الصدائي: فدخل ذلك في نفسي، أنى غني وأنى سألته من الصدقة<sup>(١)</sup>.

وقد يتعلق الحديث النبوي بشخص ، ولكن منافعه وما فيه من الموعظة تشمل غيره كما في قول الشاعر: إياك أعني واسمعي يا جارة).  
وعندما حان أوان صلاة الصبح أمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم زياد الصدائي أن يؤذن لأنه كان قريباً منه .  
فأذن ثم سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقيم ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نظر إلى جهة المشرق من الفجر وأمهلته ينتظر اجتماع أصحابه ، إذ انهم في حال سفر فتلاحقوا ، يقول الصدائي :  
فقال النبي (هل من ماء يا أخا صداء قلت لا إلا شيء قليل لا يكفيك فقال اجعله في إناء ثم اثني به ففعلت فوضع كفه في الماء قال فرأيت بين أصبعين عينا تفور .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لولا أني استحي من ربي عز وجل لسقينا واستقينا .  
ناد في أصحابي من له حاجة في الماء فنادت فيهم فاخذ من أراد منهم شيئاً ثم قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الصلاة فاراد بلال أن يقيم فقال له رسول الله إن أخا صداء أذن ومن أذن فهو يقيم قال الصدائي فاقمت<sup>(٢)</sup>.

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٤/١٦١ .

(٢) البداية والنهاية ٥/٨٣ .

## تألف المؤلفلة قلوبهم

قد ورد ذكر المؤلفلة قلوبهم مرة واحدة في آية الصدقات ، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١).

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم امتثاله لأمر الله عز وجل وإن كان لا يحظى هذا الإمتثال برضا الجميع ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢).

والمراد من المؤلفلة قلوبهم هم الذين دخلوا الإسلام ولم يثبتوا بعد في منازل الإيمان فيعتنى بهم تألفاً لقلوبهم واجتناب شرورهم وهم غير المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويخفون الكفر، والذين يأخذون من الصدقات لظاهر إسلامهم ، ويلحق بالمؤلفلة قلوبهم الكفار الذين يرجى إسلامهم ، إذ أعطى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين مائة ناقة لصفوان بن أمية مع أنه لم يسلم بعد ترغيباً له بالإسلام حتى صار النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحب الناس إليه .

وأيهما أكثر أذى وشرأ على الإسلام المنافقون أم المؤلفلة قلوبهم ، الجواب المنافقون ، لذا قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (٣) ، وقال تعالى ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ (٤).

(١) سورة التوبة ٦٠ .

(٢) سورة المائدة ٦٧ .

(٣) سورة التوبة ٧٣ .

(٤) سورة النساء ١٤٥ .

ولم تكن معركة حنين هي المناسبة الوحيدة التي أعطى فيها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المؤلفلة قلوبهم إذ ورد (عن أبي سعيد الخدري قال: بعث علي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من اليمن ذهباً وفيها تربتها، فقسمها بين يدي أربعة: بين الأقرع بن حابس الخنظلي، ثم أحد بني مجاشع، وبين عيينة بن حصن الفزاري وبين علقمة بن علاثة العامري وبين زيد الخيل الطائي).

فقال قريش والأنصار: أيقسم بين صناديد أهل نجد ويدعنا.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إنما أتلفهم.

إذ أقبل رجل غائر العينين مشرف الوجنتين نأتى الجبين كثر اللحية مخلوق، فقال: يا محمد، اتق الله.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: من يطيع الله إذا عصيته، قال: فسأله رجل من القوم قتله قال: حسبته خالد بن الوليد - فولى الرجل.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن من ضئضئى هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية. لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد<sup>(١)</sup>.

### لماذا الإعطاء للمؤلفة قلوبهم

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم البذل والإعطاء للمؤلفة قلوبهم، وفيه مسائل:

الأولى: الكرم الذي يتصف به النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهذا الكرم شعبة من الوحي لعمومات قوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ

\* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) مختصر تاريخ دمشق ١٠٧/٢.

(٢) سورة النجم ٢-٣.

الثانية : حسن سمت الصحابة من المهاجرين والأنصار ، وعدم اعتراضهم على دفع النبي محمد للمؤلفة قلوبهم ، خاصة وأن النبي غالباً ما يدفع لهم من نصيبه من الخمس ، ولا عبرة بالقليل النادر والذي يرد كلامه بصيغة الإستفهام التقريري .

الثالثة : موضوعية تألف القلوب في إصلاح المجتمعات ، وتثبيت أحكام الشريعة .

الرابعة : سعي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لطرد النزغ والريب ولدفع الفتنة من المجتمعات .

الخامسة : نشر مفاهيم الود والمحبة بين المسلمين وعامة الناس .

السادسة : إنفاق النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الأموال ، وبيان قانون إعطاء (المؤلفة قلوبهم) من الصدقات والزكاة والإنفاق في سبيل الله .

السابعة : سرعة توزيع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الأموال التي تصله .

الثامنة : حسن توكل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الله عز وجل والتطلع إلى الرزق منه تعالى ، قال تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُنْبِتَتْ سَعْسَعًا لَبِ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> .

التاسعة : اجتناب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عسكرة البلد ، أو القيام بشراء الخيل والسيوف والدرع بالأموال التي تأتيه .

العاشرة : أغلب المؤلفة قلوبهم الذين يأخذون من الغنائم ممن يحضرون مع النبي محمد كما في حديث معركة حنين المتقدم .

إذ أعطاهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ من نصيبه من الخمس .

(١) سورة البقرة ٢٦١ .

## الإعطاء من الخمس

من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup> كثرة انفاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأموال ، فلا تستقر عنده ، فحالما تصله الصدقة أو الزكاة أو الغنائم يقوم بتوزيعها وإذا سأله شخص أو جماعة ولم يكن عنده دعا الله عز وجل في الحال وأملهم خيراً ، وما أن يأتيه المال حتى يرسل في طلبهم .

وفي معركة حنين وبعد أن انهزمت هوازن وثقيف وحاز الصحابة الغنائم من الإبل والغنم التي تركوها مع كثرتها .

(وقسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأموال بين المسلمين، ثم أعطى من نصيبه من الخمس المؤلفة لقلوبهم ، وهم: أبو سفيان بن حرب ابن أمية، وابنه معاوية، وحكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى. والحارث بن الحارث بن كلدة أخو بني عبد الدار.

وقد قال بعضهم: الحارث بن الحارث هذا من مهاجرة الحبشة، فإن صح ذلك فقد أعاده الله تعالى من أن يكون من المؤلفة لقلوبهم الذين أعطوا في هذه السبيل، وهو أخو النضر بن الحارث الذي ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنقه صبراً يوم بدر.

والحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي (وهو أخو أبي جهل) وسهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى بن أبي قيس، والعلاء بن جارية الثقفي، حليف بن زهرة .

وصفوان بن أمية الجمحي، وعيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، والأقرع بن حابس التميمي .

أعطى كل واحد من هؤلاء مائة بعير. وأعطى عباس بن مرداس السلمي أقل من ذلك، فقال شعراً يخاطب به رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.

وسلم، فآتم له المائة. ومالك بن عوف النصرى، وقد كان فر عن الطائف ولحق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم. فهؤلاء أصحاب المئين<sup>(١)</sup>.

(و) عن ابن عباس قال: كانت المؤلفة قلوبهم خمسة عشر رجلاً، منهم: أبو سفيان بن حرب، والأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن الفزاري، وسهيل بن عمرو العامري، والحارث بن هشام المخزومي، وحويطب بن عبد العزى من بني امر بن لؤي .

وسهيل بن عمرو الجهني، وأبو السنابل بن بعكك وحكيم بن حزام من بني أسد بن عبد العزى، ومالك بن عوف النصرى .

وصفوان بن أمية، وعبد الرحمن بن يربوع، من بني مالك، وجد بن قيس السهمي، وعمرو بن مرداس السلمي، والعلاء بن الحارث الثقفي. أعطى كل واحد منهم مائة بعير، وأعطى يربوع وحويطب خمسين خمسين ، في حديث طويل<sup>(٢)</sup>.

وقيل أن للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خمس الخمس لقوله تعالى ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانَ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

ولكن (أخرج ابن مردويه عن زيد بن أرقم قال : آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذين أعطوا الخمس آل علي ، وآل عباس ، وآل جعفر ، وآل عقيل)<sup>(٤)</sup>.

(١) جوامع السيرة ٢٤٥/١ .

(٢) ابن الأثير / أسد الغابة ٣٦٥/٢ .

(٣) سورة الأنفال ٤١ .

(٤) الدر المنثور ٤٥٦/٤ .

فذكر خمس المغنم ، ولم يذكر أنه خمس الخمس إذ منع بنو هاشم من الصدقة فجعل الله عز وجل لهم الخمس ، ومنه سهم اليتامى ، وسهم المساكين ، وسهم ابن السبيل .

و(عن جبير بن مطعم قال : قسم رسول الله سهم ذي القربى على بني هاشم وبني المطلب ، قال : فمشيت أنا وعثمان بن عفان حتى دخلنا عليه ، فقلنا : يا رسول الله ، هؤلاء اخوانك من بني هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي وضعك الله به منهم ، رأيت اخواننا من بني المطلب ، أعطيتهم دوننا وإنما نحن وهم بمنزلة واحدة في النسب ، فقال : إنهم لم يفارقونا في الجاهلية والإسلام)<sup>(١)</sup>.

(وفي لفظ : إنهم لم يفارقوني في جاهلية ولا إسلام وإنما بنو هاشم وبني المطلب شيء واحد وشبك بين أصابعه)<sup>(٢)</sup>.

وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يأخذ الخمس ثم يرده على المسلمين بالعطاء المتفرق ، وهل هذا الرد والعطاء بالوحي ، الجواب نعم ، وهل من ملازمة بينه وبين الإستحقاق ، الجواب لا .  
لذا أعطى النبي محمد المؤلفة قلوبهم وأكثرهم غير محتاج لأن الملاك هو تألفهم مع حبهم المال ، وطلبهم المزيد منه .

### **الفرق بين الغنيمة والانفال والفيء**

الغنيمة : هي ما غنمه المسلمون من المشركين بالقوة والقتال ، ويشمل أرباح المكاسب والتجارات والزراعة ولا تختص بايجاف الخيل ، لعمومات اللفظ .

وتقسم غنائم الحرب منها أربعة أخماس على المقاتلين ، ويدفع الخمس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان يجعله في مصالح المسلمين ، ويرده عليهم ، قال تعالى ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ

(١) الدر المنثور ٤/٤٥٦ .

(٢) كنز العمال ١٤/٧١ .

لِلَّهِ حُسْنُهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأُولَىٰ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ أَتَى الْجُمُعَانَ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾.

والأنفال : جمع نفل وهو الزيادة ، وقد ورد لفظ الأنفال مرتين في آية واحدة من القرآن وهي الآية من السورة التي سميت باسمها ، قال تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢) ، وهذه الآية نزلت بخصوص معركة بدر والغنائم التي أصابها المسلمون يومئذ .

و(عن عبادة بن الصامت قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فشهدت معه بدرًا ، فالتقى الناس فهزم الله العدو ، فانطلقت طائفة في آثارهم منهزمون يقتلون ، واكبت طائفة على العسكر يجوزونه ويجمعونه ، وأحدقت طائفة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يصيب العدو منه غرة ، حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم : نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب .

وقال الذين خرجوا في طلب العدو : لستم بأحق بها منا ، نحن نفينا عنها العدو وهزمناهم . وقال الذين أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لستم بأحق بها منا نحن أحدقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به ، فنزلت ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ (٣) فقسّمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين المسلمين .

(١) سورة الأنفال ٤١.

(٢) سورة الأنفال ١.

(٣) سورة الأنفال ١.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أغار في أرض العدو ونفل الربع ، وإذا أقبل راجعاً وكل الناس نفل الثلث .  
 وكان يكره الأنفال ويقول : ليرد قوي المسلمين على ضعيفهم<sup>(١)</sup> .  
 ويكون الخمس في الفيئ والغنمة على خمسة اسهم :  
الأول : سهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .  
الثاني : سهم لذوي القربى بنو هاشم وبني المطلب .  
الثالث : سهم اليتامى .  
الرابع : سهم للمساكين .  
الخامس : سهم لابن السبيل الذي انقطع به السفر وليس عنده مؤونة يصل بها إلى بلده .

وأما الفيئ : فهو ما حصل عليه المسلمون من الأموال بالصلح وبدون قتال ، فهو عائد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم إلى بيت المال ، قال تعالى ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾<sup>(٢)</sup> .

### الإنصاف للشكوى على العامل

لقد أسلم زياد بن الحارث الصدائي ودعا قومه للإسلام ، وهو مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجاء وفد منهم وأعلنوا إسلامهم ، فآكرمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فصاحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سفر ، يقول (فتزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منزلاً فأتاه أهل

(١) الدر المنثور ٤/٤٠٥ .

(٢) سورة الحشر ٧ .

ذلك المنزل يشكون عاملهم ويقولون: أخذنا بشئ كان بيننا وبين قومه في الجاهلية.

فقال رسول الله: أو فعل ذلك؟ قالوا: نعم.

فالتفت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أصحابه وأنا فيهم فقال:  
: لا خير في الإمارة لرجل مؤمن<sup>(١)</sup>.

في إنذار من تولي الإمارة مع الوقوع في الخطأ وحمية الجاهلية إذ أخذهم هذا العامل على خصومة وشقاق جرى بينهم وبين قوم العامل الذي عينه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

قال الصدائي (فدخل قوله في نفسي) لأنه سأل النبي حلة الإمارة على قومه ، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كتب له كتاباً بالأمر عليهم .  
لقد أنصت النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الشكوى على العامل ، وتلقاها بالقبول ولكنه لم يأمر بازاحة العامل فوراً ، إنما فعل ما فيه إصلاحه والتنبيه عليه .

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عدم وجود حاجب بينه وبين عامة الناس مسلمين وأهل كتاب غيرهم ، وهو يجيب على الأسئلة ، ويسمع الشكوى على عماله وأصحابه .

### إرجاع السرية

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم دعوته النبوية الخالصة لله عز وجل ، وسعيه لدخول الناس الإسلام من غير ضرر وقتال ، وقد أكرم المؤلفه قلوبهم ، فأعطى كل واحد منهم في معركة حنين مائة بعير لتألفهم على الإسلام ، وترغيب رؤساء وأشرف العرب بدخول الإسلام ، والإمتناع عن محاربتة .

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٤/١٦١.

فحينما يأمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ببعث سرية ثم يتبين تحقق سبل الهداية والرشاد لأهل الجهة المبعوث إليها فانه يصرف النظر عن إرسالها بانتظار مجئ القوم ودخولهم سلماً الإسلام .

بل كان إذا أرسل سرية ثم أعطاه شخص العهد بدخولهم الإسلام فانه يأمر بارجاع السرية إطمئناناً للعهد ، مع أنه على نحو القضية الشخصية .

كما في إرسال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم سرية قيس بن سعد بن عبادة إلى صداء في أربعمئة بعد عمرة الجعرانة .

عن (زياد بن الحارث الصدائي يحدث قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبايعته على الإسلام فأخبرت أنه قد بعث جيشاً إلى قومي فقلت : يا رسول الله أردد الجيش وأنا لك بإسلام قومي وطاعتهم فقال لي : اذهب فردهم فقلت : يا رسول الله إن راحلتي قد كلت فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً فردهم)<sup>(١)</sup>.

(وقد ذكر الواقدي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان بعث بعد عمرة الجعرانة قيس بن سعد بن عبادة في أربعمئة إلى بلاد صداء فيوطنها فبعثوا رجلاً منهم فقال جئتكم لترد عن قومي الجيش وأنا لك بهم ثم قدم وفدهم خمسة عشر رجلاً ثم رأى منهم حجة الوداع مائة رجل)<sup>(٢)</sup>. وصداء حي من اليمن فقام زياد الصدائي بكتابة كتاب إلى قومه يبين لهم الأمر ، ويدعوهم إلى الإسلام ، ويحثهم على ترك الكفر والعناد ، وكان زياد الصدائي لقي النبي محمداً في بعض أسفاره .

فجاء وفد من صداء إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعددهم خمسة عشر رجلاً وأعلنوا إسلامهم .

يقول زياد فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (يا أخا صداء إنك لمطاع في قومك)<sup>(٣)</sup> لبيان الضبط والدقة في أوامر النبي محمد صلى الله

(١) سيرة ابن كثير ١٦١/٤ .

(٢) البداية والنهاية ٨٤/٥ .

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ١٦١/٤ .

عليه وآله وسلم وتوثيقها بالكتب والتدوين ، والثناء على الذي يجتهد في الدعوة إلى الله .

لقد أمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بارجاع سرية قيس بن سعد إلى صداء بوعد من أحد أفراد قبيلة صداء لأن الغاية ليست الهجوم أو الغزو وإنما هي الهداية إلى الإيمان .

وتبين هذه الواقعة دخول أفواج من الناس الإسلام تلقاء أنفسهم ، وتسليماً بالمعجزات التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من غير أن يجهز الجيوش والسرايا وتصلهم وتدعوهم للإسلام .

### تلقين الوند

مع أن هوازن وثقيفاً حاربوا النبي محمداً في معركة حنين ولكنه عندما جاءوه بعد خمسة عشر يوماً لم يتلقاهم بغضب ولم يوبخهم بل أنصت لهم واستجاب لهم ، ولقتهم كيف يخاطبون المهاجرين والأنصار في مسألة عتق السبايا ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٦١﴾ (٢)

وفي خبر (المسور بن مخزوم ومروان بن الحكم: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترون ، وأحب الحديث إلي أصدقاه، فاختروا إحدى الطائفتين، إما السبي، وإما المال وقد كنت إستانيت بكم .

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف، فلما تبين لهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غير راد عليهم إلا إحدى الطائفتين.

(١) سورة آل عمران ١٥٩.

(٢) أنظر الجزء الخامس والأربعين بعد المائة من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

قالوا: يا رسول الله خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا ، بل إبنائنا ونساؤنا أحب إلينا، ولا نتكلم في شاة ولا بعير.  
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم.

وإذا أنا صليت بالناس فإظهاروا إسلامكم ، وقولوا: إنا إخوانكم في الدين، وإنا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإني سأعطيكم ذلك ، وأسأل لكم الناس<sup>(١)</sup>.

وعلمهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم التشهد ، وكيف يكلمون المهاجرين والأنصار وعامة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما صلى الله عليه وآله وسلم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالناس صلاة الظهر قاموا فأستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالكلام بحضورته ، وتوجه كلامهم إلى المسلمين فأذن لهم .

فتكلموا وأحسنوا الكلام وصيغة الرجاء في رد سببهم عليهم ، فلما فرغوا من كلامهم قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطيباً فحمد الله عز وجل وإثنى عليه ، وذكر نعمة النصر على الذين كفروا في حنين ، وأن القوم جاءوا تائبين نادمين ، وأنه راد عليهم سببهم الذي له والذي لبني عبد المطلب .

فقال المهاجرون والأنصار ما لنا من السبي هو لله ولرسوله ، وأمتنع ثلاثة ، إذ قال الأقرع بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا نرد شيئاً من السبي ، وقال عيينة بن حصن : أما أنا وبنو فزارة فلا نرد .

وقال العباس بن مرداس : أما أنا وبنو سليم فلا نرد .  
ولكن بني سليم قالوا : ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٣٩٢/٥ .

(فَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ : وَهَتَّمُونِي .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ قَدْ جَاءُوا مُسْلِمِينَ وَقَدْ كُنْتُ اسْتَأْنَيْتُ سَبِيهِمْ وَقَدْ خَيْرْتَهُمْ فَلَمْ يَعْدِلُوا بِالْأَبْنَاءِ وَالنِّسَاءِ شَيْئًا .

فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهُنَّ شَيْءٌ فَطَابَتْ نَفْسُهُ بِأَنْ يَرُدَّهُ فَسَبِيلُ ذَلِكَ وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْتَمْسِكَ بِحَقِّهِ فَلْيُرِدَّ عَلَيْهِمْ وَلَهُ بِكُلِّ فَرِيضَةٍ سِتُّ فَرَائِضَ مِنْ أَوَّلِ مَا يَفِيءُ اللَّهُ عَلَيْنَا ، فَقَالَ النَّاسُ قَدْ طَيَّنَا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

فَقَالَ إِنَّا لَأَنْ نَعْرِفُ مَنْ رَضِيَ مِنْكُمْ مِمَّنْ لَمْ يَرْضَ فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعَ إِلَيْنَا عَرَفَاؤُكُمْ أَمْرَكُمْ فَرُدُّوا عَلَيْهِمْ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ أَحَدٌ غَيْرَ عُبَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ فَإِنَّهُ أَبِي أَنْ يَرُدَّ عَجُوزًا صَارَتْ فِي يَدَيْهِ ثُمَّ رَدَّهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَكَسَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ السَّبِيَّ قُبْطِيَّةً قُبْطِيَّةً<sup>(١)</sup> .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه لم يجعل شروطاً على الوفد لعتق ورد سبايا هوازن وثقيف ، ولم يشترط عليهم فتح الطائف أو دفع الجزية إنما أعتقهم بلا شرط ، لبيان قانون هبات النبوة من غير قيد أو شرط أو استثناء .

فبذل النبي صلى الله عليه وآله وسلم الوسع ووعد بالهبات والعوض للصحابة كي يتم عتق السبايا ، ولو جاءه وفد هوازن وثقيف بعد معركة حنين قبل تقسيم الغنائم لأطلقهم جميعاً وأعاد الغنائم لهم .

(١) زاد المعاد ٣/٤١٧ .

## سرية أوطاس

جرت هذه السرية في شهر شوال من السنة الثامنة للهجرة ، بعد معركة حنين مباشرة ، وقيل في شهر ذي القعدة ، وهي إستمرار لمعركة حنين ، وحكم ضرورة لمنع عبث هوازن بالأمن العام بعد الفتح .

فقد بلغ النبي محمداً أن فلول هوازن وثقيف اجتمعوا في أوطاس مما يعني احتمال عودتهم للهجوم على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه خاصة مع خسائهم في القتلى يوم حنين ، ووقوع نسائهم وأطفالهم في السبي ، وصيرورة جميع أنعامهم غنائم .

إذ أمرهم رئيسهم مالك بن عوف بالخروج بجميع نسائهم وصبيانهم وأنعامهم للقتال يوم حنين ببسالة دونها ، فانهمزوا وتركوها خلفهم ، وكانت خسائهم كالاتي :

- أربعة وعشرون ألف من الإبل .
  - أربعون ألف شاة .
  - ستة آلاف من النساء والصبيان سبايا .
  - وقوع عدد من رجال ثقيف وهوازن قتلى وآخرين بالأسر .
- وأطلق النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم النساء والصبيان لسؤال وجهاء هوازن وثقيف له .

فملاحظة فلول هوازن لم تطلب بذاتها ، إنما القصد تفريق هذه الجموع ، وحملهم على الإضطراب للعودة إلى الطائف أو غيرها خاصة وأن أعدادهم ليست قليلة ، إنما هم آلاف من المشركين .

لأن عدد جيشهم كان عشرين ألفاً ، ولم يقتل ويؤسر منهم إلا (سبعون رجلاً ، في جملتهم الرئيسان : ذو الخمار ، وأخوه عثمان ، ابنا عبد الله بن ربيعة بن الحارث ، ولم يقتل من الأحلاف إلا رجلان ، لأن سيدهم قارب بن الأسود<sup>(١)</sup> لما رأى أول الهزيمة أسند رايته إلى شجرة وفر بقومه .

(١) في الأصل بن السود ، سهو من النساخ .

وهرب مالك بن عوف النصري مع جماعة منهم، فدخل الطائف مع ثقيف، وانحازت طوائف مع هوازن إلى أوطاس. وتوجه بنو غيرة من الأحلاف من ثقيف إلى نخلة<sup>(١)</sup>.

وبعد أن انهزمت هوازن وثقيف يوم حنين ويعد وادي حنين عن مكة نحو ثلاثين كيلو متر وحنين ماء لهوازن ، و(قالت امرأة من المسلمين لما هزم الله هوازن، وأظهر عليهم رسوله: أن حنيناً ماؤنا فخلوه أن تنهلوا منه فلن تعلقوه هذا رسول الله لن تعلقوه)<sup>(٢)</sup>.

وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد استعار من صفوان بن أمية أدرعاً فأعاره ما بين الثلاثين إلى الأربعين درعاً بعد أن سأله صفوان : عارية أو غصباً ؟ فأجابه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل عارية).  
ليبان أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لم يأخذ من أموال المشركين شيئاً حتى يوم فتح مكة مع شدة الحاجة إلى السلاح لملاقاة هجوم هوازن وثقيف بعد أن بلغت الأخبار بأنهم يستعدون للهجوم على المسلمين.

ولما وقعت معركة حنين وانقضت بهزيمة ثقيف جمعت أدرع صفوان ، ففقدت منها أدرع ، فلم يدقق النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الأمر كثيراً إنما خاطب صفوان قائلاً (قد فقدنا من أدرعك أدرعا فهل نغرم لك. قال: لا يا رسول الله إن في قلبي ما لم يكن يومئذ)<sup>(٣)</sup>.

وفيه شاهد ضمان العارية ، أي دخل قلبه الميل إلى الإسلام بعد رؤية المعجزات .

(١) جوامع السيرة ٢٤٠/١.

(٢) معجم ما استعجم ٦٣/١.

(٣) ابن كثير / السيرة النبوية ٦١٥/٢.

## الاجتماع في أوطاس

علم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن طائفة هوازن وثقيف صاروا يجتمعون في أوطاس الذي هو سهل يقع شرق مكة ، وهو من ديار هوازن .

وكانت هوازن وثقيف قد التقوا في أوطاس عند توجههم لقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في معركة حنين ، وبها جرى الجدل بين دريد بن الصمة ومالك بن عوف ، ويقع أوطاس على طريق حاج العراق ، فاذا خرجوا من مكة ووصلوا إلى أوطاس تفرقوا ، فذهب البصري يمينا ، والكوفي ثم البغدادي يساراً .

وتقع أوطاس بين مكة والطائف ، وفيها آبار ومنازل وحوانيت ، تجمعت فلول المشركين فيها ، ولا يستبعد قيامهم بغارات على المسلمين وعلى المدينة ، والقرى التي دخلت الإسلام بعد فتح مكة ، حيث اطمأنوا في قراهم وسفرهم وترحالهم .

فبعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم سرية برئاسة أبي عامر الأشعري لتفريقهم ، ولكنهم قاموا برمي السرية بالسهام ، وأصاب سهم أبي عامر الأشعري وكان حاملاً للراية ، فأخذها ابن عمه أبو موسى الأشعري ، واضطرت السرية للقتال : فانهزم المشركون .

ويذكر أن (سَلَمَةَ بْنَ دُرَيْدٍ هُوَ الَّذِي رَمَى أَبَا عَامِرٍ الْأَشْعَرِيَّ بِسَهْمٍ فَأَصَابَ رُكْبَتَهُ فَقَتَلَهُ فَقَالَ :

إِنْ تَسَأَلُوا عَنِّي فَإِنِّي سَلَمَةٌ ... ابْنُ سَمَادِيرٍ لِمَنْ تَوَسَّمَهُ  
أَضْرَبُ بِالسَّيْفِ رِعْوَسَ الْمُسْلِمَةِ  
وَسَمَادِيرُ أُمَّهُ<sup>(١)</sup> .

ولم يأمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بقتل الذين تجمعوا في أوطاس ، ولكن أراد تفرقهم كيلا يغيروا على الناس الآمنين وإلى الغيلة

(١) الروض الأنف ٤/٢٢٤ .

والغدر ، وتسمى هذه السرية غزوة أوطاس ، بمعنى أن النبي محمداً هو الذي قام بها استصحاباً لمعركة حنين بأنها من توابعها .

قال ابن القيم الجوزي (وتُسمى غزوة أوطاس وهما موضعان بين مكة والطائف ، فسُميت الغزوة باسم مكانها ، وتُسمى غزوة هوازن ، لأنهم الذين أتوا لقتال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)<sup>(١)</sup>.

وذيل الكلام أعلاه يدل على أن النبي محمداً ليس هو الغازي إنما جاء المشركون من هوازن وثقيف لقتاله وإرادة قتله وأصحابه ، وأوصى أبو عامر بأن يستغفر له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فلما بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قام (فصلى ركعتين ثم قال : اللهم اغفر لأبي عامر ، واجعله من أعلى أمتي في الجنة ، وأمر بتركة أبي عامر فدفعت إلى ابنه)<sup>(٢)</sup>.

### عتق السبايا

في سبايا حنين وأوطاس قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (لَا تُوطَأُ حَامِلٌ حَتَّى تَضَعَ وَلَا غَيْرُ حَامِلٍ حَتَّى تَحِيضَ حَيْضَةً وَاحِدَةً)<sup>(٣)</sup>.

وما لبث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن أعاد السبايا من النساء والصبيان إلى ثقيف وهوازن حالما جاء وفد منهم وسألوه عتقهم ، وكان عددهم ستة آلاف نفس .

لقد أعاد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم السبايا من النساء والصبيان إلى ثقيف وهوازن حالما جاء وفد منهم وسألوه عتقهم ، وكان عددهم ستة آلاف نفس .

وسواء كان ملك الأمة بسبي أو شراء أو هبة أو إرث ، لا يجوز وطؤها إلا بعد استبرائها حتى وإن كان الذي صارت إليه عيناً .

(١) زاد المعاد ٣/٤٠٨ .

(٢) مغازي الواقدي ١/٣٦٩ .

(٣) زاد المعاد ٥/١٢٠ .

والإستبراء هو العلم ببراءة الرحم ويتم بطرق :  
الأول : وضع ذات الحمل حملها ، وهو من عمومات قوله تعالى  
 ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾<sup>(١)</sup> .

الثاني : استبراء التي تحيض بمحيضة واحدة بخصوص السبية والأمة .  
الثالث : التي هي آيس تستبرأ بشهر واحد من حين دخولها في ملكه ،  
 وقول آخر ليس على الآيس عدة واستبراء .

ولا يجوز وطؤ المشتركة وإن كانت ملك يمين إلا أن تسلم لعمومات قوله  
 تعالى ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ...﴾<sup>(٢)</sup> .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم استجابته للذي  
 يسأله ، وعندما عاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من حنين  
 وأوطاس ووصل إلى الجعرانة ، جاءه وفد من هوازن ، وقد أسلموا وسألوه  
 إطلاق النساء والصبيان إذ قالوا (يا رسول الله إنا أهل وعشيرة ، وقد أصابنا  
 من البلاء ما لم يخف عليك ، فامنن علينا من الله عليك .

وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال: يا رسول الله إن ما في الحظائر من  
 السبايا خالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك، فلو أنا ملحننا ابن أبي  
 شمر، أو النعمان بن المنذر ثم أصابنا منهما مثل الذي أصابنا منك رجونا  
 عائدتهما وعطفهما، وأنت خير المكفولين)<sup>(٣)</sup> .

ثم أنشد

(أَمْنُنْ عَلَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ فِي كَرَمٍ ... فَإِنَّكَ الْمَرْءَ نَرْجُوهُ وَنَنْتَظِرُ  
 أَمْنُنْ عَلَيَّ بَيْضَةَ قَدْ عَاقَهَا قَدَرٌ ... مُمَزَّقٌ شَمَلُهَا فِي دَهْرَهَا غَيْرُ  
 يَا خَيْرَ طِفْلٍ وَمَوْلُودٍ وَمُنْتَخَبٍ ... فِي الْعَالَمِينَ إِذَا مَا حُصِّلَ الْبَشَرُ  
 إِنْ لَمْ تُدَارِكْهُمْ نِعْمَاءٌ تَنْشُرُهَا ... يَا أَرْجَحَ النَّاسِ حِلْمًا حِينَ يُخْتَبَرُ

(١) سورة الطلاق ٤.

(٢) سورة البقرة ٢٢١.

(٣) ابن كثير / السيرة النبوية ١/٢٣٣.

أَمُنَّ عَلَى نَسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهَا ... إِذْ فُوكَ تَمْلَأُهُ مِنْ مَحْضِهَا الدَّرْرُ  
 إِذْ كُنْتَ طِفْلاً صَغِيراً كُنْتَ تَرْضَعُهَا ... وَإِذْ يَزِينُكَ مَا تَأْتِي وَمَا تَدْرُ  
 لَأَ تَجْعَلُنَا كَمَنْ شَأَلْتَ نِعَامَتَهُ ... وَاسْتَبَقَ مِنَّا مِنْهُ مَعَشَرَ زَهْرٍ  
 يَا خَيْرَ مَنْ مَرَحَتْ كُمْتُ الْجِيَادِ بِهِ ... عِنْدَ الْهَيَاجِ إِذَا مَا اسْتَوْقَدَ الشَّرْرُ  
 إِنَّا لَنَشْكُرُ آلَاءَهُ وَإِنْ كُفِرَتْ ... وَعِنْدَنَا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ مَدْخَرُ  
 إِنَّا نُوْمَلُ عَفْوَاً مِنْكَ تَلْبَسُهُ ... هَذِي الْبَرِيَّةُ إِذْ تَعْفُو وَتَتَّصِرُ  
 فَاغْفِرْ عَفَاً اللَّهُ عَمَّا أَنْتَ رَاهِبُهُ ... يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذْ يُهْدَى لَكَ الظَّفَرُ<sup>(١)</sup>.

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد تأخر خمس عشرة ليلة لم يقسم الغنائم بانتظار مجئ وفد من هوازن وثقيف ، ولكن لم يأت أحد منهم ، وجاءوا بعدها ، ولم يعتذر منهم بأن الغنائم وزعت بل استجاب لسؤالهم لأنه نبي الرحمة .

### لماذا حصار الطائف

كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يدعو للإيمان والصلاح ، وبعد معركة حنين في السابع من شهر شوال من السنة الثامنة للهجرة والتي كانت فيها هوازن وثقيف هم المعتدون ، ومع هذا تسمى غزوة من غزوات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد كان يسير في عماية الصبح وأصحابه فباغتتهم هوازن وثقيف من الشعاب والأودية بالنبال والسيوف ، ليهزمهم الله عز وجل ، قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كُرُوتُكُمْ فَلَمْ تَغْنَمْ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾ \* ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين<sup>(٢)</sup>.

(١) الروض الأنف ٤/٢٦٢.

(٢) سورة التوبة ٢٥-٢٦.

فهمهم الله ودخلت ثقيف مدينة الطائف وأغلقوا باب الحصن الجبلي عليهم .

وتقع مدينة الطائف على قمم جبلية ، وتحيط بها تلال حجرية وانشأوا حصوناً متينة ، وليس من طريق إلى المدينة إلا من باب الحصن العالي السميك والذي يغلق بإحكام وتهيئوا للحصار بالتزود بالمؤن وكثرة السهام والنبال والسهام.

واختار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مسيره إلى الطائف طريقاً طويلة لتجنب الجبال ، ولقطع الإمداد الذي قد يأتي للمدينة من هوازن .

وصلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه إلى الطائف في العشرين من شهر شوال من السنة الثامنة بعد معركة حنين وسرية أوطاس ، وسرية نخلة فلم يجدوا راحة إلا باقامة الصلاة .

كما ورد عن الإمام علي عليه السلام قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا بلال قم فارحنا بالصلاة)<sup>(١)</sup>.

ليبان تفرغ القلب والجوارح لمناجاة الله عز وجل وفيها تفرج الهموم ، وكشف الغموم ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وحالما وصل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه إلى أسوار الطائف أمطرتهم ثقيف بالسهام والحجارة وأصيب عدد من المسلمين . فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالإبتعاد عن الأسوار نحو شمال شرق المدينة في أرض قاحلة ، ليقام فيما بعدئذ مسجد يسمى الآن مسجد عبد الله بن عباس ، ويدفن هناك أحد عشر صحابياً استشهدوا أثناء حصار الطائف.

(١) تاريخ بغداد ٤٤٢/١٠ .

(٢) سورة الرعد ٢٨ .

ويأمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عثمان بن أبي العاص بالصلاة في المسجد ، ويدفن عنده عبد الله بن عباس الذي توفي سنة ٦٨ للهجرة ، ومحمد بن علي بن أبي طالب الملقب بابن الحنفية .

وسمي هذا المسجد مسجد عبد الله بن عباس لوجود قبره إلى جواره ، والأولى تسميته بما يتضمن الإشارة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإقامته في هذا الموضع مدة حصار الطائف ، وذكرى هجرته الأولى إلى الطائف .

وبجوار المسجد أيضاً مقبرة تسمى مقبرة الشهداء تضم أجساد أحد عشر شهيداً دفنهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه أيام حصار الطائف .

لقد دعا النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أهل الطائف للإسلام ، ونادى مناديه العبيد فيها إلى المجئ إليه ووعدهم بالعتق وشراء حريتهم مع الإيمان ، فجاءه ثلاثة وعشرون عبداً ، ومنهم أبو بكره الثقفي الذي عبر السور ببكرة ، فلقب بها ، ولم يرجعهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ثقيف بعد أن دخلت الإسلام .

وقتل اثنا عشر من المسلمين ، وجرح عدد كثير منهم ، ولم يقتل من ثقيف سوى ثلاثة للإختباء داخل الحصن .

ورأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم اثناء حصار الطائف رؤيا بأن اهديت له قعبة مملوءة زبداً فنقرها ديك فأهرق ما فيها ، وأخبر بعض أصحابه وأولها بأنه لا يتم فتح الطائف .

لقد كان حصار الطائف إنذاراً لثقيف ، وزاجراً لهم عن الإرهاب والتعدي ، وكان النبي محمد يرجو هدايتهم خاصة وقد أحاط بهم الإسلام من كل الجهات وعملاً بقول الله تعالى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ إِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>.

(وَاسْتَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَوْفَلَ بْنَ مُعَاوِيَةَ الدِّيَلِيَّ ، فَقَالَ مَا تَرَى ، فَقَالَ ثَعْلَبٌ فِي جُحْرٍ إِنْ أَقَمْتَ عَلَيْهِ أَخَذْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَضُرَّكَ) (١).

فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بالرحيل والعودة إلى المدينة (فَلَمَّا ارْتَحَلُوا وَاسْتَقَلُّوا ، قَالَ قَوْلُوا : أَيُّونَ تَأْتِيُونَ ، عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ وَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَدْعُ اللَّهَ عَلَى ثَقِيفٍ . فَقَالَ اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا وَانْتِ بِهِمْ) (٢).

جاء وفد ثقيف إلى المدينة ودخلوا الإسلام ﴿وَكَلَّمَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ (٣).

### حصار الطائف تأديب

اختلف في مدة حصار الطائف ، على وجوه :

الأول : خمسة عشر يوماً ، كما عن عروة بن الزبير ، وموسى بن عقبة .

الثاني : عشرون يوماً .

الثالث : شهر .

الرابع : أربعون يوماً .

والمختار هو خمسة عشر يوماً ، وأكثر هذه التواريخ مراسيل ، ولم ترفع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو الصحابة .

لقد كان حصار الطائف حاجة للإسلام ولمكة والبيت الحرام ، فبعد الفتح صارت مكة عرضة لغزو الأعراب الذين يسيطون بها وانتقامهم من أهلها الذين دخلوا الإسلام من غير قتال خاصة مع قلة الرجال في مكة ، إذ خرج ألفان من سكنتها مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند الفتح ويسمون مسلمي الفتح .

(١) زاد المعاد ٣/٤٣٣ .

(٢) زاد المعاد ٣/٤٣٣ .

(٣) سورة الأحزاب ٢٥ .

لقد أثار فتح مكة حفيظة القبائل التي لا زالت على الكفر مثل ثقيف وهوازن ، وأغضبهم كسر جميع الأصنام التي في البيت الحرام ، وعلموا أن الدور قادم على أصنامهم التي يقصدونها .

عادوا إلى الطائف وأغلقوا باب الحصن وأحكموا جدرانها ، مما يحتمل معه عودتهم للهجوم والغزو ، فصار الحصن كالفئة آووا إليها لإصلاح حالهم .

فكان حصار الطائف تأديباً للذين كفروا وإنذاراً لهم ، وزاجراً لهم عن التعدي ، ودعوة لهم لدخول الإسلام .

ثم تجددت الدعوة بانسحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه عنهم ، لبيان أن الأمر ليس خصومة وقاتلاً بين قبيلتين ، إنما هو تضاد بين الحق والباطل ، وبين الإيمان والكفر ، قال تعالى ﴿فَأَيُّ آيَاتِنَا تُنْكِرُ مِنْكُمْ هُدًى فَنَنْتَبِعْ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى \* وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (١).

### المقدمة لحصار الطائف

لقد انسحبت أكثر جيوش هوازن وثقيف إلى مدينة الطائف ، وكذا فلولهم التي كانت في أوطاس بعد قتالهم مع سرية أبي عامر الأشعري وقتلهم له ، فأغلقوا عليهم باب حصن الطائف بعد إحكام الحصن ، والتزود بالمؤن والزاد لمدة سنة فكانت خسارة أخرى لها بعد خسارتهم في معركة حنين ، وذلاً وهواناً بين القبائل .

فلقد كان أهل الطائف يعملون بالتجارة وربا المال ، فاضطروا للإمتناع عن الخروج من البلدة ، وإن خرجوا يتلقفهم المسلمون في الطرقات العامة وفي مكة وغيرها ، ويضيقون عليهم بسبب إصرارهم على الشرك وحرهم لله ورسوله .

(١) سورة طه ١٢٣-١٢٤.

وبعد معركة حنين وسرية أوطاس عادت ثقيف وهوازن إلى الطائف وأغلقوا الحصن عليهم ، وهو نذير شر ، وأمارة على استعدادهم لقيامهم بالمكر والهجوم المباغت على المسلمين حينما يختارون جهة الزمان والمكان ، كما أن بلدة مكة وطريق الحج والمعتمرين المسلمين لا تكون في مأمن منهم ، قال تعالى ﴿ وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾<sup>(١)</sup>.

أكثر من عشرة آلاف مقاتل من هوازن وثقيف رجعوا إلى الطائف وأغلقوا باب الحصن عليهم ، وفي نفوسهم حسرة ورغبة بالثأر فهم في مستنقع الكفر والجهالة والعصية القبلية ، فتوجه إليهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لهدايتهم وإصلاحهم ، ودعوتهم للإسلام ، وأرسل إلى مالك بن عوف رئيسهم يدعوه إلى الإسلام مع الأمن والأمان .

ومن الإعجاز الغيري لنبوته محمد سرعة استجابة مالك بن عوف رئيس هوازن وثقيف في معركة حنين لدعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحضوره بين يديه مسلماً ، وعدم توجه اللوم له من جيوش هوازن وثقيف في آية لم يشهد لها التاريخ مثيلاً ، لأن الخلاف بين الإيمان والكفر وليس ذا صبغة قبلية أو دنيوية .

وأرسل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لحصار الطائف في مقدمته خالد بن الوليد ، ثم وصل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الذين اشتركوا بفتح مكة ، وأقاموا قرب حصن الطائف ، وما أن علمت بهم ثقيف حتى بادرت إلى رميهم بمئات السهام والحجارة دفعة واحدة لإخافتهم ، وحملهم على المغادرة ، وقتل عدد من المسلمين ، وجرح آخرون منهم .

ولكن النبي محمداً أظهر الصبر ولم يرد عليهم بالمثل ، إنما اكتفى بالإبتعاد عن الحصن ، وعسكر هو وأصحابه في مسجد الطائف اليوم الذي كان آنذاك خارج المدينة وبعيداً عنها .

(١) سورة الأنفال ٣٠.

و(عن الزهري: قاتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين وحاصر الطائف في شوال سنة ثمان.

وقال محمد بن إسحاق: ولما قدم فل ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها وصنعوا الصنائع للقتال.

ولم يشهد حنينا ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن سلمة، كانا بجرش يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والضبور<sup>(١)</sup>.

### التوجه إلى أسوار الطائف

لقد اجتمعت أكثر فلول المشركين بعد هزيمتهم في معركة حنين ثم في معركة أوطاس في الطائف ، وكانت ثقيف قد قاموا بترميم حصنهم ، وأدخلوا من الطعام والسلاح والمؤن ما يكفيهم لسنة ، فدخلوا الحصن وأغلقوا بابه عليهم ، واستعدوا للقتال وتوجه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الطائف رجاء دخول أهلها الإسلام ، ونجاتهم من براثن الكفر وعبادة الأوثان سواء التي نصبوها في الطائف أو في الجادة العامة ، ولمنعهم من الإضرار بالمسلمين .

وبعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الطفيل بن عمرو إلى الصنم ذي الكفين ، وأمره أن يندب قومه ويوافيه بالطائف ، فخرج الطفيل سريعا إلى قومه فقدم ذا الكفين (وجعل يحش النار في وجهه ويحرقه ويقول :

يَا ذَا الْكَفَيْنِ لَسْتُ مِنْ عِبَادِكَ ... مِيلَادُنَا أَقْدَمُ مِنْ مِيلَادِكَ  
إِنِّي حَشَشْتُ النَّارَ فِي فُؤَادِكَ

وأنحدر معه من قومه أربعمئة سراعا ، فوافوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالطائف بعد مقدمه بأربعة أيام وقدم بدبابية ومنجنيق<sup>(٢)</sup>.

ووصل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الطائف ومعه من نسائه أم سلمة ، ونزل والصحابة قريبا من الحصن من غير أن يرموا سهما أو

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٦٥٢/٣ .

(٢) زاد المعاد ٤٤٣/٢ .

حجارة ، ولكن ثقيفاً صاروا يرمونهم بالسهام والحجارة تنهال عليهم كالطرر ، وأصيب عدد من الصحابة ، إذ أرادت هوازن وثقيف أن يبعثوا الخوف في نفوس الصحابة ، ويقرروا الإنسحاب إلى المدينة .

ولم تعلم ثقيف أن السكينة التي نزلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة يوم حنين لا زالت باقية ومصاحبة لهم ، خاصة وأن حصار الطائف إمتداد لمعركة حنين ، قال تعالى ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وكان المشركون هم الغزاة في معركة حنين ، انطلقوا من الطائف وما عودتهم لها بذات رداء الشرك إلا ليعدوا العدة للإنتقام والثأر لخسارتهم في معركة حنين .

لم يرد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على سهام وحجارة المشركين بالرغم من إصابة عدد من المسلمين ، إنما أمر بنقل المعسكر بعيداً عن أسوار الطائف ، لبيان أنه لم يأت فاتحاً ، إنما داعياً إلى كلمة التوحيد ، وعندهم شاهد حاضر وهو فتح مكة .

فلم يأسر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أحداً من أهلها ، ولم يستول الصحابة على أموال لقريش و(عن ابن عباس قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام الفتح خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة)<sup>(٢)</sup> وفي رواية تسع عشرة ليلة .

(١) سورة التوبة ٢٦.

(٢) ابن كثير / السيرة النبوية ٥٩٩/٣.

## النهي عن دخول المخنث على النساء

في حصار الطائف نهى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن دخول المخنثين على النساء ، وكانت مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ من أزواجه أم سلمة التي قالت (كان عندي مخنث وهو في عرف السلف: الذي لاهم له إلى النساء لا غير ذلك).

فقال لعبد الله أخي: إن فتح الله عليكم الطائف غدا فاني أدلك على ابنه غيلان فانها تقبل باربع وتدبر بثمان.

فسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله.

فقال : لا أرى هذا يعلم ماها هنا لا تدخلن هؤلاء عليكن ، وكانوا يرونه من غير أولى الاربة من الرجال، قال ابن جريج: اسمه هيت.

قال ابن إسحاق: كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مولى لخالته فاخنة بنت عمرو بن عايد مخنث يقال له ماتع يدخل على نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويكون في بيته .

ولا يرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه يفطن لشيء من أمور النساء مما يفطن الرجال إليه، ولا يرى أن له في ذلك إربا، فسمعه وهو يقول لخالد بن الوليد: يا خالد إن فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الطائف فلا تفلتن منك بادية بنت غيلان، فانها تقبل باربع وتدبر بثمان.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين سمع هذا منه : لا أرى الخبيث يفطن لما أسمع ، ثم قال لنسائه : لا تدخلنه عليكن ، فحجب عن بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم<sup>(١)</sup>.

والمخنث هو الذي يشبه النساء في التكسر في المشي ، والخنوع والرقعة في كلامه وحركاته ، وهو على قسمين :

الأول : ما كان في أصل الخلقة والتكوين ، ولا لوم عليه ، ولكن عليه إصلاح حاله .

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٣٧٦/٥.

**الثاني:** الذي يتكلف الإتيان بما يشبه فعل النساء ، وهذا الفعل مذموم ومحرم ، والمخنث يدخل البيوت كالخادم لأنه ليس من أولي الأربة، فلا يأتي بمفسد ، وابنة غيلان بن سلمة وهو من رؤساء ثقيف .

و(عن ابن عمر : أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وتحتة عشر نسوة فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : اختر منهن ، وفي لفظ أمسك أربعاً وفارق سائرهن)<sup>(١)</sup>.

وابن كثير في البداية والنهاية ، وكذا البخاري وابن حجر والخطابي وغيرهم قول المخنث : تقبل بأربع وتدبر بثمان.

إشارة إلى عكن بطنها جمع عكنة وهي الطية التي تكون في البطن نتيجة السمنة لإفادتها أنها مملوءة الجسم ، وكانت بادية بنت غيلان من أجمل نساء ثقيف .

### أعداد ثقيف

كانت ثقيف يستعدون لكل الإحتمالات والحصار وحرب طويلة الأمد ، قال تعالى ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup> وتوجه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الطائف ، ونزل بحرة الرغاء من نواحي الطائف فأبتنى فيها مسجد وصلّى فيه .

واقصص في ذات الموضوع من رجل من بني ليث لأنه قتل عمداً رجلاً من هذيل ، وذكر أنه أول دم أقيد به في الإسلام .

ومرّ في طريقه بحصن مالك بن عوف رئيس جيوش هوازن وثقيف في معركة حنين ، فأمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بهدمه للدلالة على انتهاء نفوذه وذهاب سلطانه .

وسار في طريق فسأل عن اسمها فقيل له الضيقة فقال بل هي اليسرى لإرادة التفاؤل بالأسماء ولبركة مرور النبي صلى الله عليه وآله وسلم بها .

(١) الدر المنثور ٣/٣٤.

(٢) سورة الأنفال ٣٠.

وحاصر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثقيفاً في الطائف وقتلهم قتالاً شديداً وتراموا بالنبل ورماهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمنجنيق ، وهي أول مرة يرمى بها في الإسلام بالمنجنيق ، واستمر الحصار لنحو عشرين ليلة .

وجاءت خولة بنت حكيم السلمية زوجة عثمان بن مظعون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أثناء حصار الطائف فقالت (يا رسول الله أعطني إن فتح الله عليك حلى بادية بنت غيلان بن سلمة أو حلى الفارعة بنت عقيل - وكانت من أحلى نساء ثقيف فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لها : وإن كان لم يؤذن في ثقيف يا خويلة)<sup>(١)</sup>.

فعلم الصحابة أن الطائف لا يتم فتحها ، فقال عمر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أفلا أؤذن بالرحيل ، قال: بلى. فأذن عمر بالرحيل ، فلما استقبل الناس نادى سعيد بن عبيد بن أسيد بن أبي عمرو ابن علاج: ألا إن الحى مقيم)<sup>(٢)</sup>.

### يوم الشدخة

هذا اليوم من أيام حصار الطائف ، والشدخ كسر الشئ الأجوف كالرأس ، يقال : شدخ رأسه فانشدخ .

ويوم الشدخة من أيام حصار الطائف ، إذ قدم خالد بن سعيد من جرش بمنجنيق ودبابتين ، والدبابة هي أشبه بالغرفة المغطاة بالخشب تسير بداخلها الجنود يدفعونها ، حتى إذا وصلت إلى الحصن صاروا يثقبون الجدار بآلات حفر ودك ، وسميت بالدبابة لأنها تدب دبيباً بدفع ذاتي من الذين في داخلها حتى تصل إلى الحصن في سلامة من نبال وسهام أهل الحصن من غير أن تجر بالحيوانات ونحوها .

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٦٦٢/٣ .

(٢) ابن كثير / السيرة النبوية ٦٦٢/٣ .

والدبابة سلاح معروف عند الآشوريين في العراق من قبل الميلاد بنحو ثمانمائة سنة ، ولكنها كانت عندهم متطورة ولها عجالات ، وتسير ذاتياً بالدفع من الذين في داخلها فتحوا بها الحصون ، وتتسع الدبابة لنحو عشرة جنود ، وفيها فتحات صغيرة للرؤية لتوجيه الدبابة ، والحيلة والحذر .

والدبابة مركبة مستطيلة تصنع من الخشب ، وتغطى بالجلود ، وتطلى أيام الآشوريين بمواد كيميائية تمنع من احتراقها إذا تعرضت لنيران العدو . والدبابة التي استخدمها المسلمون ليس لها أرضية إنما تلامس أقدام المسلمين الأرض ، وهم يدفعون بها نحو الحصن ، وأول مرة تستعمل بها الدبابة في الجزيرة العربية هي في حصار الطائف ، وأخذت من الرومان ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (١) .

وزحفوا وهم في داخلها إلى جدار الحصن لحفر فجوة فيه ، والدخول منها إلى الطائف ، فأرسلت عليهم ثقيف سكك حديد محماة بالنار من فوق السور فحرقت الدبابة ، فخرج منها الصحابة ، وقد أصيب بعضهم ، فرمتهم ثقيف بالنبل فقتل عدد منهم .

فسمي يوم الشدخة لما شدخ من المسلمين يومئذ ، فأمر رسول صلى الله عليه وآله وسلم بقطع وتجريف أعناب ونخيل أهل الطائف التي خارج الحصن ، ويدل على كثرة هذه الأشجار أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه بأن يقطع كل واحد منهم مع كثرتهم خمس نخلات وخمس حبلات .

(١) سورة الأنفال . ٦٠ .

عندئذ نادى ثقيف (لم تقطع أموالنا ، إما أن تأخذها إن ظهرت علينا ، وإما أن تدعها لله وللرحم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فاني أدعها لله وللرحم)<sup>(١)</sup>.

فتركها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليدركوا ما يتصف به النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الرحمة العامة ، وفيه دعوة لهم للإسلام ، وترغيب بالإيمان ، ونفرة من قتال النبوة والتزليل وطرده للضغائن . وقال أحد الصحابة (وكان رجل يقوم على الحصن فيقول: روحوا رعاء الشاء! روحوا جلايب محمد روحوا عبيد محمد! أترونا نتبأس على أحبل أصبتموها من كرومنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم، روح مروحاً إلى النار! قال سعد بن أبي وقاص: فأهوى له بسهم فوق في نحره، وهوى من الحصن ميتاً. قال: فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد سر بذلك . قال: وجعلوا يقولون على حصنهم: هذا قبر أبي رغال. قال لعلي عليه السلام: أتدري يا علي ما هذا؟ قبر أبي رغال، وهم قوم ثمود)<sup>(٢)</sup>.  
(ونظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى قبر أبي أحيحة سعيد بن العاص وهو عند ماله وهو قبر مشرف .

قال أبو بكر : لعن الله صاحب هذا القبر، فإنه كان ممن يحاد الله ورسوله ، فقال ابنه عمرو بن سعيد ، وأبان بن سعيد ، وهما مع ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لعن الله أبا قحافة، فإنه كان لا يقري الضيف ولا يمنع الضيف .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن سب الأموات يؤذي الأحياء ، فإن شتمت المشركين فعموا)<sup>(٣)</sup>.

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٣٨٥/٥ .

(٢) مغازي الواقدي ٣٧٤/١ .

(٣) مغازي الواقدي ٣٧٣/١ .

أي اللعن بصفة الشرك من غير ذكر أسماء مخصوصة .

### إسلام مالك بن عوف النصرى

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعث الطمأنينة في نفوس الذين حاربوه ، ودعوتهم للإسلام ، وهو من الشواهد على إمثاله لقوله تعالى ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> ومنها أنه كان يبعث الرسائل لأعدائه يدعوهم للإسلام مع ترغيبهم بالنفع في الدنيا والثواب العظيم في الآخرة .

وقد قال الإسلام يجب ما قبله<sup>(٢)</sup> أي يحويه ويقطعه ، فلا يتعرض لمن يلوم من يدخل الإسلام على قبيح فعله وتعديه قبل الإسلام وقيامه بمحاربة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالسيف .

وبعد هزيمة هوازن وثقيف في معركة حنين بنحو عشرين يوماً قدم وفد منهم على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وسألوه أن يطلق السبايا من النساء والصبيان وعددهم ستة آلاف .

أطلقهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه لأنه تأنى وابطأ في القسمة رجاء أن يأتوا ولكنهم تأخروا فقسم الغنائم ، ومع هذا أعادها لهم وسألهم عن رئيسهم يوم حنين مالك بن عوف ، فأخبروه أنهم تركوه في الطائف فقال لهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (أخبروا مالكا أنه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله وأعطيته مئة من الإبل فأتى مالك بذلك فخرج إليه من الطائف .

وقد كان مالك خاف ثقيفاً على نفسه أن يعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له ما قال فيحسوه فأمر برأحلته فهبئت له وأمر بفرس له فأتى به إلى الطائف ، فخرج ليلاً ، فجلس على فرسه فركضه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تحبس فركبها .

(١) سورة فصلت ٣٤ .

(٢) تاريخ الطبري ٣١٤/٢ .

فَلَحِقَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَذْرَكَهُ بِالْجِعْرَانَةِ أَوْ بِمَكَّةَ فَرَدَّ عَلَيْهِ أَهْلُهُ وَمَالَهُ وَأَعْطَاهُ مِئَةً مِنَ الْإِبِلِ<sup>(١)</sup>.

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد حبس أفراد عائلة مالك عند عمته أم عبد الله بن أبي أمية .

وفي طريقه إلى الطائف نزل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في موضع يسمى (بليّة) قريب من الطائف ، وصلى فيه صلاة الظهر ورأى قصرًا فسأل عنه (فقالوا: هَذَا قَصْرُ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ. فَقَالَ: أَيْنَ مَالِكُ .

قَالُوا: هُوَ يَرَاكَ الْآنَ فِي حِصْنِ ثَقِيفٍ. فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ "مَنْ فِي قَصْرِهِ .

قَالُوا: مَا فِيهِ أَحَدٌ. قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ "حَرَقُوهُ" فَحَرَقَ مِنْ حِينِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ غَابَتِ الشَّمْسُ<sup>(٢)</sup>.

ويسمى (قصر بليّة) فلم يحرقه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا بعد أن تأكد من خلوه من البشر وحرقه عقوبة لمالك بن عوف مسوق الجيوش لمحاربة الله ورسوله ، وهو من أسباب سقوط القتلى من الطرفين ، ووقوع النساء والصبيان في السبي لولا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعتقهم .

وقال شعراً :

(مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمَعْتُ بِمِثْلِهِ ... فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ بِمِثْلِ مُحَمَّدٍ  
أَوْفَى وَأَعْطَى لِلْجَزِيلِ إِذَا اجْتَدَيْ ... وَمَتَى تَشَأْ يُخْبِرْكَ عَمَّا فِي غَدٍ  
وَإِذَا الْكُتَيْبَةُ عَرَدَتْ أَنْيَابُهَا ... بِالسَّمْهَرِيِّ وَضَرَبَ كُلَّ مُهَنْدٍ  
فَكَانَهُ لَيْثٌ عَلَى أَشْبَالِهِ ... وَسَطَ الْهَبَاءِ خَادِرٌ فِي مَرْصَدٍ  
فَاسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ  
وَتِلْكَ الْقَبَائِلُ ثِمَالَةٌ وَسَلِمَةٌ وَفَهُمْ فَكَانَ يُقَاتِلُ بِهِمْ ثَقِيفًا ، لَا يُخْرِجُ لَهُمْ سَرْحًا

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ٤٩٠/٢.

(٢) مغازي الواقدي ٩٢٥/١.

إِلَّا أَغَارَ عَلَيْهِ حَتَّى ضَيَّقَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ أَبُو مَخْجَنٍ بْنُ حَيْبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ  
عُمَيْرِ الثَّقَفِيِّ :

هَابَتِ الْأَعْدَاءُ جَانِبَنَا ... ثُمَّ تَغزُونَا بَنُو سَلَمَةَ  
وَأَتَانَا مَالِكٌ بِهِمْ ... نَاقِضًا لِلْعَهْدِ وَالْحُرْمَةِ  
وَأَتُونَا فِي مَنَازِلِنَا ... وَلَقَدْ كُنَّا أَوْلِيَّ نَقِمِهِ<sup>(١)</sup>.

ويتصف شعر مالك بن عوف مع قلته بالجزالة والقوة ، وبقي رئيساً  
عليهم ، وشهد فتح مدينة دمشق ، وأقام فيها ، وصارت له في دمشق دار  
تعرف بدار بني نصر نزلها مالك أول ما فتحت دمشق.  
وتوفي مالك بن عوف في دمشق سنة (٢٠ هجرية - ٦٤٠ م) وعمره تسع  
وثلاثون سنة .

### عيون النبي

مع ما رزق الله عز وجل النبي محمداً من الوحي فانه كان يبعث العيون  
وسرايا الإستطلاع ليعلم وأصحابه أحوال العدو ، وهل هو من عمومات  
قوله تعالى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾<sup>(٢)</sup>.

الجواب نعم ، وفيه إقامة للحجة على المشركين ، وتأكيده بأن النبي محمداً  
(ص) لم يغز أحداً .

فقبل معركة حنين وعندما علم النبي محمد أن هوازن وثقيفاً أمروا عليهم  
مالك بن عوف بعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن أبي  
حدرد الأسلمي ، فقال أذهب إلى جمع هوازن فأدخل بين الناس حتى  
تأتيني بجنر منهم ، وما يقول مالك.

فامتثل عبد الله لأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يظهر خوفاً أو  
وجللاً ، ولم يقل ابعث غيري بل خرج وطاف في عسكرهم ، إذ كان كيداً  
منسقاً لكثرة عددهم وقبائلهم.

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ٤٩٠/٢ .

(٢) سورة آل عمران ١٥٩ .

وانتهى عبد الله بن حدرد إلى مالك بن عوف وكان عنده رؤساء هوازن (فَسَمِعَهُ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يُقَاتِلْ قَطُّ قَبْلَ هَذِهِ الْمَرَّةِ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَلْقَى أَغْمَارًا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالْحَرْبِ فَيَنْصِرُ عَلَيْهِمْ).

فَإِذَا كَانَ فِي السَّحْرِ فَصَفُوا مَوَاشِيَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ مِنْ وَرَائِكُمْ ثُمَّ صَفُّوا صُفُوفَكُمْ ، ثُمَّ تَكُونُ الْحَمَلَةُ مِنْكُمْ وَأَكْسَرُوا جُفُونَ سَيُوفِكُمْ فَتَلْقَوْنَهُ بَعِشْرِينَ أَلْفَ سَيْفٍ مَكْسُورِ الْجَفْنِ وَأَحْمَلُوا حَمَلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ .  
وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْغَلْبَةَ لِمَنْ حَمَلَ أَوْلًا<sup>(١)</sup>.

### سرية مؤتة

لقد تفضل الله عز وجل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين والصحابة وأجيال المسلمين المتعاقبة بفتح مكة سلماً في شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة ، ومن غير قتال يعتد به ، وليس من صلح أو طرف آخر للصلح وشروطه .

وفي شهر جمادى الأولى من ذات السنة بعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى مؤتة ، ومؤتة من بلاد الشام تقع في الأردن الآن ، ومنها عمان التي سميت باسم عمان بن لوط ، وورد ذكر عمان باللقاء في الحديث النبوي .

إذ ورد بالإسناد عن الصحابي ثوبان خادم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرفعه (عن أبي سلام الأسود قال لما بلغ عمر بن عبد العزيز أنه يحدث عن ثوبان في الحوض قال فبعث إليه فحمل على البريد .

فقال عمر كالمتوجع ما أردنا المشقة عليك يا أبا سلام ولكنه بلغني عنك حديث تحدث به عن ثوبان عن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحوض فأحببت أن تشافهني فيه مشافهة.

(١) مغازي الواقدي ١/٨٩٣.

قال أبو سلام سمعت ثوبان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حوضي ما بين عدن إلى عمان البلقاء ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل .

أكاوييه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظماً بعدها أبداً وأول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين الشعث رؤسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون الممتنعات<sup>(١)</sup>.

وسبب هذه السرية تعرض شرحبيل بن عمرو الغساني لرسول النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الحارث بن عمير الأزدي الذي أرسله النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى ملك الروم.

وقام شرحبيل بقتله صبراً بعد أن أوثقه رباطاً ، وقيل قتله شرحبيل الغساني بتحريض ومكيدة ومكر من قبل هرقل ، فهرقل هو الذي أمره باستدراج الحارث إلى مؤتة ليقتله فيها ، بينما هو كان ذاهباً إلى بصرى في أطراف الشام ، وسميت هذه السرية غزوة كما في مسند أحمد ، والسسن الكبرى للبيهقي ، وفي صحيح ابن حبان و(عن ابن عمر قال أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة مؤتة زيد بن حارثة وقال إن قتل زيد جعفر وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة قال عبد الله كنت معهم تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى ووجدنا فيما نيل من جسده بضعا وسبعين ضربة ورمية)<sup>(٢)</sup>.

ولعل هذه التسمية لكثرة عدد المسلمين فيها ، مع أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لم يخرج فيها .

ومن عادة الملوك والرؤساء عدم قتل الرسل والمبعوثين ، ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رسول غيره .

(١) تاريخ دمشق ٤٥/٢١٦ .

(٢) صحيح ابن حبان ٤٥/١١ .

ولما بلغ النبي محمداً خبر قتل رسوله اشتد عليه الأمر وسير السرية ، وأمر عليهم زيد بن حارثة وقال : إن أصيب زيد فجعفر بن ابي طالب على الناس ، وإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة ، فتهيئ الثلاثة ومعهم ثلاثة آلاف من الصحابة للخروج ، وهي أكثر سرايا النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عدداً التي يعيها .

### شعر عبد الله بن رواحة

خرج أهل المدينة لتوديع سرية مؤتة ، فبكى عبد الله بن رواحة أثناء التوديع (فقالوا : ما يُبكيك يا بن رواحة .

فقال : أما والله ما بي حب الدنيا ولا صباة بكم ، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ آية من كتاب الله عز وجل يذكر فيها النار ﴿وإن منكم إلا وادها كان على ربك حتماً مقضياً﴾<sup>(١)</sup> أدري كيف لي بالصدر بعد الورود فقال المسلمون صحبكم الله ودفع عنكم وردكم إلينا صالحين<sup>(٢)</sup> .

فمع أنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويخرج في سبيل الله إلا أنه يفكر بأهوال يوم القيامة وشدة عذاب النار ، وكيفية النجاة منها خاصة وأن الآية أعلاه جاءت بصيغة العموم الإستغراقي للناس جميعاً ، وتحتاج النجاة منها والصدور عنها مؤونة زائدة من التقوى والصلاح للآية التي بعدها ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً﴾<sup>(٣)</sup> .

ثم أنشد عبد الله بن رواحة (

لكنني أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فزع تقذف الزبدا  
أو طعنة يدي حران مجهزة ... بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا

(١) سورة مريم ٧١ .

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية ٣٧٣/٢ .

(٣) سورة مريم ٧٢ .

حَتَّى يُقَالَ إِذَا مَرَّوَا عَلَىٰ جَدِّهِ ... أَرْشَدَهُ اللَّهُ مِنْ غَازٍ وَقَدْ رَشَدَا<sup>(١)</sup>.  
 لبيان أن بكاءه ليس خوفاً وخشية من الخروج للقاء العدو ، إنما هو  
 يشتاق إلى الشهادة في سبيل الله للنجاة من النار والفوز بدعاء المسلمين له  
 بعد مماته برحمة الله ، قال تعالى ﴿وَأَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ بَلْ  
 أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> .

ولما تهيئوا للخروج (أتى عبد الله بن راحة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فودعه ثم قال :

فَثَبَّتَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ ... تَثَبَّتَ مُوسَىٰ وَنَصْرًا كَالَّذِي نَصَرُوا  
 إِنِّي تَفَرَّسْتُ فِيكَ الْخَيْرَ نَافِلَةً ... اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي ثَابِتُ الْبَصَرِ  
 أَنْتَ الرَّسُولُ فَمَنْ يُحْرِمُ نَوَافِلَهُ ... وَالْوَجْهَ مِنْهُ . فَقَدْ أَرَزَىٰ بِهِ الْقَدْرُ  
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : أَنَشِدْنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ هَذِهِ الْآيَاتُ  
 أَنْتَ الرَّسُولُ فَمَنْ يُحْرِمُ نَوَافِلَهُ ... وَالْوَجْهَ مِنْهُ فَقَدْ أَرَزَىٰ بِهِ الْقَدْرُ  
 فَثَبَّتَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ ... فِي الْمُرْسَلِينَ وَنَصْرًا كَالَّذِي نَصَرُوا  
 إِنِّي تَفَرَّسْتُ فِيكَ الْخَيْرَ نَافِلَةً ... فِرَاسَةٌ خَالَفَتْ فِيكَ الَّذِي نَظَرُوا<sup>(٣)</sup> .

### توديع النبي (ص) سرية مؤتة

عندما انطلق موكب السرية خرج معهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى خارج المدينة مودعاً لهم ، وفيه مسائل :

الأولى : قانون توديع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للسرايا .  
الثانية : اتخاذ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم توديع السرايا مناسبة  
 لتوصيتهم .

الثالثة : قانون دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم للسرايا عند  
 خروجها من المدينة ، ليكون الدعاء النبوي صاحباً وحرزاً لهم .

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ٣٧٣/٢ .

(٢) سورة البقرة ١٥٤ .

(٣) ابن هشام / السيرة النبوية ٣٧٣/٢ .

الرابعة : تنمية ملكة الدعاء عند المسلمين .

الخامسة : قانون دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم للسرايا بالتوفيق والسلامة والنصر .

السادسة : قانون توصية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للسرايا وعموم المسلمين بتقوى الله والخشية منه ، قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾<sup>(١)</sup>.

السابعة : قانون تنزه السرايا عن الغدر والغل والخيانة .

الثامنة : قانون امتناع المسلمين عن التعرض للنساء أو الصبيان أو أصحاب الصوامع .

التاسعة : قانون سرايا الإسلام من مصاديق قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقول (يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لُؤَاءُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اسْتِهِ بِقَدْرِ غَدْرَتِهِ ، يُقَالُ : هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ)<sup>(٣)</sup>.

فلما كان الغدر غيلة وحيلة ومكراً خفياً فإن الله عز وجل يفضحه ويصير علماً منشوراً على صاحبه ، تعرف الخلائق أن هذا العلم علم غدر ، مع بيان موضوع الغدر لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : هذه غدرة فلان ابن فلان ( لكشفها وموضوعها ، وفيه ندامة وخزي .

ليبان أن النبي محمداً يهدي إلى مكارم الأخلاق ، والتنزه عن الفساد ، لأن الغدر قبيح ذاتاً ، وفيه أضرار على المجتمعات والدول ، لبيان قانون توديع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للسرايا تأديب وموعظة

(١) سورة الطلاق ٢-٣ .

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٣) تفسير ابن كثير ١٦٦/٥ .

وإصلاح ، وقال عبد الله بن رواحة في مدح النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتوثيق ساعة توديعه لهم من بين النخيل (

خَلْفَ السَّلَامِ عَلَىٰ أَمْرِي وَدَعْتَهُ ... فِي النَّخْلِ خَيْرَ مُشِيْعٍ وَخَلِيلٍ)<sup>(١)</sup>.

ليان صدق الإيمان ، فلم يذكر عبد الله بن رواحة أهله وأولاده ، إنما كان حبه ووفائه للرسالة والتنزيل ، (ويروى أنه لما أشد النبي صلى الله عليه وآله وسلم شعره حين ودعه الذي يقول فيه :

فثبت الله ما أتاك من حسن ... تثبت موسى ونصرا كالذي نصروا.

قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : وأنت فثبتك الله .

قال : هشام بن عروة: فثبته الله حتى قتل شهيدا ودخل الجنة)<sup>(٢)</sup>.

وكان توديع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لسرية مؤتة بعد صلاة الصبح من يوم الجمعة ، وخطب فيهم ومشى معهم مودعاً ، وقيل تخلف عبد الله بن رواحة حرصاً على أداء صلاة الجمعة مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ولما صلى الله عليه وآله وسلم صلاة الجمعة وأتمها جاءه عبد الله بن رواحة ليودعه وداعاً خاصاً فقال له : ما ذهبت مع أصحابك.

قال وددت أن تكون آخر رؤيتي لك وأنت على المنبر ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقد فاتتك غدوة في سبيل الله ، لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها<sup>(٣)</sup>.

والمراد من الغدوة أول النهار والصبح الباكر ، أما الروحة فهي آخر النهار ، وكان عبد الله بن رواحة يعلم بأن هذه السرية يكتب الله عز وجل له فيها الشهادة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم (في سبيل الله).

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ٣٧٣/٢.

(٢) ابن كثير / السيرة النبوية ٤٨٦/٣.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ٤١٢/٧.

وهو أعم من الجهاد والسرايا ومنه أداء الحج ، والمشي إلى المسجد لإقامة الصلاة ، والسعي في سبل الخير والصلاح ، وكذا الأجر لإنتظار الصلاة والصبر لأداء الفرائض ، إذ ورد (عن سهيل بن عمرو : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : مقام أحدكم في سبيل الله ساعة خير من عمله عمره في أهله .

ليان الثواب العظيم في صلاة الجماعة ، وعدم جواز تحريم ما أحل الله من الطيبات والبطالة .

وأخرج أحمد عن أبي أمامة قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سرية من سراياه .

فمر رجل بغار فيه شيء من ماء ، فحدث نفسه بأن يقيم في ذلك الماء فيتقوت مما كان فيه من ماء ، ويصيب مما حوله من البقل ، ويتخلى من الدنيا ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

فقال : إنني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بعثت بالحنيفية السمحة ، والذي نفس محمد بيده لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ، ولقمام أحدكم في الصف خير من صلاته ستين سنة<sup>(١)</sup> .

ليان الثواب العظيم في صلاة الجماعة ، وعدم جواز تحريم ما أحل الله من الطيبات ، والبطالة برداء الزهد .

### عدد جيش الروم

لقد سارت سرية زيد بن رواحة نحو ألف كيلو متر للوصول إلى مؤتة ، وكانت تقطع كل يوم نحو أربعين كيلو متر .

وكان المسلمون على معرفة بالعدد التقريبي لجيش هرقل وأنهم مائة ألف إلى جانب متنصرة العرب .

ليصبح عدد جيش الروم مائتي ألف ، وقيل عددهم ثلاثمائة ألف مقابل ثلاثة آلاف من المسلمين نسبة واحد إلى مائة .

(١) الدر المنثور ١/٢ .

وكان جيش الروم حديث عهد بالخروج من معارك مع كسرى والفرس ، إذ لقي الروم الهزيمة في البداية ، ونزل قوله تعالى ﴿الم \* غَلَبَتِ الرُّومُ \* فِيهِ أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ \* فِيهِ بَضْعُ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ \* بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(١)</sup>.

وكان هذا أيام البعثة النبوية وقبل الهجرة (وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود قال : كان فارس ظاهرين على الروم ، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم ، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس ، لأنهم أهل كتاب وهم أقرب إلى دينهم .

فلما نزلت ﴿فِيهِ أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ \* فِيهِ بَضْعُ سِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup> قالوا : يا أبا بكر إن صاحبك يقول إن الروم تظهر على فارس في بضع سنين .

قال : صدق قالوا : هل لك إلى أن نقامرك؟ فبايعوه على أربعة قلائص إلى سبع سنين ، فمضى السبع سنين ولم يكن شيء . ففرح المشركون بذلك وشق على المسلمين . وذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وآله فقال : ما بضع سنين عندهم؟ قالوا : دون العشر .

قال : اذهب فرايدهم وازدد سنتين في الأجل . قال : فما مضت الستتان حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس ، ففرح المؤمنون بذلك ، وأنزل الله ﴿الم \* غَلَبَتِ الرُّومُ﴾<sup>(٣)</sup> إلى قوله ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾<sup>(١)</sup><sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الروم ١-٥.

(٢) سورة الروم ٣-٤.

(٣) سورة الروم ١-٢.

وقيل وافق نصر الروم على الفرس يوم معركة بدر .  
لقد كان الروم أيام معركة مؤتة حديثي عهد بمعارك شرسة بينهم وبين  
الفرس ثم تم الصلح بينهم سنة ٦٢٩ م .  
وأعيد إلى هرقل الصليب الذي تم الإستيلاء عليه من بيت المقدس الذي  
أعاده إلى بيت المقدس بعدها بسنة ، مما يدل على أنهم في أتم الاستعداد  
واللياقة للقتال ، وآلات الحرب الثقيلة لا زالت في الشام .  
ومائة ألف مقاتل يحملون السلاح وكامل عدة ولامة الحرب وزادتهم  
مزاولة القتال قوة وشراسة وخبرة .  
والأصل أن يكون فرح المؤمنين بنصر الروم مادة ومناسبة لصيرورة الود  
هو صفة معاملة الروم معهم ، وتلقي رسول النبي محمد صلى الله عليه وآله  
وسلم بالحفاوة والإصغاء لما جاء به ، وكان العرف العام السائد آنذاك تعاهد  
سلامة الرسل ، وإن جاءوا بالإنذار والتخويف والوعيد ، إنما هم يحملون  
الرسالة ، ولكنهم قتلوا رسول نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم .  
ولم تكتف قريش بقتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بل كانوا  
ينقلون إلى الروم وفارس انتشار الدين الإسلامي ، وأحكام الشريعة  
الإسلامية وإتساع دائرة حكم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكأنهم  
جماعة ضغط عند البلاط وعند التجار في الشام ، وأتخذوا من تعطل قوافل  
التجارة ذريعة لتحريضهم على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .  
وكانت الجيوش الرومانية تعتمد صيغة نصب الكمائن ، وكانت قبيلة  
الغساسنة في تخوم الشام من جهة الجزيرة العربية ، وحينما رأوا جيش  
المسلمين لم يعترضوه بل تركوه يتوغل في بلاد الشام مكيدة واستدارجاً  
وكميناً منهم حتى وصل الجيش إلى مؤتة في جمادى الأولى من السنة الثامنة  
للهجرة (آب ٦٢٩م) لتشارك الغساسنة في قتال سرية مؤتة .

(١) سورة الروم ٦ .

(٢) الدر المنثور ٨/٥٣ .

وبلغ أفراد السرية نبأ نزول هرقل مع مائة ألف من الروم في أرض البلقاء ، وأنضمت له قبائل عربية (من لخم وجذام وأقين وبهراء وبلي مئة ألف منهم عليهم رجل من بلي ثم أحد إراشة يقال له مالك بن زافلة . فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون في أمرهم وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنخبره بعدد عدونا ، فإما أن يمدنا بالرجال وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له) (١) .

ولكن عبد الله بن رواحة قام بحض أصحابه على الصبر والدفاع إن لاقاهم العدو ، وصار يبعث في نفوسهم العزيمة بأن قتالهم ليس بقلة أو كثرة العدو وعدته .

وتذكيرهم بأنهم لم ينتصروا في معارك الإسلام بدر ، وأحد ، والخندق ، وحين بالعدد والسلاح إنما بالإيمان وطلب مرضاة الله عز وجل فقال لهم (فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنين إما ظهور وإما شهادة) (٢) .

### التباين العددي الكبير

وبينما كان المسلمون يسيرون في تخوم البلقاء التقوا بجيوش هرقل ومن معه من قبائل العرب عند قرية تسمى مشارف (ومشارف الشام قرى من أرض العرب تدنو من الريف) (٣) ومن مشارف الشام غزة .

فانحاز المسلمون إلى قرية تسمى مؤتة التقى الجيشان عندها ، فمن فضل الله عز وجل وقوع القتال في واد بين مرتفعين مما منع هرقل من الإنتفاع من كثرة عدد جيوشه لضيق المكان .

لقد ورد قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ٣٧٤/٢ .

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية ٣٧٥/٢ .

(٣) العباب الزاخر ٤٤٥/١ .

أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١﴾ أي نسبة واحد إلى عشرة قبل أن ينزل التخفيف ، ولقد كان عدد المسلمين في معركة بدر بمقدار ثلث عدد جيش المشركين ، وكذا في معركة أحد ، والخندق .

أما في معركة مؤتة فالفارق خارج التصور بنسبة واحد من المسلمين إلى مائة رجل من الروم وهم أكثر بخصوص العدة والسلاح والمهارة في القتال ، ولكن المسلمين كانوا متوكلين على الله عز وجل .

ولم يعهد هرقل أو كسرى أن يكون في الجزيرة جيش من أهلها يقاتله ، إنما كانوا يستضعفون العرب ويجعلونهم يدينون لهم بالولاء ، ويدفعون لهم الجزية ، ويحرسون أطراف بلادهم .

لذا خرجت عدة قبائل عربية مع هرقل لقتال جيش المسلمين في مؤتة .

### آيات البسالة والشهادة

ومن الآيات في معركة مؤتة أن القواد الثلاثة الذين اختارهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم قتلوا جميعاً ، وكان قتل كل واحد منهم في معركة مؤتة في جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة الموافق شهر التاسع من السنة (٦٢٩م) في قرية مؤتة التي هي من الأردن الآن نبراساً في كيفية وسبل الشهادة في سبيل الله .

واختار الصحابة حينئذ خالد بن الوليد لبيان تنمية ملكة الإختيار السليم

بين المسلمين وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (٢) .

قال ابن إسحاق (فَتَعَبَّأَ لَهُمُ الْمُسْلِمُونَ فَجَعَلُوا عَلَىٰ مِيْمَتِهِمْ رَجُلًا مِنْ بَنِي عُدْرَةَ يُقَالُ لَهُ قُطْبَةُ بْنُ قَتَادَةَ وَعَلَىٰ مَيْسَرَتِهِمْ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ عَبَايَةُ بْنُ مَالِكٍ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ عِبَادَةُ بْنُ مَالِكٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : تَمَّ التَّقَى النَّاسُ وَأَقْتَتَلُوا ، فَقَاتَلَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بِرَايَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى شَاطَ فِي رِمَاحِ الْقَوْمِ) (١) .

(١) سورة الأنفال ٦٥ .

(٢) سورة .

وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يحب زيد بن حارثة حباً جماً فهو ربيبه ، وخادمه وصاحبه الذي آمن به من أول أيام الدعوة إلى الله .

وقد أكرمه الله عز وجل إذ ذكره في القرآن قال تعالى ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (٢) .

في زواج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من زينب بنت جحش بعد أن طلقها زيد بن حارثة وهي ابنة عمه النبي محمد . فكانت بعد (تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم تقول : أما أنتن زوجكن أبأؤكن ، وأما أنا فزوجني ذو العرش) (٣) . وكان زيد رجلاً قصيراً أصغر من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعشر سنين .

وكان زيد يسمى زيد بن محمد لأنه مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن نزل قوله تعالى ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (٤) . وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يحبه حباً جماً وأرسله على رأس عدد من السرايا (٥) .

واستخلفه مرتين على المدينة في كتيبة بواط وكتيبة بني المصطلق . وقد زوجه النبي محمد أم أيمن وأسمها بركة مولاة وحاضنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فولدت له أسامة بن زيد ، ثم تزوج زينب بنت

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ٣٧٧/٢ .

(٢) سورة الأحزاب ٣٧ .

(٣) الدر المشور ١٦٧/٨ .

(٤) سورة الأحزاب ٥ .

(٥) أنظر الجزء السادس والستين بعد المائة من هذا السفر (جدول كتائب وسرايا أيام النبوة وعدد القتلى فيها) ص ٢٥٤ .

جحش ، ثم تزوج زيد أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط التي دخلت المدينة مهاجرة بمفردها في صفحة جهادية مشرقة وهي أخت عثمان بن عفان لأمه ، وأصغر منه ، وطلقها بعد أن ولدت له زيدا ورقية ، ومات زيد صغيراً .  
وتزوج درة بنت أبي لهب بن عبد المطلب ، ثم طلقها ، وتزوج هند بنت العوام أخت الزبير .

ليان أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أكرم زيدا وزوجه ذوات نسب كريم ، وقريبات من النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبيان الكفاءة بالإسلام .

وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أربعة أحاديث .  
ولما سمع شريحيل بن عمرو بمسير جيش المسلمين جمع أكثر من مائة ألف ، وقدم الطلائع أمامه ، وهو نفسه الذي قتل الحارث بن عمير رسول نبي الله .

والأرجح أن زيدا استشهد وعمره خمسون سنة .  
وبالإسناد عن التابعي (خالد بن سمير<sup>(١)</sup>) قال: لما أصيب زيد بن حارثة أتاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم (أي أتى عياله) قال : فجهشت بنت زيد في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتحب فقال له سعد بن عبادة: يا رسول الله ما هذا؟ قال: هذا شوق الحبيب إلى حبيبه<sup>(٢)</sup> .

واستغفر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لزيد ثلاثاً : اللهم اغفر لزيد ، اللهم اغفر لزيد ، اللهم اغفر لزيد .  
(وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ فِي يَوْمِ مَوْتَةِ يَبْنِي زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ وَعَبَدَ اللَّهُ بِنَ رَوَاحَةَ :

عَيْنِ جُودِي بِدَمْعِكَ الْمَنْزُورِ ... وَأَذْكَرِي فِي الرَّخَاءِ أَهْلَ الْقُبُورِ

(١) في كتب أخرى خالد بن سمير .

(٢) ابن سعد / الطبقات الكبرى ٤٧/٣ .

وَأَذْكُرِي مُؤْتَةً وَمَا كَانَ فِيهَا ... يَوْمَ رَاحُوا فِي وَقْعَةِ التَّغْوِيرِ  
 حِينَ رَاحُوا وَغَادَرُوا ثُمَّ زَيْدًا ... نَعْمَ مَأْوَى الضَّرِيكَ وَالْمَأْسُورِ  
 حَبِّ خَيْرِ الْأَنَامِ طَرًّا جَمِيعًا ... سَيِّدِ النَّاسِ حَبِّهِ فِي الصَّدُورِ  
 ذَاكُمْ أَحْمَدُ الَّذِي لَا سِوَاهُ ... ذَاكَ حَزْنِي لَهُ مَعًا وَسُرُورِي  
 إِنْ زَيْدًا قَدْ كَانَ مِنَّا بِأَمْرٍ ... لَيْسَ أَمْرَ الْمَكْذَبِ الْمَغْرُورِ  
 ثُمَّ جُودِي لِلخَزْرَجِيِّ بِدَمْعٍ ... سَيِّدًا كَانَ ثُمَّ غَيْرِ نَزُورِ  
 قَدْ أَتَانَا مِنْ قَتْلِهِمْ مَا كَفَانَا ... فَبِحَزْنٍ نَبِيتُ غَيْرِ سُرُورِ  
 وَقَالَ شَاعِرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ مُؤْتَةَ :  
 كَفَى حَزْنًا أَنِّي رَجَعْتُ وَجَعْفَرٌ ... وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ فِي رَمْسِ أَقْبَرِ  
 قَضُوا نَحْبَهُمْ لَمَّا مَضُوا لِسَبِيلِهِمْ ... وَخَلَفْتُ لِلْبَلْوَى مَعَ الْمُتَغَبِّرِ  
 ثَلَاثَةٌ رَهْطٌ قَدَّمُوا فَتَقَدَّمُوا ... إِلَى وَرْدِ مَكْرُوهِ مِنَ الْمَوْتِ أَحْمَرِ<sup>(١)</sup>.

### جعفر بن أبي طالب

بعد شهادة زيد بن حارثة قام جعفر بن أبي طالب وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحببه بأخذ الآية بناء على وصية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقاتل بها ، واقتحم جيش هرقل بفرس له شقراء ، فعقرها ، ومعنى عقر الفرس أي ضرب قوائمها بالسيف ، وقطع أرجلها لأمرين :

الأول : عدم الفرار من الميدان .

الثاني : منع العدو من الإنتفاع من الفرس في القتال .

فكان جعفر بن أبي طالب أول من عقر في الإسلام ، وصار جعفر يقاتل وهو راجل ويده الراية ، فقطع العدو يمينه اثناء القتال لتسقط الراية ، ولكنه أخذها بيده اليسرى ، وواصل القتال فقطعوا يساره ، فاحتضن الراية إلى أن قتل في الميدان ، وهو بريعان الشباب وله (ثلاث وثلاثون سنة)<sup>(٢)</sup> .

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ٢/ ٣٨٧ .

(٢) زاد المعاد ٣/ ٣٣٦ .

(وروى البخاري والبيهقي عن عبد الله بن عمر قال (كنت فيهم في تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى ووجدنا في جسده بضعا وستين من طعنة ورمية .

وفي رواية عنه قال (وقفت على جعفر بن أبي طالب يومئذ وهو قتيل فعددت به خمسين من طعنة وضربة ليس منها شئ في دبره)<sup>(١)</sup>. وكان جعفر قد هاجر إلى الحبشة هو وزوجه أسماء بنت عميس ، وعاد في السنة السادسة للهجرة .

لقد استمر القتال بين المسلمين وجيش هرقل في معركة مؤتة الذي تفاجأ وأصيب بالذهول من حال التكافؤ في القوة والقتال ، مع التباين الكبير في العدة والعدد ، وكان المتسالم أن العرب متفرقين وتابعين للروم خاصة في الشام وتخومه .

والمتبادر عن جيش قوامه ثلاثمائة ألف أن قتال ثلاثة آلاف نزهة حربية ، وجولة سرعان ما تنتهي ، فخاب ظنهم ، وصار عدد منهم يسقطون قتلى وجرحى .

وعندما قُتل جعفر بن أبي طالب أخذ الراية عبد الله بن رواحة حسب وصية وأمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان النبي يعلم بما سيؤول إليه القتال ، فذكر ثلاثة أمراء للجيش بالتوالي والتعاقب ، ويستعد الصحابة لذات يوم المعركة والفوز باحدى الحسينيين .

وهل كان اختيار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لقادة سرية مؤتة بالوحي ، الجواب نعم ، وكذا في ترتيب وتوالي القيادة ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ١٤٩/٦.

(٢) سورة النجم ٣-٤.

وهل معركة مؤتة من مصاديق قانون (لم يغز النبي محمد (ص) أحدا) الجواب نعم ، فلم تطلب سرية مؤتة القتال ، وسعى قادتها لإجتناّب القتال ، وتنحوا عن الجادة العامة .

### عبد الله بن رواحة

لقد أخذ عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي الذي شهد بيعة العقبة ، وكان أحد النقباء ليلتئذ لبني الحارث وحضر معركة بدر وأحداً ، والخندق ، والحديبية ، وخيبر ، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يبعثه على قرصها ، وكان شاعراً يكثر في شعره من الثناء على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبيان معجزاته .

(وأبو الدرداء قال إن كنا لنكون مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في السفر في اليوم الحار الذي يضع أحدنا يده على رأسه من شدة الحر وما في القوم أحد صائم إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعبد الله بن رواحة)<sup>(١)</sup>.

ولم يرد هذا الحديث عن أبي الدرداء إلا أم الدرداء ، ووردت بعض الأخبار بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يفطر في السفر حتى في شهر رمضان (لما روى جعفر بن محمد عن أبيه (عليهما السلام) عن جابر قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى إذا بلغ كراع الغميم فصام الناس ،

فبلغه إن الناس قد شق عليهم الصيام فدعا بماء وشرب بعد العصر والناس ينظرون فأفطر بعض الناس وصام بعضهم فبلغه إن الناس صاموا فقال : أولئك العصاة.

عاصم الأحول عن (بريد) العجلي عن أنس بن مالك قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمنا الصائم ومنا المفطر فنزلنا في يوم

(١) تاريخ دمشق ٨٩/٢٨ .

حار واتخذنا ظللاً فسقط الصوام وقام المفطرون فسقوا الركاب فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ذهب المفطرون اليوم بالأجر<sup>(١)</sup>.  
وعن ( عبد الرحمن بن أبي ليلى، أن عبد الله بن رواحة أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يخطب فسمعه يقول : اجلسوا.  
فجلس مكانه خارجاً من المسجد حتى فرغ الناس من خطبته، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : زادك الله حرصاً على طواعية الله وطواعية رسوله .

وقال البخاري في صحيحه: وقال معاذ: اجلس بنا نؤمن ساعة.  
وقد ورد الحديث المرفوع في ذلك عن عبد الله بن رواحة بنحو ذلك، فقال الامام أحمد: حدثنا عبد الصمد، عن عمارة، عن زياد النحوي، عن أنس قال: كان عبد الله ابن رواحة إذا لقي الرجل من أصحابه يقول: تعالی نؤمن برينا ساعة.

فقال ذات يوم لرجل، فغضب الرجل فجاء فقال: يا رسول الله ألا ترى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة .  
فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : رحم الله ابن رواحة، إنه يجب المجالس التي تتباهى بها الملائكة .  
وهذا حديث غريب جداً.

وقال البيهقي : حدثنا الحاكم، حدثنا أبو بكر، حدثنا محمد بن أيوب، حدثنا أحمد ابن يونس، حدثنا شيخ من أهل المدينة، عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، أن عبد الله بن رواحة قال لصاحب له: تعال حتى نؤمن ساعة، قال: أو لسنا بمؤمنين ؟ قال: بلى ولكننا نذكر الله فنزداد إيماناً.  
وقد روى الحافظ أبو القاسم اللكي من حديث أبي اليمان، عن صفوان بن سليم، عن شريح بن عبيد، أن عبد الله بن رواحة كان يأخذ بيد الرجل من أصحابه فيقول: قم بنا نؤمن ساعة فنجلس في مجلس ذكر<sup>(١)</sup>.

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٣٤١/١.

وأغمي عليه يوماً (فجعلت أخته عمرة تبكي: واجبلاه، واكذا، واكذا تعدد عليه.

فقال حين أفاق: ما قلت شيئاً إلا قيل لي: أنت كذلك أن الباكية أخته عمرة وليست أمه)<sup>(١)</sup> وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالشهادة .

وكان عبد الله بن رواحة شاعراً ، وهو وحسان ثابت وكعب بن مالك شعراء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولما نزل قوله تعالى ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ، قال عبد الله بن رواحة أنا منهم ، فانزل الله ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾<sup>(٤)</sup>.

وأخذ عبد الله بن رواحة وهو على فرسه يوم مؤتة الراية ليقا تل دونها وحولها المسلمون ، فجاءه ابن عم له من الخزرج بعرق من لحم وقال له : شد بها صلبك إذ رأى ما عليه من الإجهاد الشديد فأخذها وأكل منها لقمة . وسمع شدة القتال في ناحية ، فقال مخاطباً نفسه على نحو اللوم وشحد الهمة (وأنت في الدنيا)<sup>(٥)</sup>.

وتردد عبد الله بن رواحة بعض التردد وأبى أن يبقى في مكانه مع الحرص على الراية ، إنما توجه إلى الموضع الذي اشتد فيه القتال وهو يقول (أقسمت يا نفس لتنزلنه طائعة أو لتكرهنه ان أجلب الناس وشدوا الرنة . ما لي أراك تكرهين الجنة قد طال ما قد كنت مطمئنة هل أنت الان نطفة في شنة .

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٤٨٧/٣ .

(٢) سيرة أعلام النبلاء ٢٢٢/١ .

(٣) سورة الشعراء ٢٢٤ .

(٤) سورة الشعراء ٢٢٧ .

(٥) زاد المعاد ٣٣٦/٢ .

وقال أيضا : يا نفس الا تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت وما تمنيت فقد أعطيت ان تفعلني فعلهما هديت<sup>(١)</sup>.

### الإنسحاب من مؤتة

لما قتل عبد الله بن رواحة وقع اللواء من يده واختلط المسلمون والمشركون وانهزمت طائفة من المسلمين .

وبعد مقتل عبد الله بن رواحة لم يكن عند المسلمين في الميدان أمير ، فصار الأمر إلى اختيارهم ، وقد تراجعوا بعد سقوط اللواء عند مقتل عبد الله بن رواحة ، ولكن رجلاً من الأنصار اسمه ثابت بن أرقم أخذ اللواء ورفع ، وجعل يندب الأنصار خاصة والمسلمين عامة بقوله (إلي أيها الناس)<sup>(٢)</sup> فصاروا يثوبون إليه بسبب ندائه ولأنهم رأوا اللواء يرفع من جديد مع اختلاط المسلمين بالروم ، وكثرة أعداد جيوش هرقل .

(فنظر ثابت إلى خالد بن الوليد فقال: خذ اللواء يا أبا سليمان! فقال: لا أخذه، أنت أحق به. أنت رجل لك سنٌّ، وقد شهدت بدرًا. قال ثابت: خذه أيها الرجل فوالله ما أخذته إلا لك .

فأخذه خالد فحمله ساعة، وجعل المشركون يحملون عليه. فثبت حتى تكرر المشركون. وحمل بأصحابه ففض جمعاً من جمعهم، ثم دهمه منهم بشرٌ كثيرٌ. فانحاش المسلمون فانكشفوا راجعين.

ويدل الترغيب بحمل اللواء بينهما على أن حال المسلمين ساعته في عز وثبات ودفاع ، فمع سقوط القادة الثلاثة وقلة العدد فلا زالوا في الميدان بتماسك وصبر وبسالة .

حدثني ابن أبي سبرة عن إسحاق بن عبد الله. عن ابن كعب بن مالك. قال: حدثني نفرٌ من قومي حضروا يوماً قالوا: لما أخذ اللواء انكشف بالناس فكانت الهزيمة. وقتل المسلمون. واتبعهم المشركون، فجعل قطبة بن

(١) سبل الهداية والرشاد في سيرة خير العباد ١٤٩/٦.

(٢) مغازي الواقدي ٣١٠/١.

عامر يصيح: يا قوم. يقتل الرجل مقبلاً أحسن أن يقتل مدبراً يصيح بأصحابه فما يثوب إليه أحد، هي الهزيمة، ويتبعون صاحب الراية منهزماً. والصحابي قطبة بن عامر وهو من بني سلمة من الخزرج وهو من الأنصار، وشهد بيعة العقبة الأولى والثانية، وشهد بدرأً وأحداً، والخندق ومن بعدها، وكان من الرماة الماهرين، وكان معه راية بني سليم يوم فتح مكة.

وعن إسماعيل بن مصعب، عن إبراهيم بن يحيى بن زيد، قال: لما أخذ اللواء ثابت بن أرقم، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، قال ثابت: اصطلحتم على خالد؟ قالوا: نعم. فأخذه خالد فانكشف بالناس<sup>(١)</sup>. والأرجح أن ثابت بن أرقم لم يسلم الراية إلى خالد من تلقاه نفسه إنما سأل المسلمين الوفاق على واحد منهم. وقد سألوه أن يكون هو حامل الراية خاصة وأنه أخذها وسط الميدان عندما سقطت من يد عبد الله بن رواحة عند قتله، وفيه تعريض لنفسه للقتل، ولكنه أبي.

وقال (يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم قالوا: أنت قال ما أنا بفاعل فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم وحاشى بهم ثم انحاز وأنحيز عنه حتى انصرف بالناس)<sup>(٢)</sup>.

### رثاء النبي (ص) لشهداء مؤتة

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه لما سقط عبد الله بن رواحة وانسحب المسلمون من الميدان، ولم تصل أخبار ووقائع معركة مؤتة، ولكن النبي محمداً أخبر عنها.

(١) مغازي الواقدي ١/٣١٠.

(٢) الروض الأنف ٤/١٢٦.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَلَمَّا أُصِيبَ الْقَوْمُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِيمَا بَلَغَنِي : أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا .

قَالَ ثُمَّ صَمِتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَغَيَّرَتْ وَجُوهُ الْأَنْصَارِ ، وَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ كَانَ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ بَعْضُ مَا يَكْرَهُونَ .

ثُمَّ قَالَ ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا ، ثُمَّ قَالَ لَقَدْ رَفَعُوا إِلَيَّ فِي الْجَنَّةِ ، فِيمَا يَرَى النَّائِمُ عَلَى سُرُرٍ مِنْ ذَهَبٍ فَرَأَيْتُ فِي سُرِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ أَزْوَارًا عَنْ سُرِيرِي صَاحِبِيهِ فَقُلْتُ : عَمَّ هَذَا ؟ فَقِيلَ لِي : مَضِيًّا وَتَرَدَّدَ عَبْدُ اللَّهِ بِبَعْضِ التَّرَدُّدِ ثُمَّ مَضَى<sup>(١)</sup> .

وقال حسان بن ثابت وكعب بن مالك وغيرهما قصائد رثاء بحق زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة ، إذ قال حسان في رثاء جعفر بن أبي طالب :

وَلَقَدْ بَكَيْتُ وَعَزَّ مَهْلِكُ جَعْفَرَ ... حَبَّ النَّبِيِّ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا  
وَلَقَدْ جَزَعْتُ وَقُلْتُ حِينَ نَعَيْتُ لِي ... مِنْ لِلْجَلَادِ لَدَى الْعُقَابِ وَظَلِّهَا  
بِالْبَيْضِ حِينَ تُسَلِّ مِنْ أَغْمَادِهَا ... ضَرْبًا وَإِنْهَالِ الرَّمَاحِ وَعَلَّهَا  
بَعْدَ ابْنِ فَاطِمَةَ الْمُبَارَكِ جَعْفَرَ ... خَيْرِ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا وَأَجَلَّهَا  
رُزْءًا وَأَكْرَمَهَا جَمِيعًا مَحْتَدًا ... وَأَعَزَّهَا مُتَّظِلًّا وَأَزَلَّهَا  
لِلْحَقِّ حِينَ يَنْوِبُ غَيْرَ تَنْحَلٍ ... كَذْبًا ، وَأَنْدَاها يَدًا وَأَقْلَهَا  
فُحْشًا وَأَكْثَرَهَا إِذَا مَا يُجْتَدَى ... فَضْلًا ، وَأَبْذَلَهَا نَدَى ، وَأَبْلَهَا  
بِالْعُرْفِ غَيْرِ مُحَمَّدٍ لَأَمْثَلُهُ ... حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا  
وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ فِي يَوْمِ مُؤْتَةِ يَبْكِي زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ

عَيْنِ جُودِي بِدَمْعِكَ الْمَنْزُورِ ... وَأَذْكَرِي فِي الرَّخَاءِ أَهْلَ الْقُبُورِ  
وَأَذْكَرِي مُؤْتَةً وَمَا كَانَ فِيهَا ... يَوْمَ رَاحُوا فِي وَقْعَةِ التَّغْوِيرِ

(١) الروض الأنف / ٤ / ١٢٦ .

حِينَ رَاحُوا وَغَادَرُوا ثُمَّ زَيْدًا ... نَعَمَ مَا وَى الضَّرِيكَ وَالْمَأْسُورِ  
 حَبِّ خَيْرِ الْأَنْامِ طَرًّا جَمِيعًا ... سَيِّدِ النَّاسِ حَبَّهُ فِي الصَّدُورِ  
 ذَاكُمْ أَحْمَدُ الَّذِي لَا سِوَاهُ ... ذَاكَ حَزْنِي لَهُ مَعًا وَسِرُّورِي  
 إِنْ زَيْدًا قَدْ كَانَ مِنَّا بِأَمْرٍ ... لَيْسَ أَمْرُ الْمَكْذَبِ الْمَغْرُورِ  
 ثُمَّ جُودِي لِلخَزْرَجِيِّ بِدَمْعٍ ... سَيِّدًا كَانَ ثُمَّ غَيْرَ نَزُورِ  
 قَدْ أَتَانَا مِنْ قَتْلِهِمْ مَا كَفَّانَا ... فَبِحُزْنٍ نَبِيْتُ غَيْرِ سُرُورِ<sup>(١)</sup>.

### تفقد النبي (ص) عوائل الشهداء

لقد تفقد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عوائل شهداء مؤتة من قبل أن تأتي أخبار المعركة ، وهو من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومعجزات الوحي .

وعن أسماء بنت عميس التي كانت زوجة لجعفر بن أبي طالب (قالت لما أصيب جعفر وأصحابه دخل علي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد دبغت أربعين منا قال ابن هشام : ويروى أربعين منيئة وعجنت عجيني ، وغسلت بني ودهنتهم ونظفتهم .

فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اثنييني بيني جعفر ؟ قالت فأتيته بهم فتشممهم وذرفت عيناه فقلت : يا رسول الله . بأبي أنت وأمي ما يبكيك ؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال نعم أصيبوا هذا اليوم . قالت فقممت أصبح واجتمعت إلي النساء وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أهله .

فقال لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاما ، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم وحدثني عبد الرحمن بن القاسم بن محمد ، عن أبيه عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت لما أتى نعي جعفر عرفنا في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحزن قالت فدخلك عليه

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ٣٨٦/٢ .

رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ النِّسَاءَ عَيْنِنَا وَفَتَنَنَا ؟ قَالَ فَارْجِعْ إِلَيْهِنَّ فَاسْكُنِيهِنَّ<sup>(١)</sup>.

و(عن ابن عباس، قال رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم : رأيت جعفر بن أبي طالب ملكا في الجنة، مضرجة قوادمه بالدماء، يطير في الجنة)<sup>(٢)</sup>.

وعن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام (إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما انتهى إليه قتل جعفر بن أبي طالب دخل على أسماء بنت عميس امرأة جعفر .

فقال: أين بني ؟ فدعت بهم وهم ثلاثة: عبد الله وعون ومحمد، فمسح رسول الله صلى الله عليه وآله رؤوسهم فقالت: إنك تمسح رؤوسهم كأنهم أيتام .

فعجب (رسول الله صلى الله عليه وآله من عقلها فقال : يا أسماء ألم تعلمي أن جعفرا رضوان الله عليه أستشهد .

فبكت ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله : لا تبكي فإن الله أخبرني أن له جناحين في الجنة من ياقوت أحمر .

فقالت: يا رسول الله لو جمعت الناس وأخبرتهم بفضل جعفر لا ينسى فضله .

فعجب رسول الله صلى الله عليه وآله من عقلها، ثم قال: ابعثوا إلى أهل جعفر طعاما ، فجرت السنة .

قال الصادق عليه السلام: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين جاءته وفاة جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة كان إذا دخل بيته كثر بكأؤه عليهما جدا، ويقول: كانا يحدثناني ويؤنساني فذهبا جميعا)<sup>(٣)</sup> وسمي يومئذ جعفر الطيار.

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ٣٨٠/٢.

(٢) سيرة أعلام النبلاء ٢١٢/١.

(٣) البحار ٥٥/٢١.

وعن التابعي (عن أبي ميسرة قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قتل زيد بن حارثة وجعفر وابن رواحة قام نبي الله فذكر شأنهم فبدأ بزيد فقال اللهم اغفر لزيد اللهم اغفر لزيد اللهم اغفر لزيد اللهم اغفر لجعفر ولعبد الله بن رواحة)<sup>(١)</sup>.

### عدد قتلى معركة مؤتة

من علامات الحقيقة التبادر ، وحينما يعلم الإنسان بأن عدد المسلمين ثلاثة آلاف في مقابل ثلاثمائة ألف من الروم وحلفائهم من العرب في ميدان معركة مؤتة ، مع التحام الجيشين يتبادر إلى ذهنه هلاك الآلاف الثلاثة ، وأنهم لم يستطيعوا إيقاع ضرر في الجيش الذي يقابلهم .

ولكن الأمر في معركة مؤتة مختلف ، فالمدد الإلهي للمسلمين حاضر ، فقد قاتل المسلمون قتالاً شديداً ، واستطاعوا الإنسحاب بانتظام ، وكان عدد قتلاهم ثمانية ، نعم أضاف لهم ابن هشام أربعة ، واستشهد يومئذ (من بني هاشم :

الأول : جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .

الثاني : زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ .

الثالث : وَمِنْ بَنِي عَدِيٍّ بَنُ كَعْبٍ : مَسْعُودُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ نَضْلَةَ .

الرابع : مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ حُسَيْلٍ : وَهَبُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ .

الخامس : قَتْلُ مِنَ الْأَنْصَارِ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ مِنْ بَنِي مَازِنِ سُرَّاقَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَطِيَّةِ بْنِ خَنْسَاءٍ .

السادس : مِنْ بَنِي النَّجَّارِ : الْحَارِثُ بْنُ النَّعْمَانِ بْنِ يَسَافِ بْنِ نَضْلَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَوْفِ بْنِ غَنَمِ بْنِ مَالِكٍ .

(١) تاريخ دمشق ١٩/٣٦٩ .

السابع والثامن : مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، وَعِبَادَةُ بْنُ قَيْسٍ<sup>(١)</sup>.

### رجوع سرية مؤتة

لم يتأخر خالد بن الوليد في مؤتة بل انسحب بالسرية قافلاً إلى المدينة ، ولما دنوا من المدينة خرج لإستقبالهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون ، وقال : خذوا الصبيان فاحملوهم ، وأعطوني ابن جعفر أي عبد الله وحمله بين يديه على دابته ، مما يدل على أن مكان الإستقبال خارج المدينة

قال ابن إسحاق (وَجَعَلَ النَّاسُ يَحْتُونُ عَلَى الْجَيْشِ التَّرَابَ وَيَقُولُونَ يَا فُرَّارُ فَرَرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .  
فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَيْسُوا بِالْفُرَّارِ وَلَكِنَّهُمْ الْكُرَّارُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قال ابن إسحاق : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ ، عَنْ بَعْضِ آلِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ : وَهُمْ أَخْوَالُهُ عَنْ أُمِّ سَلْمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا قَالَتْ أُمُّ سَلْمَةَ لَامْرَأَةٍ سَلْمَةَ بِنِ هِشَامِ بْنِ الْعَاصِ بْنِ الْمُغِيرَةَ مَا لِي لَا أَرَى سَلْمَةَ يَحْضُرُ الصَّلَاةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَمَعَ الْمُسْلِمِينَ .

قَالَتْ وَاللَّهِ مَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْرُجَ كُلَّمَا خَرَجَ صَاحِبُ النَّاسِ يَا فُرَّارُ فَرَرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى قَعَدَ فِي بَيْتِهِ فَمَا يَخْرُجُ<sup>(٢)</sup>.

### نتائج معركة مؤتة ودروسها

وفيه وجوه :

الأول : لم يبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم السرية للقتال ، إنما بسبب قتل الحارث بن عمير الأزدي رسوله إلى ملك بصرى وقد قُتل خلافاً

(١) مغازي الواقدي ٧٦٩/٢.

(٢) سورة .

للأعراف ، خاصة وأنه يحمل دعوة رسالية للإسلام من غير إكراه ولا تخويف .

الثاني : تنمية ملكة الصبر عند المسلمين ، بلقاء ثلاثة آلاف منهم في مقابل ثلاثمائة ألف ، قال تعالى ﴿كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

الثالث : الإستبسال في المعركة وطلب الشهادة .

الرابع : جواز الإنحياز بالجيش والإنسحاب من ميدان المعركة ، إذ انسحب خالد بن الوليد بانتظام وكان عدد قتلى المسلمين ثمانية .

الخامس : عدم ثبوت انتصار الروم في المعركة مع كثرة عددهم لإنحياز كل فريق عن الآخر ، وفض الإشتباك بين الطرفين .

السادس : اندهاش هرقل وجنوده من عزائم المسلمين ، وشدة بأسهم واستعدادهم للمطاوله والمصابرة في القتال ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

السابع : لقد كانت معركة مؤتة عبرة وإنذاراً للروم والفرس من الزحف في الجزيرة العربية والهجوم على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة ، إذ أدركوا قوة شوكة المسلمين ، واستعدادهم للبذل والجهاد والمصابرة مع قلة المياه والثمار في الجزيرة ، فليس فيها ما يكفي الجيوش عند زحفهم .

وهل كان هذا الأمر من غايات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في إرسال سرية مؤتة ، الجواب نعم ، وهو من أعظم المنافع المترشحة عنها .

الثامن : تجلي بركات رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بسلامة المسلمين من الهزيمة ، ومن إبادة الجيش إبادة عامة ، فمن الآيات

(١) سورة البقرة ٢٤٩.

(٢) سورة آل عمران ٢٠٠.

إمتناع جيش الروم من مطاردة المسلمين عند إنسحابهم لإدراك أنهم رجال لا يهابون الموت .

لقد أراد الله عز وجل للإسلام ثبات أحكامه وسنته في الجزيرة قبل مغادرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى .

التاسع : بيان مسائل من علم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بجوانب حالية من علم الغيب بما رزقه الله من الإخبار عن شهادة الأمراء الثلاثة زيد ، وجعفر ، وعبد الله بن رواحة في ميدان المعركة ، فلا يرتفع رأس النفاق عند عودة السرية وإثارة الفتنة عند العلم بقتلهم .

العاشر : تأديب القبائل العربية الموالية للروم ، ومنعهم من الإصغاء إلى الكفار والمنافقين في التحريض على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل المدينة وعموم المسلمين ، ودعوتهم للإسلام بشواهد جهادية ذات صبغة الإيمان .

الحادي عشر : جعل الروم في الشام في حال حذر وخشية من المسلمين والثأر لمعركة مؤتة ، والخشية من عامة العرب ورجحان إنحيازهم للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

فمن منافع سرية مؤتة دعوة العرب الذين قاتلوا إلى جانب هرقل للإسلام وهم من قبائل : لخم ، جذام ، بلقين ، بلي ، بهراء ، وعددهم مائة الف .

الثاني عشر : زجر القبائل العربية التي في جنوب بلاد الشام وفلسطين من مهاجمة قوافل المسلمين التجارة .

الثالث عشر : الدعوة العملية لهرقل والأمراء للتدبر في رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومعجزاته الجليلة الذاتية والغيرية ، ومنها قتال ثلاثة آلاف من أصحابه لثلاثمائة ألف مدججين وشاكين بالسلاح الفتاك .

الرابع عشر : حينما رأت سرية مؤتة جموع الروم والعرب انحازت إلى قرية (مؤتة) اجتناباً للقتال ، ولكن جيش هرقل هو الذي بدأ القتال ، وعلى الظاهر ليس من مفاوضات للصلح ونحوه قبل وبعد المعركة .

الخامس عشر : لقد تكسرت سيوف كثيرة بيد رؤساء سرية مؤتة مما يدل على كثرة قتلى جيش هرقل ، لذا سمى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إنسحاب السرية ودعوتهم إلى المدينة بالفتح ، وقد تفضل الله عز وجل وسمى صلح الحديبية بالفتح إذ قال تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾<sup>(١)</sup> .

وعن أنس بن مالك في سبب وأوان نزول الآية أعلاه قال (نزلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرجعه من الحديبية، وقد حيل بينهم وبين نسكهم، فنحر الهدي بالحديبية، وأصحابه مخالطو الكأبة والحزن .

فقال: لَقَدْ أَنْزَلْتُ عَلَيَّ آيَةً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا، فَقَرَأُ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ \* لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴿<sup>(٢)</sup> إلى قوله ﴿عَزِيزًا﴾<sup>(٣)</sup> .

فقال أصحابه هنيئا لك يا رسول الله قد بين الله لنا ماذا يفعل بك، فماذا يفعل بنا، فأنزل الله هذه الآية بعدها ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾<sup>(٤)</sup> (٥) .

السادس عشر : بيان تفسير واقعي بأن النسبة لا تنحصر بواحد من المسلمين إلى عشرة من الكفار بل هي من باب المثال فقد ورد قوله تعالى

(١) سورة الفتح ١ .

(٢) سورة الفتح ١-٢ .

(٣) سورة الفتح ٣ .

(٤) سورة الفتح ٥ .

(٥) تفسير الطبري ٢٢ / ٢٠٠ .

﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾<sup>(١)</sup>، إذ التقى ثلاثة آلاف من الصحابة مع ثلاثمائة آلاف من الروم وحلفائهم من القبائل العربية بنسبة واحد من المسلمين إلى مائة .

ولم ينهزم المسلمون ولم يخسروا المعركة بل أوقعوا كثيراً من القتلى في صفوف العدو بدليل تكسر سيوفهم ، وهجومهم وسط العدو ، وذكر هجوم واقتحام رؤساء السرية لجيوش العدو من باب المثال الجلي .

السابع عشر : فوز شهداء مؤتة باللبث الدائم في الجنة ، وبالذكر الحسن عند أجيال المسلمين ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم واقعة مؤتة (قال ابن إسحاق : ولما أصيب القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني : أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيداً ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيداً .

ثم صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تغيرت وجوه الأنصار ، وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون ثم قال ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً .

ثم قال لقد رفعوا إلي في الجنة ، فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة أزوراراً عن سريري صاحبه فقلت : عم هذا .

فقيل لي : مضياً وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى<sup>(٢)</sup> .

الثامن عشر : موضوعية الإيمان في المجالدة والصبر في الميدان ، فلم يقاتل المسلمون بعدد أو عدة أو قوة ، إنما قاتلوا دفاعاً عن بيضة الإسلام ، وعن التنزيل ، ولم يطلبوا القتال .

(١) سورة الأنفال ٦٥ .

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية ٣٨٠/٢ .

التاسع عشر : سرية مؤتة أول سرية خارج حدود جزيرة العرب ، لتكون واقية من بلاد الشام وفارس ، ودعوة لأهل تلك البلاد للإسلام ، لذا أوصاهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عند خروجهم من المدينة بتقوى الله عند توديعه لهم ، وأن يكون خروجهم في سبيل الله .

(كَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً يُوصِيهِمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَيَقُولُ سِيرُوا بِسْمِ اللَّهِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَقَاتِلُوا مِنْ كُفْرٍ بِاللَّهِ وَلَا تُمَثِّلُوا ، وَلَا تَغْدُرُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَكَانَ يَنْهَى عَنِ السَّفَرِ بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ) (١).

العشرون : سرية مؤتة درع للجزيرة مدة النبوة ، وأيام الردة ، إذ امتنع الروم وقبائل العرب في الشام عن غزو المدينة ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ (٢).

الواحد والعشرون : إمتناع رؤساء الروم والفرس عن الإصغاء لصيغ التحريض على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثاني والعشرون : زجر الروم والفرس وغيرهم عن مهاجمة المدينة المنورة عند مغادرة النبي محمد إلى الرفيق الأعلى خاصة أو نصرة أهل الردة ، فقد حدثت ردة واسعة يومئذ .

الثالث والعشرون : خروج سرية مؤتة بالوحي من عند الله عز وجل لعمومات قوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (٣).

الرابع والعشرون : من معجزات النبي محمد الغيرية عدم ملاحقة جيش الروم لسرية مؤتة عند إنسحابها .

الخامس والعشرون : كسر امبراطورية الروم .

(١) زاد المعاد ٩٠/٣ .

(٢) سورة الأحزاب ٢٥ .

(٣) سورة النجم ٢-٣ .

السادس والعشرون : بشارة وتنجز بلوغ الإسلام مؤتة وأرض الشام ،  
قال تعالى ﴿وَيُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَيَجْعَلَهُمْ أُمَّةً  
وَيَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

### القضاء على الواد

المؤودة هي الفتاة التي تدفن حية ، سميت به لما يطرح عليها من التراب  
فيؤودها أي يثقلها حتى تموت ، وفي التنزيل ﴿وَأَيُّودُهُ حَفِظُهُمَا﴾<sup>(٢)</sup>.  
(وقال متمم بن نويرة :

وموءودة مقبورة في مفازة ... بآمتها موسودة لم تمهد<sup>(٣)</sup>).

وعرف الواد عند بني تميم وسببه بنت لقيس بن عاصم امتنعت عن  
الرجوع لقبيلتها واختارت الذي سبها فاقسم قيس بن عاصم أنه لا تولد له  
بنت إلا قتلها ، وقيل ظهر عند بني كندة وبني ربيعة ، ونزل القرآن بجرمة  
الواد والوعيد عليه ، قال تعالى ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ \* بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾<sup>(٤)</sup>.  
وكما شاع الأمن في الجزيرة انقطع الغزو ببركة رسالة النبي محمد صلى  
الله عليه وآله وسلم .

وعن (خليفة بن حصين قال: قدم قيس بن عاصم على رسول الله صلى  
الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، إني وأدت اثنتي عشرة ابنة لي في  
الجاهلية أو: ثلاث عشرة ، قال : أعتق عددهن نسما .

(١) سورة القصص ٥.

(٢) سورة البقرة ٢٥٥.

(٣) تفسير القرطبي ٢٠٢/١٩ .

(٤) سورة التكويد ٨-٩.

قال: فأعتق عددهن نسما، فلما كان في العام المقبل جاء بمائة ناقة، فقال: يا رسول الله، هذه صدقة قومي على أثر ما صنعت بالمسلمين. قال علي بن أبي طالب: فكنا نريجها، ونسميها القيسية<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أن قال (يا نبي الله إنني ذو إبل، فقال عليه الصلاة والسلام أهد عن كل واحدة منهن هدياً)<sup>(٢)</sup> مما يدل على أن العرف العام أيام الجاهلية يستسيغ زهوق الأرواح وقطع النسل وامتهان المرأة، ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حاجة الناس إليه. وروي (أن رجلاً قال: يا رسول الله: والذي بعثك بالحق نبياً ما أجد حلاوة الإسلام منذ أسلمت قد كان لي بنت في الجاهلية، وأمرت امرأتي أن تزنيها وتطيئها، فأخرجتها إلي فلما انتهت بها إلى واد بعيد القعر ألقيتها فيه.

فقلت: يا أبت قتلتني، فكلمنا تذكرت قولها لم ينفعني شيء. فقال صلى الله عليه وآله وسلم ما كان في الجاهلية فقد هدمه الإسلام<sup>(٣)</sup>.

ليان تغشي مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٤)</sup> البيوت وإصلاح الأعراف، وثناء عادات جديدة تتقوم بطاعة الله ورسوله، وصيرورة العرف صادراً عن آيات القرآن ويتصف بالتراحم.

### العصمة من الواد

قال تعالى ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ \* بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾<sup>(٥)</sup>.  
الموؤدة المقتولة هي البنت التي تدفن وهي حية، سميت موؤدة.

(١) تفسير ابن كثير ٣٣٥/٨.

(٢) تفسير اللباب لابن عادل ١٤١/١٠.

(٣) تفسير اللباب لابن عادل ١٤١م١٠.

(٤) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٥) سورة التكوير ٨-٩.

لما يلقي عليها من التراب فيؤودها أي يثقلها حتى تموت منه ، قال تعالى ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ \* يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلْأَسَاءُ مَا يَحْكُمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.  
وسبب الوأد وجوه :

الأول : خشية السبي ، ولحوق الذل لأهل البنت ، لأن العرب كان بعضهم يغزو بعضاً .

الثاني : الفقر والفاقة .

(وقال ابن عباس : كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت حفرت حفرة وتمخضت على رأسها فإن ولدت جارية رمت بها في الحفرة ورددت التراب عليها وإن ولدت غلاما حبسته ومنه قول الراجز :  
سميتها إذ ولدت تموت ... والقبر صهر ضامن زميت .

الزميت الوقور)<sup>(٢)</sup> .

ولم يكن الوأد عادة عامة عند العرب ، فكان ذوو الشرف يتنزهون عنه ، ويمنعون منه ، وبه افتخر الفرزدق إذ قال :

(ومنا الذي منع الوائدات ... فأحيا الوئيد فلم يوأد

يعني جده صعصعة كان يشتريهن من آبائهن فجاء الاسلام وقد أحيا سبعين موءودة)<sup>(٣)</sup> .

ليان فضل الله عز وجل على المسلمين عامة والنساء خاصة برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومنع الغزو بين القبائل الذي هو السبب الأظهر في الوأد ، وتفضل الله بقانون مصاحبة البركة والرزق الكريم للإيمان .

(١) سورة النحل ٥٨-٥٩ .

(٢) تفسير القرطبي ٢٠٢/١٩ .

(٣) تفسير القرطبي ٢٠٢/١٩ .

## موت الفجأة

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ \* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمُ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

للإخبار بأن الموت أمر وجودي وهو الذي يأتي ويزور الإنسان زيارة تنقله من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة .

ولبيان النسبة بين المؤمن والكافر حال الموت ، وهي العموم والخصوص من وجه ، فمادة الإلتقاء هي مجئ الموت لكل منهما ، ولكنه يكون للمؤمن مناسبة للوصية والبر بالوالدين والأبناء ، أما الكافر فان الموت زائر مخيف يجعله يتوسل للرجوع إلى الدنيا لعمل الصالحات .

وهل يدل قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ \* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمُ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾<sup>(٣)</sup> على الحياة في عالم البرزخ ، الجواب نعم ، لأن الكافر والظالم يسأل الرجوع إلى الحياة الدنيا ، وفيه شاهد بأن هذا السؤال في القبر والدنيا لا زالت عامرة ، فبعد البعث ليس من رجوع إنما هو الحساب بلا عمل ، قال تعالى ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة البقرة ١٨٠.

(٢) سورة المؤمنون ٩٩-١٠٠.

(٣) سورة المؤمنون ٩٩-١٠٠.

(٤) سورة الزمر ٦٧.

والموت زائر يأتي مرة واحدة للإنسان فيفصل الروح عن الجسد ، وينقلهما متفرقين إلى عالم البرزخ ليجمعهما في الحساب الابتدائي من قبل الملكين منكر ونكير.

وليس من إنسان إلا وهو يهرب من الموت ويتمنى إرجاء لقائه مع إقراره بأنه أمر حتمي ، قال تعالى ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾<sup>(١)</sup>.  
فان قلت من الناس من يختار الإنتحار وقتل نفسه ، الجواب لا عبرة بالقليل النادر الذي يقدم على فعل حرام منهى عنه شرعاً وعقلاً .  
والموت على قسمين :

الأول : الموت مع مقدمات الإحتضار الذي هو آخر ساعة من ساعات الدنيا .

الثاني : موت الفجأة .

والإحتضار هو آخر ساعات الدنيا ، وتكون فيها مقدمات القدوم على الآخرة جليلة وواضحة في البدن والجوارح .  
وهو من فضل الله لما فيه من التنبيه والإنذار والدعوة إلى التوبة والإنابة ، ووداع الأحبة ، ومفارقة الدنيا بالتوبة والإستغفار ، والاستيقاظ من الغفلة والانتباه من الرقود .

وليس كل إنسان ينال نعمة وفرصة الإحتضار فقد يفاجئ الإنسان بالموت وما يسمى موت الفجأة الذي يأتي من غير سابق إنذار أو مرض أو شيخوخة .

وقد تعوذ منه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، (عن أبي أمامة قال : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتعوذ من موت الفجأة ، وكان يعجبه أن يمرض قبل أن يموت)<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) سورة ق ١٩ .

(٢) الطبراني / المعجم الكبير ٨ / ١٣٢ .

وهل يشمل موت الفجأة حوادث الطرق والطائرات والغرق والحريق ونحوه ، المختار نعم .

وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مر بمخاط مائل فأسرع ، وقال : اني أكره موت الفوات<sup>(١)</sup> ، والفوات : الفجأة .

ومن أسباب موت الفجأة الفتن وكثرة الحروب والأوبئة لذا ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من أشراط الساعة أن يفشو الفالج وموت الفجأة).

### **سرية خالد بن الوليد إلى بني حارث بن كعب بنجران**

تسمى السنة التاسعة للهجرة عام الوفود لقدم وفود العرب إلى المدينة لدخول الإسلام ، إذ قدم أكثر من سبعين وفداً بعد فتح مكة وكتيبة تبوك ، وانتشر الإسلام في الجزيرة ، ولكن بعض قبائل الجزيرة لم ترسل وفداً ، فقام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ببعث سرايا يدعوهم إلى الإسلام ، ويرغبهم بالإيمان ، وعبادة الله عز وجل وحده ، ونبذ الشرك والإستكبار ، ومفاهيم الضلالة مع هدم الأصنام التي في ناحيتهم .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شهر ربيع الآخر من السنة العاشرة قبل حجة الوداع سرية من أربعمئة رجل برئاسة خالد بن الوليد إلى بني حارث بن كعب بنجران ونواحيها ، وتقع نجران جنوب مكة في إتجاه اليمن ولا زالت تحمل ذات الاسم .

وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ، وأن لا يقاتلهم قبل دعوتهم ثلاثة أيام متتالية .

فخرج خالد بن الوليد واعتمد اسلوب التبليغ متعدد المكان بأن بعث الركبان يضربون في كل وجه يدعوون إلى الإسلام ينادون (أيها الناسُ أسلموا تسلموا)<sup>(١)</sup> .

(١) سورة الأعراف ٣٤ .

(٢) مسند أبي يعلي الموصلي ٣٥٩/١٣ .

ليان وجوه :

الأول : قانون دخول الإسلام نجاة في الدنيا والآخرة .

الثاني : قانون الإسلام صلاح وخير محض .

الثالث : تجلي مصداق لقانون (لم يغز النبي (ص) أحداً) فمع إزدياد قوة المسلمين ، وتضاؤل الكفر في الجزيرة فان النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بقي على ذات صيغ الدعوة إلى الله من حين كان في مكة بالترغيب بالإسلام ، وبيان أحكام الشريعة ، وتلاوة آيات القرآن .

لقد كان بنو حارث منتشرين حوالي نجران فقام خالد بارسال المبلغين إلى البيوتات المتفرقة ، وهذا التفرق من أسباب كثرة أفراد السرية ، كل جماعة يذهبون إلى قرية أو بيوت متفرقة .

ومن فضل الله أن انباء رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومعجزاته المتعددة بلغت الناس في الجزيرة وأطرافها ، وكذا فتوحاته وقدم الوفود على المدينة مما يسهل وظيفة المبلغين ، فاستقبل بنو حارث خالد بن الوليد وأفراد سريته بدخول الإسلام ، ولم يقع قتال ، فأقام خالد بن الوليد وأصحابه مدة يعلمونهم أحكام الإسلام .

وقام خالد بن الوليد بالكتابة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يطلعه على عمله ، ويبيّنه بإسلام القوم .

إذ كتب له (إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خالد بن الوليد ، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد يا رسول الله صلى الله عليك .

فإنك بعثني إلى بني الحارث بن كعب وأمرتني إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام وأن أدعوهم إلى الإسلام فإن أسلموا أقيمت فيهم وقبلت منهم وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه وإن لم يسلموا قاتلتهم .

وَإِنِّي قَدِمْتُ عَلَيْهِمْ فَدَعَوْتَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَبَعَثْتَ فِيهِمْ رُكْبَانًا.  
 قَالُوا: يَا بَنِي الْحَارِثِ أَسَلِمُوا تَسَلِمُوا ، فَاسَلِمُوا وَلَمْ يُقَاتِلُوا ، وَأَنَا مُقِيمٌ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ أَمْرَهُمْ بِمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ وَأَنْهَاهُمْ عَمَّا نَهَاَهُمُ اللَّهُ عَنْهُ .  
 وَأَعَلِمَهُمْ مَعَالِمَ الْإِسْلَامِ وَسُنَّةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى يَكْتُبَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ).

وقدم خالد اسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الكتاب لطريقة العرب ، لبيان الكتاب من الأدنى إلى الأعلى ، وانتظر أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في رجوعه إلى المدينة وأون هذا الرجوع .  
 فأجابه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدِ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ . سَلَامٌ عَلَيْكَ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ .

أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ كِتَابَكَ جَاءَنِي مَعَ رَسُولِكَ تُخْبِرُ أَنَّ بَنِي الْحَارِثِ بَنِي كَعْبٍ قَدْ أَسَلِمُوا قَبْلَ أَنْ تُقَاتِلَهُمْ وَأَجَابُوا إِلَى مَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِسْلَامِ وَشَهِدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ .  
 وَأَنَّ قَدْ هَدَاهُمُ اللَّهُ بِهَدَاهُ فَبَشَّرَهُمْ وَأَنْذَرَهُمْ وَأَقْبَلَ وَلِيَقْبَلَ مَعَكَ وَفَدَّهُمْ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ<sup>(١)</sup> .

ويلاحظ أن ابن هشام لم يذكر في سيرته البسمة في كتاب خالد بن الوليد ، وكذا في الروض الأنف ، بينما ذكرها ابن كثير<sup>(٢)</sup> والكلاعي الأندلسي<sup>(٣)</sup> ، والظاهر أنها سقطت سهواً من الراوي أو للتسالم على ذكرها.

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ٥٩٣/٢ .

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية ٥٣٩/٣ .

(٣) الإكتفاء بما تضمنه من مغازي الواقدي ٢٩٥/٢ .

## وفد بني الحارث

لقد بعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم جواباً على كتاب خالد بن الوليد يأمره فيه بالهجرة إلى المدينة من نجران مع إحصار وفد من أهلها معه.

ترى لماذا هذا الحضور ، فيه وجوه :

الأول : إنه شاهد صدق على إيمان أهل نجران .

الثاني : التقاء الوفد بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثالث : سماع النبي محمد من بني الحارث أسئلتهم وهمومهم .

الرابع : رؤية بني الحارث صبغة الإيمان في المدينة .

الخامس : إتقان بني الحارث الصلاة ، فحالما دخلوا المدينة صاروا

يصلون بامامة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خمس مرات في اليوم ، ويسمعون تلاوته للقرآن .

السادس : صيرورة وفد بني الحارث من صحابة رسول الله .

السابع : نقل وفد بني الحارث إلى قومهم معجزات النبي محمد صلى الله

عليه وآله وسلم .

الثامن : تفقه بني الحارث في الدين .

التاسع : تأديب بني الحارث بأحكام الأخوة الإيمانية ، قال تعالى

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾<sup>(١)</sup>.

العاشر : إحكام بني الحارث أحكام الشريعة على نحو تفصيلي .

الحادي عشر : رؤية بني الحارث كيفية مجئ الوحي للنبي محمد صلى الله

عليه وآله وسلم وكيف أنه يتصبب عرقاً في اليوم شديد البرودة ، وإخبارهم

قومهم بآيات ودلائل الوحي والتنزيل .

الثاني عشر : معرفة بني الحارث لما نزل حديثاً من آيات وسور القرآن ،

وتأويلها .

(١) سورة الحجرات ١٠.

الثالث عشر: الإنذار العملي لبني الحارث من المنافقين والإصغاء إليهم.  
الرابع عشر: يرى المهاجرون والأنصار وفود العرب ، ويتصلون بهم ،  
ويخبرونهم عن معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قبل الهجرة  
وبعدها ووقائع الإسلام ، وصبغة السلم التي تتصف بها رسالة النبي وهو  
من مصاديق الفقاهاة والإنذار في قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً  
فَلَوْ أَفْرَمْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَّقُوا اللَّهَ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ  
يَحْذَرُونَ ﴾ (١).

الخامس عشر: سماع بني الحارث النبي محمداً وهو يخطب على المنبر ،  
ويبين أحكام الشريعة ، وموارد الحلال والحرام .  
السادس عشر: إقامة الحججة على القبائل التي حاربت النبي محمداً  
بالسيف ، فبنو الحارث لم يجاربه بل قدموا مسلمين .  
السابع عشر: بيان قانون الأمن والسلامة لمن يدخل الإسلام من غير  
قتال وحقق دماء وحفظ عياله وماله .

الثامن عشر: رؤية إشراقة نور وصفاء وجه النبي محمد صلى الله عليه  
وآله وسلم وطلعت البهية ، وعن البراء قال (كان رسول الله صلى الله عليه  
وآله وسلم أحسن الناس وجهاً ، وأحسن الناس خلقاً ، ليس بالطويل البائن  
، ولا بالقصير) (٢).

وفي حديث كعب بن مالك في توبته عن تخلفه عن الخروج في كتيبة تبوك  
، ثم قبول الله عز وجل لتوبته إذ بعث عليه رسول الله يشره ، قال كعب  
(فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال وهو يبرق  
وجهه من السرور : أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك .

(١) سورة التوبة ١٢٢.

(٢) تفسير ابن كثير ١٨٩/٨ .

قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : لا بل من عند الله .

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر<sup>(١)</sup>.

التاسع عشر : فوز وفد بني حارث بمرتبة الصحابة على القول المشهور أن الصحابي هو المسلم الذي رأى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .  
العشرون : إرادة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم جعل أمير على بني الحارث من بينهم ممن يصبح متقناً للصلاة وأمور الشريعة .

الواحد والعشرون : بيان فضل الله عز وجل فبعد قدوم وفد نصارى نجران في السنة الثامنة ورضاهم بالجزية ونزول قوله تعالى ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاكُمْ وَسَاءَنَا وَسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْهَلْ فَنَجْعَلْ لَنْتَ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup> ، جاء بعد سنتين وفد بني الحارث وهم يعلنون إسلامهم .

### قدوم بني الحارث على النبي (ص)

لقد أقبل خالد بن الوليد إلى المدينة ومعه وفد بني الحارث بن كعب (منهم قيس بن الحصين ذي الغصّة ، ويزيد بن عبد المّدان ، ويزيد بن المحجل ، وعبد الله بن قراد الزيّادي وشداد بن عبد الله القناني ، وعمرو بن عبد الله الضبّابي)<sup>(٣)</sup>.

قبل أن يتوجه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى حجة الوداع بنحو شهر من الزمان .

(١) الدر المنثور ٥/١٨٣ .

(٢) سورة آل عمران ٦١ .

(٣) ابن هشام / السيرة النبوية ٢/٥٩٣ .

فلما رأهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال (مَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانَهُمْ رَجَالُ الْهِنْدِ ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَؤُلَاءِ رَجَالُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ فَلَمَّا وَقَفُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سَلَّمُوا عَلَيْهِ وَقَالُوا : نَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ)<sup>(١)</sup>.

ثم قال لهم انتم الذين (أنتم الذين إذا زجروا أَسْتَقْدِمُوا ، فَسَكْتُوا ، فَلَمْ يَرِاجِعْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، ثُمَّ أَعَادَهَا الثَّانِيَةَ فَلَمْ يَرِاجِعْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، ثُمَّ أَعَادَهَا الثَّالِثَةَ فَلَمْ يَرِاجِعْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، ثُمَّ أَعَادَهَا الرَّابِعَةَ فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَدَّانِ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَحْنُ الَّذِينَ إِذَا زُجِرُوا أَسْتَقْدِمُوا ، قَالَهَا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ)<sup>(٢)</sup>.

ليبان استجابتهم للدعوة إلى الإسلام وتركهم الوثنية من غير قتال وحرِب ، فَأَنْقَذُوا أَنْفُسَهُمْ ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ (لَوْ أَنَّ خَالِدًا لَمْ يَكْتُبْ إِلَيَّ أَنَّكُمْ أَسْلَمْتُمْ وَلَمْ تُقَاتِلُوا ، لَأَلْقَيْتُ رُءُوسَكُمْ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ)<sup>(٣)</sup>.

ومن الشواهد على عز الإسلام إرسال أربعمائة من الصحابة مع خالد في هذه السرية ليبان عز الإسلام ، وتوزعهم على بيوت بني الحارث المتفرقة.

وهل من موضوعية لهذه الكثرة في العدد والعدة والخيل في دخولهم الإسلام من غير قتال ، الجواب نعم .

خاصة وأن بني الحارث كانوا أشداء في القتال ويتصرفون في القتال لذا سألهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن سر هذا النصر .

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ٥٩٣/٢ .

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية ٥٩٣/٢ .

(٣) ابن هشام / السيرة النبوية ٥٩٣/٢ .

(فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَدَانَ : أَمَا وَاللَّهِ مَا حَمَدْنَاكَ وَلَا حَمَدْنَا خَالِدًا ، قَالَ فَمَنْ حَمَدْتُمْ ، قَالُوا : حَمَدْنَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي هَدَانَا بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : صَدَقْتُمْ .

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِمِ كُنْتُمْ تَغْلِبُونَ مَنْ قَاتَلَكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، قَالُوا : لَمْ نَكُنْ نَغْلِبُ أَحَدًا .

قَالَ بَلَى ، قَدْ كُنْتُمْ تَغْلِبُونَ مَنْ قَاتَلَكُمْ قَالُوا : كُنَّا نَغْلِبُ مَنْ قَاتَلَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كُنَّا نَجْتَمِعُ وَلَا نَفْتَرِقُ وَلَا نَبْدَأُ أَحَدًا بِظُلْمٍ قَالَ صَدَقْتُمْ<sup>(١)</sup> .

ثم أمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عليهم أحد أعضاء الوفد وهو قيس بن الحصين ، وهل هذا الأمر من الوحي ، الجواب نعم .

(فَرَجَعَ وَفَدُ بَنِي الْحَارِثِ إِلَى قَوْمِهِمْ فِي بَقِيَّةٍ مِنْ شَوَّالٍ أَوْ فِي صَدْرِ ذِي الْقَعْدَةِ فَلَمْ يَمَكُثُوا بَعْدَ أَنْ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ إِلَّا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ حَتَّى تُوْفِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ وَرَضِيَ وَأَنْعَمَ)<sup>(٢)</sup> .

ليبان الحاجة إلى إرسال السرية إلى بني الحارث وتأمين إسلامهم قبل وفاة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإرتداد كثير من القبائل العربية.

### كتاب النبي (ص) لعمر بن حزم

بعد أن غادر وفد بني الحارث إلى ديارهم في نجران ونواحيها ، بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليهم عمرو بن حزم ليفقههم في الدين ، ويعلمهم أحكام الحلال والحرام ، ويأخذ منهم صدقاتهم .

وفي حضوره بين ظهرائهم أمانة على وجود رسول من عند النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يرجعون إليه ، وزوده النبي محمد بكتاب ونوع عهد وشاهد على أنه نبي ورسول من عند الله ، وتحديد وظائفه وفق طاعة الله ورسوله .

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ٥٩٣/٢ .

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية ٥٩٣/٢ .

وعمر بن حزم بن زيد الأنصاري صحابي ، شهد الخندق مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، واستعمله النبي على نجران وهو شاب ، مات بعد الخمسين .

وقال الزهري : قرأت كتاب رسول الله الذي كتب لعمر بن حزم ، كما يرويه باسناده (عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتب إلى أهل اليمن بكتاب فيه الفرائض والسنن والديات وبعث به مع عمرو بن حزم ويقراً على أهل اليمن هذه نسخته فذكر مثله إلا أنه قال وفي العين الواحدة نصف الدية وفي اليد الواحدة نصف الدية وفي الرجل الواحدة نصف الدية .

قال أبو عبد الرحمن وهذا أشبه بالصواب والله أعلم وسليمان بن أرقم متروك الحديث .

وقد روي هذا الحديث عن الزهري عن يونس بن يزيد مرسلًا أحمد بن عمرو بن السرح قال حدثنا بن وهب قال أخبرني يونس بن يزيد عن بن شهاب قال قرأت كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي كتب لعمر بن حزم حين بعثه على نجران وكان الكتاب عند أبي بكر بن حزم . فكتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا بيان من الله ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾<sup>(١)</sup> فكتب الآيات منها حتى بلغ ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾<sup>(٢)</sup> .

ثم كتب هذا كتاب الجراح في النفس مائة من الابل نحوه . وبالإسناد (عن الزهري قال حدثني أبو بكر بن حزم بكتاب في رقعة من آدم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا بيان من الله ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾<sup>(١)</sup> .

(١) سورة المائدة ١ .

(٢) سورة المائدة ٤ .

وتلا منها آيات ثم قال في النفس مائة من الابل وفي العين خمسون ، وفي اليد خمسون وفي الرجل خمسون ، وفي المأمومة ثلث الدية ، وفي الجائفة ثلث الدية ، وفي المتقلة خمس عشرة فريضة ، وفي الاصابع عشر عشر ، وفي الأسنان خمس خمس ، وفي الموضحة خمس<sup>(١)</sup>.

### سرية عبد الله بن عوسجة

في شهر ربيع الأول من السنة التاسعة للهجرة والتي تسمى عام الوفود بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن عوسجة العرني (إلى حارثة بن عمرو بن قريظ يدعوههم إلى الإسلام فأخذوا صحيفته فغسلوها ورفقوا بها است دلوهم وأبوا أن يجيبوا .  
فقالت أم حبيب بنت عامر بن خالد بن عمرو بن قريظ . بن عبد بن أبي بكره وخاصمتهم في بيت لها :

يا ابن سعيد لا تكونن ضحكة ... وإياك واستمرز لهم بمرير

أيا ابن سعيد إنما القوم معشر ... عصوا منذ قام الدين كل أمير<sup>(٢)</sup>.

أي أنها توجه لهم الدم واللوم على ما فعلوا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقاتلهم عبد الله بن عوسجة إنما رجع إلى المدينة وأخبر رسول الله ولم يجهز النبي محمد جيشاً لقاتلهم مع أن المدينة كانت يومئذ تضج بعشرات آلاف المسلمين بدليل خروج ثلاثين ألفاً منهم مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى تبوك بعدها بأربعة أشهر .

إنما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ما لهم أذهب الله عقولهم)<sup>(٣)</sup>.

فهم أهل رعدة وعجلة وكلام مختلف .

(وقال: الواقدي : رأيت بعضهم عيباً لا يبين الكلام)<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة المائدة ١.

(٢) النسائي / السنن الكبرى ١٤٦/٤ .

(٣) مغازي الواقدي ٩٨٢/٣ .

(٤) ثقات ابن حبان ٢٤٢/٣ .

(٥) مغازي الواقدي ٩٨٣/٣ .

وقيل أن النبي محمداً بعث الكتاب بيد عبد الله بن عوسجة إلى سمعان بن عمرو والظاهر أنه رئيس بني حارثة وامتنعوا عن دخول الإسلام .  
ولما رقع سمعان أسفل دلوه بكتاب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قيل لهم بني المرقع .

ثم اسلم سمعان وقدم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معترفاً نادماً وأنشده :

(أقلني كما أمنت ورداً ولم أكن ... بأسوأ ذنباً إذ أتيتك من ورد  
يشير إلى ورد بن مرداس أحد بني سعد هذيم وكان صلى الله عليه  
وسلم كتب إليه في عسيب فعدا على العسيب فكسره ثم إنه بعد ذلك أسلم  
وغزا مع زيد بن حارثة وادي القرى فاستشهد)<sup>(١)</sup>.

فقبل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عذره فمن خصائص النبي  
محمد قبول عذر من يعتذر له ، وعدم مؤاخذته ، وفي التنزيل ﴿ وَمَنْهُمْ الَّذِينَ  
يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ قُلُّ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup>.

والآية أعلاه (نزلت في حزام بن خالد ، والجلاس بن سويد ، وإياس بن  
قيس ، ومخشي بن خويلد ، وسماك بن يزيد ، وعبيد بن هلال ورفاعة بن  
المقداد ، وعبيدة بن مالك ، ورفاعة بن زيد .

كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويقولون ما لا ينبغي ،  
فقال بعضهم : لا تفعلوا ما يقولون فيقع بنا .

فقال الجلاس : بل تقول ما شئنا ، ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول : فإنما محمد  
أذن سامعة فأنزل الله هذه الآية)<sup>(٣)</sup>.

(١) الإصابة في معرفة الصحابة ٤٦٦/١ .

(٢) سورة التوبة ٦١ .

(٣) الثعلبي / الكشف والبيان ١٦٩/٦ .

ليبان أن من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تصديق المسلمين فيما يقولون وهو من أسباب الرحمة والتراحم ، ومنع الفتنة ، وليفضح الله عز وجل المنافقين .

### سرية طلحة بن عبيد الله

لقد أعلن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة العزم على التوجه إلى تبوك بين الجزيرة والشام ، والتي تبعد عن المدينة المنورة نحو ألف كيلو متر .

فأظهر النفاق رأسه ، وصار المنافقون يسعون في صد المسلمين ، ويشبطونهم عن الخروج ، ويظهرون رغبتهم في التخلف عنه لما في من ملاقة جيوش الروم والتي هي كثيرة العدد والعدة والتمرن من الضرر .

وقد خرجت توأ من قتال كسرى وجنوده وانتصروا عليهم ، وفي التنزيل ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾<sup>(١)</sup>.

و(عن جابر بن عبد الله قال : استدار برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجال من المنافقين حين أذن للجند بن قيس ليستأذنوه ويقولوا : يا رسول الله ائذن لنا فإننا لا نستطيع أن ننفر في الحر ، فأذن لهم واعرض عنهم ، فأنزل الله ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا...﴾<sup>(٢)</sup> الآية)<sup>(٣)</sup>.

فبلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن المنافقين يجتمعون في دار سويلم اليهودي ، وكان بيته في جاسوم ، فلم يتركهم النبي محمد وشأنهم لما في اجتماعهم من الضرر العام فبعث إليهم (طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم ففعل طلحة . فاقترح الضحاك بن خليفة من ظهر البيت فأنكسرت رجله واقترح أصحابه فأفلتوا . فقال الضحاك في ذلك

(١) سورة التوبة ٨١ .

(٢) سورة التوبة ٨١ .

(٣) الدر المشور ١٢٩/٥ .

كَادَتْ وَبَيْتَ اللَّهِ نَارُ مُحَمَّدٍ ... يَشِيْطُ بِهَا الضَّحَّاكُ وَابْنُ أَبِي رُقَيْبٍ  
 وَظَلَّتْ وَقَدْ طَبَّقَتْ كَيْسَ سُوَيْلَمٍ ... أَنْوَاءُ عَلِيٍّ رَجُلِي كَسِيرًا وَمَرْقُصِي  
 سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا أَعُودُ لِمِثْلِهَا ... أَخَافُ وَمَنْ تَشْمَلُ بِهِ النَّارُ يُحْرَقُ<sup>(١)</sup> .

لقد كانت هذه السرية زاجراً للمنافقين ، وتأديباً عاماً ، وبياناً لإطلاع  
 النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على أحوال أهل المدينة ، وتوجيه  
 الأمور بما فيه النفع العام ، وفضح المنافقين ، ودعوة المسلمين لعدم الإصغاء  
 لهم خاصة في أيام الشدة ، والتجهز للدفاع ، قال تعالى ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ -  
 وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ  
 حَكِيمٌ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وليس من قتل في هذه السرية إلا أنها غلقت باباً من الفتنة والنكوص  
 عن الخروج مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .  
 لقد وصلت الرسالة النبوية بالزجر عن تشييط المسلمين عن الخروج مع  
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى تبوك ، واجتهادهم في عرض  
 الموانع المحتملة لهذه الكتيبة .

### سرية علقمة بن مجرز

في السنة التاسعة للهجرة بلغ النبي محمداً أن ناساً من الحبشة تراءوا  
 لأهل الشعبية في الساحل بناحية مكة .  
 والشعبية ميناء تاريخي على ساحل البحر الأحمر غرب مكة .  
 وقد ركب طائفة من الصحابة منهم جعفر بن أبي طالب إلى الحبشة  
 بطلب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن ينتقل النشاط  
 البحري إلى ميناء جدة أيام عثمان بن عفان لأنه أكثر عمقاً .

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ١٢٩/٥ .

(٢) سورة الأنفال ٤٩ .

وكانت الشعبية مرفأ ونافذة تجارة مكة إلى اليمن وأفريقيا والهند ، فلا بد أن يكون عندها سكان ، فأروا في السنة التاسعة رجالاً من الحبشة في مراكب متعددة فاجسوا منهم خيفة ، وخشية .

فوصل خبرهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يبعث من يستطلع الأمر ، إنما قام يبعث سرية تتألف من ثلاثمائة من الصحابة ، وجعل عليهم علقمة بن مجزز (فَأَنْتَهَى إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ وَقَدْ خَاضَ إِلَيْهِمُ الْبَحْرُ فَهَرَبُوا مِنْهُ) (١).

وهو من أسرار مبادرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يبعث السرية ، حيث وجدوهم ففروا منهم ، لبيان أن هذه المبادرة من الوحي ، فلم تلق هذه السرية كيدا ، ولم يقع قتال .

ولكن بعثت الخوف في قلوب الإعداء ، وأمنت المدينة ومكة من جهة البحر ، ولييان أن بعد مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ساحل البحر الأحمر لا يعني أنه بعيد عن تأمينه وحراسته ومن غير أن يقوم بجعل الربايا والعيون على البحر .

ولما رجعت السرية تعجل بعض أفرادها بالرجوع إلى أهلهم خاصة أولئك الذين كانوا يمتطون الجياد وما تتصف به من السرعة بخلاف الإبل . فأذن لهم علقمة وجعل عليهم الصحابي عبد الله بن حذافة السهمي وكانت فيه دعاة .

وعن أبي سعيد الخدري الذي كان من أفراد هذه السرية قال (حَتَّى إِذَا بَلَّغْنَا رَأْسَ غَزَاتِنَا أَوْ كُنَّا بَعْضَ الطَّرِيقِ أُذِنَ لَطَائِفَةٍ مِنَ الْجَيْشِ وَأَسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ حَذَافَةَ السَّهْمِيِّ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ فِيهِ دُعَابَةٌ فَلَمَّا كَانَ بَعْضَ الطَّرِيقِ أَوْقَدَ نَارًا ، ثُمَّ قَالَ لِلْقَوْمِ أَلَيْسَ لِي عَلَيْكُمْ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ ، قَالُوا : بَلَى .

قَالَ أَمَا أَنَا أَمْرُكُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا فَعَلْتُمُوهُ ، قَالُوا : نَعَمْ قَالَ فَإِنِّي أَعَزِمُ عَلَيْكُمْ بِحَقِّي وَطَاعَتِي إِلَّا تَوَأْتَيْتُمْ فِي هَذِهِ النَّارِ .

فَقَامَ بَعْضُ الْقَوْمِ يَحْتَجِزُ حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُمْ وَاثِبُونَ فِيهَا .  
فَقَالَ لَهُمْ اجْلِسُوا ، فَإِنَّمَا كُنْتُ أَضْحَكُ مَعَكُمْ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَنْ قَدَمُوا عَلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : مَنْ أَمْرُكُمْ بِمَعْصِيَةٍ مِنْهُمْ فَلَا تُطِيعُوهُ<sup>(١)</sup> .

ليبان تشريع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قانوناً في أحكام السرايا والصلة بين الأمر والمأمور فيها ، والتي يجب أن تتقوم بطاعة الله ، فهذه الأمرة ليست مطلقة بل مقيدة .

### سرية الأمام علي لهدم (الفلس)

قد تقدم الكلام بخصوص هذه السرية في الجزء (٢٢١) و(٢٦٦) من هذا السفر .

ففي شهر ربيع الثاني من السنة التاسعة للهجرة والموافق شهر آب من السنة (٦٣٠م) بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الإمام علي بن أبي طالب في سرية تتألف من مائة وخمسين من الأنصار (فيها وجوه الأوس والخزرج)<sup>(٢)</sup> ليس فيها من غيرهم .

وكان خمسون منهم على الخيل ومائة على الإبل ، فليس فيهم راجل إذ كانوا يحتاجون الإغارة بغتة على قبيلة طي بغية هدم صنم طي ويسمى (الفلس) وقد ورد خبر هذه السرية برواية محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب .

وخرج الإمام علي عليه السلام بأصحابه ومعهم راية سوداء ولواء أبيض ، فدفع الراية إلى سهل بن حنيف ، واللواء إلى جبار بن صخر

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ٦٣٩/٢ .

(٢) تاريخ دمشق ١٩٤/٦٩ .

السلمي ، وصاحبهم دليل من بني أسد خريت أي حاذق بالدلالة ومعرفة الأماكن ومواضع القرى .

وسلك بهم هذا الدليل طريقاً سهلاً قريباً إلى جبلي أجا وسلمي ، حتى إذا وصل إلى موضع قال لهم (بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْحَيِّ الَّذِي تُرِيدُونَ يَوْمَ تَأْمُ) (١). فلم يسيروا في النهار إنما كانوا يكمنون في موضعهم ليكون مسيرهم في الليل على متون الخيل ، لتكون الإغارة في عمية الصبح والقوم نيام ، وعسكروا في الموضع وسرحوا الإبل ، وأعدوا الغذاء واسترحوا .

### المجنى بـغلام أسود

بعث الإمام علي عليه السلام نقرأ لإستطلاع ما حولهم خشية مباغته الكفار ، فبعث (أبَا قَتَادَةَ ، وَالْحَبَابَ بْنَ الْمُنْذِرِ ، وَأَبَا نَائِلَةَ فَخَرَجُوا عَلَى مَتُونِ خَيْلٍ لَهُمْ يَطُوفُونَ حَوْلَ الْمُعَسْكَرِ فَأَصَابُوا غُلَامًا أَسْوَدَ . فَقَالُوا: مَا أَنْتَ ؟ قَالَ: أَطْلُبُ بُغَيْتِي . فَأَتَوْا بِهِ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: مَا أَنْتَ ؟ قَالَ: بَاغٍ . قَالَ: فَشَدُّوا عَلَيْهِ) (٢).

لحملة على الإقرار بما جاء به إلى ذات الموضع ، فأمره مريب فهو غلام أسود ليس من طي واسمه أسلم ، ولم يكن راعياً للإبل والأنعام ، وموجود في موضع ناء وليس عنده فيه دار أو مسكن مما يحتمل معه أنه عين . فأقر بأنه غلام لرجل من قبيلة طي من بني نبهان أمروني بهذا الموضع بين المدينة وبين محل سكنهم في حائل وأخبر بأنهم قالوا له (إِنْ رَأَيْتَ خَيْلَ مُحَمَّدٍ فَطَرِإَيْنَا فَأَخْبِرْنَا . وَأَنَا لَا أُدْرِكُ أُسْرًا .

فَلَمَّا رَأَيْتُمْ أَرَدْتَ الذَّهَابَ إِلَيْهِمْ . ثُمَّ قُلْتَ لَا أُعْجَلُ حَتَّى آتِي أَصْحَابِي بِخَبَرٍ بَيْنَ مَنْ عَدَدَكُمْ وَعَدَدِ خَيْلِكُمْ وَرِكَابِكُمْ وَلَا أَخْشَى مَا أَصَابَنِي ، فَلَكَأَنِّي كُنْتُ مُقِيدًا حَتَّى أَخَذْتَنِي طَلَائِعُكُمْ) (٣).

(١) مغازي الواقدي ٣/ ٩٨٥ .

(٢) مغازي الواقدي ٣/ ٩٨٥ .

ليقر هذا الغلام بأشبهه بالقوة الغيبية التي منعتها من الإنسحاب إلى قومه وإنذارهم ، وهو من مصاديق الحديث النبوي بأن قلوب العباد بيد الله عز وجل .

إذ ورد عن (عن أسماء بنت يزيد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُكثر في دعائه : اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك .  
قالت : فقلتُ : يا رسول الله وإن القلوب لتقلب .

قال : نعم ما خلق الله من بني آدم من بشر إلا وقلبه بين اصبعين من أصابع الله عز وجل فإن شاء أزاعه ، وإن شاء أقامه على الحق ، فنسأل الله تعالى أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب .

قلت : يا رسول الله ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي .  
قال : بلى قولي : اللهم رب محمد النبي ، اغفر لي ذنبي ، واذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن ما أحيتني<sup>(٢)</sup> .

ثم أمره الإمام علي عليه السلام بالصدق وإخبارهم عما ورأى ، وكم يلزمهم للوصول إلى ديار طيئ ، ومدة استعدادهم للقتال ، مع أن السرية لم تأت لغزو أو قتال ، إنما لهدم الصنم (الفلس) الذي يُقدس في تلك البقاع .

وهل في قول الإمام علي عليه السلام لهذا الغلام (أصدقنا ما ورأك)<sup>(٣)</sup> إنذار وتهديد له إن كذب عليهم ، وقدم بياناً زائفاً للإيقاع بهم ، الجواب نعم .

قال الغلام (أوائل الحي على مسيرة ليلة طرادة تصبحهم الخيل في مغارهم خبا وعدوا)<sup>(٤)</sup> .

(١) مغازي الواقدي ٩٨٥/٣ .

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ١٥/٣ .

(٣) مغازي الواقدي ٩٨٥/٣ .

(٤) تاريخ دمشق ١٩٥/٦٩ .

## المشاورة

فاستشار الإمام علي عليه السلام أفراد السرية اقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مشاورته لأصحابه ، وعملاً بقوله تعالى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ إِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>.

ولبيان صيرورة المشورة سنة حميدة عند الصحابة وعامة المسلمين . فقال جبار بن صخر وهو أنصاري من الخزرج ، وكان قد شهد بيعة العقبة الثانية ، وشهد مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المشاهد كلها.

(رأيت أن نطلق على متون الخيل ليلتنا حتى نصبح القوم وهم غارون فنغير عليهم ونخرج بالعبد الأسود دليلاً ونخلف حرساً مع العسكر حتى يلحقونا إن شاء الله)<sup>(٢)</sup>.

فأخذ الإمام علي عليه السلام بهذا الرأي .

## كذب الغلام

تعددت الخيل ، وأردف بعضهم الغلام وهو مكتوف الأيدي عقبة أي نوبة ثم ينزل فيردفه آخر من أفراد السرية كيلا يكون الإجهاد على فرس واحدة فلما انتصف الليل واشتدت ظلمته إدعى العبد أنه أخطأ الطريق وأنه تركها وراءه .

فقال له الإمام علي عليه السلام (فارجع بنا إلى حيث أخطأت فرجع ميلاً أو أكثر ثم قال أنا على خطأ فقال علي إنا منك على خدعة ما تريد إلا أن تتيهنا عن الحي قدموه)<sup>(٣)</sup>، أي قدموه للقتل .

(١) سورة آل عمران ١٥٩.

(٢) تاريخ دمشق ١٩٥/٦٩ .

(٣) تاريخ دمشق ١٩٥/٦٩ .

وأراد الإمام علي عليه السلام إخافته ، وحمله على قول الصدق والإمتناع عن خذلانهم ، وانكشاف النهار ويزداد عدد القتلى من الطرفين ، وقد يتعذر الوصول إلى الصنم الفلّس لحرص القوم على الدفاع عنه .

وقال له الإمام علي عليه السلام : لتصدقنا أو لنضربن عنقك ، فقدم وسل السيف على رأسه بسبب خداعه للسرية وتعريضها للأخطار ، فلما رأى أنه يوشك أن يقتل .

قال : أرأيت إن صدقت أتفنعني ، أي أنه أراد أخذ عهداً بعدم قتله بسبب خداعه وكذبه المتكرر عليهم .

قال الإمام علي عليه السلام : نعم ، وكأنه أعطاه الأمان ، إذا صدق في كلامه .

قال الغلام : إني عمدت لإضلالكم في الطريق للعذر عند القوم ، فاذا توجهوا لي باللوم والذم فاقول لهم إني عرضت على السيف وسلّ السيف على رأسي بعد أن أرجعتهم مرتين في الطريق ، فيكون لي عذرٌ والأُن أحملكم على الطريق ، فسألوه إخبارهم بالتفصيل وبصدق .

قال : الحى منكم قريب .

ترى أين صار دليل السرية وهو من بني أسد ، ويتصف بأنه خريت حاذق يعلم الطرق في البادية وأماكن سكن القبائل والجماعات .

الجواب لقد أوصلهم إلى موضع قريب من ديارهم ثم أرادوا الإنتفاع من وجود غلام القوم لتعيين أماكن القوم على نحو الدقة العرفية .

## الإغارة

فسار الغلام أسلم (معهم حتى انتهى إلى أدنى الحي فسمعوا نباح الكلاب وحركة النعم في المراح والشاء فقال: هذه الأصرام وهي على فرسخ .

فينظر بعضهم إلى بعض فقالوا: فأين آل حاتم ، قال: هم متوسطو الأصرام<sup>(١)</sup>.

والأصرام : جمع صرم وهي الجماعة المنعزلة .

ليان أن قبيلة طي كانوا جماعات متفرقة متقاربة في السكن مع إنعزال كل واحدة عن الأخرى ، والظاهر أنه بحسب القربى والأرحام . لقد أطلت السرية على القوم وقت السحر ، فتمهلوا في الهجوم ، وانتظروا حتى طلوع الفجر والذي قرب أوانه لمنع كثرة القتلى وسفك الدماء ، ولتعذر فرارهم لعدم وجود خيل كثيرة عندهم إذ كانوا يمتطون الإبل . فلما اعترضوا الفجر أغاروا عليهم .

قال الراوي وهو محمد بن عمر بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (تقول جارية من الحي ترى العبد الأسود - وكان اسمه أسلم - وهو موثق ما له هبل هذا عمل رسولكم أسلم ، لا سلم وهو جلبهم عليكم ودلهم على عورتكم قال: يقول الأسود أقصري يا ابنة الأكارم ما دللتهم حتى قدمت ليضرب عنقي .

قال: فعسكر القوم وعزلوا الأسرى وهم ناحية نغير وعزلوا الذرية وأصابوا من آل حاتم أخت عدي ونسيات معها، فعزلوهن على حدة<sup>(٢)</sup> . إكراما لهن .

(١) مغازي الواقدي ٩٨٦/٣ .

(٢) مغازي الواقدي ٩٨٧/٣ .

(فَقَالَ: أَسْلَمَ لِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا تَنْتَظِرُ بِإِطْلَاقِي؟ فَقَالَ: تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ: أَنَا عَلَى دِينِ قَوْمِي هَؤُلَاءِ الْأَسْرَى، مَا صَنَعُوا صَنَعْتَ قَالَ: أَلَا تَرَاهُمْ مُوْتَقِينَ فَتَجْعَلُكَ مَعَهُمْ فِي رِبَاطِكَ .  
 قَالَ: نَعَمْ أَنَا مَعَ هَؤُلَاءِ مُوْتَقًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ مَعَ غَيْرِهِمْ مُطْلَقًا، يُصِيبُنِي مَا أَصَابَهُمْ فَضَحَكَ أَهْلُ السَّرِيَّةِ مِنْهُ فَأَوْثِقَ وَطَرِحَ مَعَ الْأَسْرَى، وَقَالَ: أَنَا مَعَهُمْ حَتَّى تَرُونَ مِنْهُمْ مَا أَنْتُمْ رَاءُونَ<sup>(١)</sup>).

وسبب ضحك أهل السرية لأنه دل عليهم ، ثم اختار الأسر معهم .  
 وعندما صار مع الأسرى كان تلقيهم له على شعبتين :

الأولى : جماعة تقول له لا مرحباً بك ، انت جئتنا بهم .

الثانية : جماعة تقول (مَرَحِبًا بِكَ وَأَهْلًا، مَا كَانَ عَلَيْكَ أَكْثَرُ مِمَّا صَنَعْتَ لَوْ أَصَابَنَا الَّذِي أَصَابَكَ لَفَعَلْنَا الَّذِي فَعَلْتَ وَأَشَدَّ مِنْهُ ثُمَّ آسَيْتَ بِنَفْسِكَ وَجَاءَ الْعَسْكَرُ وَاجْتَمَعُوا، فَقَرَّبُوا الْأَسْرَى فَعَرَضُوا عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ فَمَنْ أَسْلَمَ تَرَكَ وَمَنْ أَبِي ضَرَبَتْ عُنُقَهُ<sup>(٢)</sup>).

ويحتاج العرض على السيف في المقام فمن لم ينطق بالشهادتين يقتل ، إلى دليل ، فهو بعيد وخلاف منهج سرايا الإسلام فيمن لم يقاتلهم ، خاصة وأن السرية جاءت لهدم الفلس ، والإغارة على القوم لمنع قتالهم دونه .  
 نعم إذا ثبت أنهم قاتلوا وسقط عدد من أفراد السرية قتلى فانهم يؤخذون أسرى ليعرضوا على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .  
 ولم ترد رواية عن الإمام علي عليه السلام وأفراد السرية بعرض هؤلاء على السيف .

وعرض الإسلام على الغلام أسلم فتردد واستعد للقتل ، ولكن رجالاً من طيئ من أسلم ساعتهذ قالوا له (ويحك أسلم واتبع دين محمد قال فإني أسلم واتبع دين محمد .

(١) مغازي الواقدي ٣/ ٩٨٧ .

(٢) تاريخ دمشق ٦٩/ ١٩٧ .

فأسلم فترك وكان بعد ذلك قد بقي حتى كانت الردة فشهد مع خالد بن الوليد اليمامة فأبلى بلاء حسناً<sup>(١)</sup>.

وظاهر الخبر أنه لم يستشهد في حروب الردة .

### المسير نحو الفُلس

بعد إغارة السرية على المحلة أمنوا الطريق إلى الصنم (الفلس) وانتفاء العوائق والإقتال حوله .

فسار الإمام علي عليه السلام نحوه .

والفلس صنم من أصنام العرب قبل الإسلام ، وهو صنم جبلي طبيعي وكانه على هيئة انسان عملاق منحوت في الجبل فافتنوا به ، فقاموا بتعظيمه ويتوسلون به أيام الجاهلية للأمن وحماية طريق القوافل ويقربون له القرابين ، ويقع شرقي جبل أجا .

فقام الإمام علي عليه السلام وأصحابه بهدمه ، وتخريبه ، وتناوبوا على هدمه لارتفاعه في الجبل وجروده من ثيابه التي البسوه إياها .

ولا زالت آثاره منحوتة في الجبل إلى الآن شاهداً على التأريخ والحاجة إلى رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصبر أصحابه في طرد مفاهيم الكفر والضلالة .

ووجدوا في بيته مما أهدي له ثلاثة أسياف وهي رسوب ، والمخزم (كان الحارث بن أبي شمر قد نذرهما لذلك الصنم)<sup>(٢)</sup>.

وسيف يقال له اليماني ، وثلاثة أدرع .

واستعمل الإمام علي عليه السلام أبا قتادة على السبي ، واستعمل عبد الله بن عتيك السلمي على الماشية والرثة أي متاع البيت .

وسارت السرية عائدة إلى المدينة بعد تحقيق الغرض منها بهدم وتخريب الصنم الفُلس .

(١) تاريخ دمشق ١٩٧/٦٩ .

(٢) ابن كثير / السيرة النبوية ١٣٢/٤ .

ولما نزلوا موضع اسمه ركك من محال سلمى أحد جبلي طي اقتسموا السبي والغنائم .

وعزلت السيوف الثلاثة صفايا للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وعزل الخمس ، وعزل الإمام علي عليه السلام آل حاتم فلم يقسمهم حتى قدم بهم المدينة ، وكانت في السبي سفانة بنت حاتم الطائي ، وكان عدي بن حاتم قد هرب ليلة قدوم السرية قيل كان له عين بالمدينة فحذره فخرج إلى الشام .

ولم يثبت أن له عيناً في المدينة وأنه أخبره بخروج خيل المسلمين نحو الصنم الفُلس ، إنما رأى عدي بن حاتم بأن سرايا الإسلام تتوجه شرقاً وغرباً في الجزيرة ، فأوصى غلامه الذي يرعى إبله بأن يعد له نوقاً سمناً ، سهلة الركوب والمسير ، وأن يربطها قريية منه للحاجة الطارئة ، فعرف الغلام قصده وخشيته .

والظاهر أنه كان يسمع عدي بن حاتم نيته الهروب عند قدوم سرايا الإسلام إذ أشار عليه الغلام بالهروب لأنه رأى رايات تجوس الديار فسأل عنها فقبل له : هذا جيش محمد .

مما يدل على الأمن العام عند الناس من سرايا الإسلام يتناقل أخبارها من غير فزع أو خوف فأمر عدي باعداد الإبل وتقريبها ، ودعا أهله وأولاده للرحيل وتوجه إلى الشام ، ومن عجالته ترك أخته سفانة .

### **سفانة بنت حاتم**

كان أبوها حاتم الطائي يكنى أبا سفانة .

ولقد قدم الإمام علي عليه السلام من سرية هدم الصنم (الفلس) في شهر جمادى الأولى من السنة التاسعة للهجرة ومعه سفانة بنت حاتم الطائي الذي يضرب به المثل في الجود والكرم ، والذي مات قبل الإسلام في السنة (٤٦) قبل الهجرة في منطقة حائل في ذات الموضع الذي اغارت عليه سرية

الإمام علي عليه السلام لهدم الصنم (الفلس) ولا زال قبره<sup>(١)</sup> واطلال بيوتهم شاخصة إلى الآن .

وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السبايا في حظيرة بياب المسجد يرون النبي محمداً كل يوم وهو يؤدي وأصحابه الصلاة خمس مرات في اليوم طاعة لله عز وجل في خشوع وخضوع ، وذات الصلاة حرب

(١) ورد ذكر قبر حاتم الطائي في ألف ليلة وليلة ، فلما كانت الليلة ٢٧٠ قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن ذا الكراع لما نزل بذلك الوادي بات تلك الليلة هناك، وتقرب من ذلك الموضع فسمع الصراخ .

فقال : ما هذا العويل الذي فوق هذا الجبل .

فقالوا له: إن هذا قبر حاتم الطائي، وإن عليه حوضين من حجر وصور بنات من حجر محلولات الشعور، وكل ليلة يسمع النازلون في هذا المكان هذا العويل والصراخ . فقال ذو الكراع ملك حمير يهزأ بحاتم الطائي: يا حاتم، نحن الليلة ضيوفك، ونحن خماص. فغلب عليه النوم، ثم استيقظ وهو مرعوب، وقال: يا عرب الحقوني وأدركوا راحلتي .

فلما جاءوه وجدوا الناقة تضطرب فنحروها، وشووا لحمها وأكلوا، ثم سأله عن سبب ذلك، فقال: إني نمت فرأيت حاتم الطائي في المنام قد جاءني بسيف، وقال: جئنا ولم يكن عندنا شيء، وعقرناقتي بالسيف، ولو لم تنحروها لمت. فلما أصبح الصباح ركب ذو الكراع راحلة واحد من أصحابه، ثم أردفه خلفه، فلما كان وسط النهار رأوا راكباً على راحلة، وفي يده راحلة أخرى .

فقالوا له: من أنت؟ قال: أنا عدي بن حاتم الطائي. ثم قال: أين ذو الكراع أمير حمير؟ فقالوا له: هذا هو. فقال له: اركب هذه الناقة عوضاً عن راحلتك، فإن ناقتك قد نحرها أبي لك .

قال: ومن أخبرك؟ قال: أتاني في المنام في هذه الليلة وقال لي: يا عدي، إن ذا الكراع ملك حمير استضافني، فنحرت له ناقته فأدركه بناقة يركبها، فإني لم يكن عندي شيء. فأخذها ذو الكراع وتعجب من كرم حاتم حياً وميتاً.

ومن حكايات الكرام أيضاً ما يروى عن معن بن زائدة أنه كان يوماً من الأيام في الصيد والقتص، فعضش فلم يجد مع غلمانته ماءً، فبينما هو كذلك، وإذا بثلاث جوارح قد أقبلن عليه حاملات ثلاث قرب ماء. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

عامة على مفاهيم الشرك ، ويسمعون تلاوته للقرآن من غير أن يؤذيهما إنما يدعوهم للتوحيد ، لعبادة الله عز وجل خالق كل شئ الذي أرسله ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وإذا كانت عند السبي حاجة يسألون النبي مباشرة في ذات اليوم في طلعت البهية عليهم وبمراى ومسمع من أصحابه وفيه أمان للسبايا ، وتفقد لأحوالهم ، وقضاء لحواجهم ، ومانع من التعدي عليهم أو ظلمهم ، فهم في حظيرة من جريد النخل في باب المسجد ليس بسجن إذ يرون إقبال الصحابة على الصلاة حبا لله وطاعة لله ورسوله ، وفيه النفع في النشاطين ، قال تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الحظيرة فقامت إليه سفانة وكانت امرأة جزلة تامة الخلقة كبيرة العجيزة ، فتكلمت بفصاحة وتهذيب ، وخاطبت النبي محمداً بصفة الرسالة .  
(فقلت: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد. فقال : ومن وافدك ، قالت : عدي بن حاتم .

قال : الفار من الله ورسوله ، ومضى حتى مر ثلاثاً .  
قالت : فأشار إلي رجل من خلفه أن قومي فكلمي .  
قالت: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي من الله عليك)<sup>(٣)</sup>.

وهل من موضوعية لوجود السبايا في باب المسجد ورؤية سنخية الإيمان العامة في حسن كلامها ، الجواب نعم .  
فاجابها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم : قد فعلت ، فلا تعجلي حتى تجدي ثقة يبلغك بلادك ثم آذني .

(١) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٢) سورة النور ٥٦ .

(٣) الإصابة في معرفة الصحابة ٦/٤ .

تقول سفانة : فسألت عن الرجل الذي أشار إلي أن كلمي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، إلا تعرفينه ، قالت : لا ، قيل لها هو علي بن أبي طالب أمر السرية الذي جاء تكلم من جبل أجا وسلمى .

وبالإسناد عن أبي حمزة الثمالي عن عبد الرحمن بن جندب عن كميل بن زياد النخعي عن الإمام علي عليه السلام في حديث قال (لما أتني بسبايا طئ ووقت جارية حمراء لعساء<sup>(١)</sup> ذلفاء<sup>(٢)</sup> عيطاء<sup>(٣)</sup> شماء الأنف معتدلة القامة والهامة درماء<sup>(٤)</sup> الكعبين خذلة الساقين لفاء الفخذين خميصة الخصرين ضامرة الكشحين مصقولة المتنين.

قال فلما رأيتهما أعجبت بهما وقلت لأطلبن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلها في فئ<sup>(٥)</sup> فلما تكلمت أنسيت جمالها لما رأيت من فصاحتها. فقالت يا محمد إن رأيت أن تخلي عنا وتشمت بي أحياء العرب فإني ابنة سيد قومي وإن أبي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العاري ويقري الضيف ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط أنا ابنة حاتم طئ.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : يا جارية هذه صفة المؤمنين لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه خلوا عنها فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق والله يحب مكارم الأخلاق .

(١) لعساء : من اللعس وهو سواد يعلو شفة المرأة البيضاء وقيل هو سواد في حمرة (اللسان : لعس).

(٢) ذلفاء : من الذلف : وهو قصر الأنف وصغره (اللسان : ذلف).

(٣) عيطاء : طويلة العنق في اعتدال.

(٤) درماء الكعبين : أي المرأة التي لا تستبين كعوبها ومراققها وكل ما غطاه الشحم واللحم وخفي حجمه فقد درم (القاموس : درم).

(٥) في البيهقي : يجعلها في فيئي وهو الاظهر.

فقام أبو بردة بن نيار<sup>(١)</sup> وقال يا رسول الله والله يجب مكارم الأخلاق فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : والذي نفسي بيده لا يدخلن الجنة أحد إلا بحسن الخلق<sup>(٢)</sup>.

وأسلمت سفانة وهي بالمدينة قبل ان تغادرها إلى الشام وحسن إسلامها ، ومن حسن إسلامها مجيؤها بأخيها عدي بن حاتم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودخوله الإسلام بصدق وإخلاص وتفان . وذكر أن حديث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (ارحموا عزيزاً ذلّ ارحموا غنياً افتقر ارحموا عالماً ضاع بين جهال)<sup>(٣)</sup> قاله النبي يومئذ عندما أذن لسفانة بالرحيل من المدينة .

### مجئ عدي بن حاتم

قد تقدم الكلام عن عدي بن حاتم في الجزء (٢٣١) والجزء (٢٤٣) من هذا السفر .

لقد ورد عن عدي بن حاتم الطائي أنه كان قبل إسلامه شديد الكره للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنه جاء بكلمة التوحيد ، ولزوم اتباع أهل الجزيرة لرسالته ، بينما كان عدي بن حاتم رئيس قومه ويأخذ منهم نوع جزية وسهام من كسبهم ، وكان على دين النصرانية . وتبلغه أخبار خروج سرايا النبي صلى الله عليه وآله وسلم حول المدينة ، ودخول الناس في الإسلام ، ووقوع معارك مثل معركة بدر ، وأحد ، والحنديق ، وحنين التي كان المشركون هم الغزاة فيها . فأوجس عدي في نفسه خيفة من مجئ خيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاحترز واستعد للرحيل من حائل وجبل أجا وسلمى .

(١) في البيهقي (دينار) تحريف .

(٢) تاريخ دمشق ٣٥٨/١١ .

(٣) ابن قتيبة الدينوري / عيون الأخبار ١٨٦/١ .

قال ابن إسحاق (قال عدي بن حاتم فيما بلغنا ما رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به مني أما أنا فكنت امرءاً شريفاً وكنت نصرانياً وكنت أسير في قومي بالربيع وكنت في نفسي على دين فكنت ملكاً في قومي للذي كان يصنع أبي .

فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته فقلت لغلام لي وكان راعي الإبل لا أباً لك أعدد لي من إبلي جمالاً ذللاً<sup>(١)</sup> سماناً مساناً<sup>(٢)</sup> فاحبسها قريباً مني فإذا سمعت بجيش محمد قد وطئ هذه البلاد فأذني ففعل .

ثم إنه أتاني ذات غداة يوم فقال يا عدي ما كنت صانعاً إذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن فإني قد رأيت رايات فسألت عنها فقالوا هذه جيوش محمد .

قلت قرب لي أجمالي فقربها لي فاحتملت بأهلي وولدي ثم قلت ألقني بالشام فسلكت الجوشية<sup>(٣)</sup> وخلفت<sup>(٤)</sup> ابنة لحاتم في الحاضر<sup>(٥)</sup> .

### سؤال سفانة لرسول الله

لقد ورد عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأوتيت جوامع الكلم وجعلت لي الأرض مسجداً وظهوراً وبعثت كل نبي إلى خاص من الناس وبعثت إلى الأسود والأحمر)<sup>(٦)</sup> .

(١) ذلل جمع ذلول وهو الجمل السهل الذي قد ريض .

(٢) سقطت اللفظة من سيرة ابن هشام .

(٣) الجوشية وقال : ابن هشام : ويقال الجوشية ، والذي بالأصل : الخوسية ، والجوشية : جبل للضباب قرب خربة من أرض نجد .

(٤) بالأصل : وحلفت .

(٥) تأريخ دمشق ١٩٨/٦٩ .

(٦) المحرر الوجيز ٣٥١/٥ .

ومن مصاديق الرعب خشية عدي بن حاتم خيل المسلمين مع أنه وسط قومه وهو رئيسهم ، فحالما سمع بدنوها جمع عياله وفر في الطريق وعندما شعر بالأمان انتبه أنه ترك أخته سفانة .

وقال عدي فيما بعد يروي قصة هروبه (فلما قدمت الشام أقمت بها وتحالفني خيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتصيب ابنة حاتم فيمن أصابت .

فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبايا طيئ وقد بلغ رسول الله هربي إلى الشام.

قال فجعلت ابنة حاتم في حظيرة بباب المسجد كانت تجبس السبايا فيها فمر بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقامت إليه وكانت امرأة جزلة.

فقالت يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي من الله عليك.

قال ومن وافدك قالت عدي بن حاتم ، قال : الفار من الله ومن رسوله . قالت ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركني حتى إذا كان الغد مر بي .

فقلت له مثل ذلك فقال : مثل ما قال بالأمس حتى إذا كان بعد الغد مر بي وقد يشئت منه .

قالت فأشار إلي رجل خلفه قومي فكلميه ، قالت : فقلت يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي من الله عليك .

قال : قد فعلت لا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى<sup>(١)</sup> يبلغك إلى بلادك ثم .

أذيني قالت فسألت عن الرجل الذي أشار إلي أن كلمه فقيل علي بن أبي طالب .

(١) زيادة عن سيرة ابن هشام .

قالت وأقمت حتى قدم نفر من بلي أو من قضاة وإنما أريد أن آتي الشام .

قالت فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قد قدم رجال من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ .

قالت فكساني رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملني وأعطاني نفقة فخرجت معهم حتى قدمت الشام .

قال أبو عامر في حديثه وقد كانت أسلمت فحسن إسلامها .

### سفانة رسولة سلام

من معجزات وخصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن الذي يفر منه أو يحاربه ويعين على قتاله لا يلبث أن يأتي المدينة ليدخل الإسلام ، ويسأل النبي الصفح .

ولما وصلت سفانة إلى الشام صارت سفيرة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ورسولة سلام تدعو إلى الإيمان ونبد القتال في بيان شواهد من مصاديق نبوته ، وقامت بترغيب عدي بالوفود على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودخول الإسلام ، وبينت له أسباب الخسارة والندامة التي تلحقه عند التخلف عن الإسلام وبقائه غريباً في الشام .

(قال عدي فوالله إنني لقاعد في أهلي إذ نظرت إلى ظعينة<sup>(١)</sup> تصوب<sup>(٢)</sup> إلي تؤمنا قال فقلت ابنة حاتم فإذا هي هي .

فلما وقفت علي انسحلت<sup>(٣)</sup> القاطع الظالم ارتحلت بأهلك وولدك وتركت بقية والدك أختك وعورتك قال قلت يا خية<sup>(٤)</sup> لا تقولي إلا خيراً فوالله ما لي من عذر ولقد صنعت ما ذكرت قال ثم نزلت فأقامت عندي

(١) الظعينة : المرأة في هودجها .

(٢) تصوب إلي : أي تقصد تؤم .

(٣) بالاصل : استحلت ، وفي "ز" : اسبحلب ، والمثبت عن السيرة وقوله : انسحلت أي اخذت في اللوم بكلام فيه حدة .

(٤) كذا بالاصل و"ز" وفي السيرة : أي أخية .

قال فقلت لها وكانت امرأة حازمة ماذا ترين في أمر هذا الرجل قالت أرى والله أن نلحق<sup>(١)</sup> به سريعا فإن يكن الرجل نبيا فللسابق<sup>(٢)</sup> إليه فضله وإن يكن ملكا فلن نذل في عز اليمن وأنت أنت قال قلت والله إن هذا الرأي<sup>(٣)</sup>.

لقد أخبرته سفانة عن شواهد رأتها تدل على صدق رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقالت لأخيها عدي بن حاتم إنك لا تحسر شيئا في التصديق برسائته وستبقى في عزك وسلطانك في قبيلة طيى ، وإذا بقيت غريبا طريداً في الشام ، لا أحد يذكرك .

وذكرت له دخول طائفة من قومها الإسلام ، وهدم الصنم الفلّس ، وما في هذا الهدم من انقطاع للصلة بينهم وبين مفاهيم الشرك والضلالة ، فمن لم يدخل الإسلام اليوم يدخله غداً .

وكانت تلك السنة وهي التاسعة للهجرة سنة الوفود إذ أقدمت وفود العرب على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لتعلن دخولها الإسلام ، وإقامتها الصلاة .

فمن معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الملازمة بين النطق بالشهادتين وإقامة الصلاة اليومية ، لتكون الصلاة تنقية وتحلية ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾<sup>(٤)</sup>.

### عدي مع النبي (ص) إلى بيته

لقد تحدثت سفانة عن الخلق الحميد الذي يتصف به النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بما يبعث الرغبة في نفس عدي بن حاتم بالقدوم إلى المدينة ليرى دلائل النبوة .

(١) في السيرة : تلحق .

(٢) بالاصل : فليسابق .

(٣) تاريخ دمشق ١٩٨/٦٩ .

(٤) سورة العنكبوت ٤٥ .

ليبان أن من الإعجاز الغيري لقوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>  
أمور:

الأول : صيرورة الناس ذكوراً وإناثاً يتحدثون عن حسن سمت النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثاني : قانون حسن خلق النبي في كل الأحوال .

الثالث : حسن أخلاق النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ترغيب للناس بدخول الإسلام .

الرابع : قانون اقتباس الناس من الأخلاق الحميدة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإشاعتها في المجتمعات .

الخامس : قانون حسن خلق النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حجة على الناس .

السادس : النسبة بين السنة النبوية القولية والفعلية وبين حسن خلق النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عموم وخصوص مطلق ، فالسنة أعم .

وانتقل عدي بن حاتم من الشام إلى المدينة فدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي المسجد وسلم عليه .

فقال : من الرجل ، قال : عدي بن حاتم .

لقد رحب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعدي بن حاتم ، وكان يكرم شريف القوم ، وفيه دعوة له ولقومه للإسلام ، ومن إكرامه لعدي بن حاتم أن ذهب به إلى بيته .

قال عدي (فوالله إنه لعامد بي إليه إذ لقيته امرأة كبيرة ضعيفة فاستوقفته فوقف لها طويلاً)<sup>(٢)</sup> وهي تكلمه في حاجتها وهو يصغي إليها .

(١) سورة القلم ٤ .

(٢) تاريخ دمشق ٦٩/٢٠٠ .

ومصداق خبر عدي هذا قوله تعالى ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>.  
إذ ورد عن ابن عباس في الآية قال (أن خولة امرأة من الأنصار ظاهر منها زوجها ، فقال : أنت علي كظهر أمي فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقلت : إن زوجي كان تزوجني وأنا أحب الناس إليه حتى إذا كبرت ودخلت في السن قال : أنت علي كظهر أمي وتركني إلى غير أحد ، فإن كنت تجد لي رخصة يا رسول الله تنعشني وإياه بها فحدثني بها .  
قال : والله ما أمرت في شأنك بشيء حتى الآن ، ولكن ارجعي إلى بيتك فإن أومر بشيء لا أعميه عليك إن شاء الله .

فرجعت إلى بيتها فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم في الكتاب رخصتها ورخصة زوجها فقال ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ إلى قوله ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

فأرسل إلى زوجها ، فقال : هل تستطيع أن تعتق رقبة ، قال : إذن يذهب مالي كله ، الرقبة غالية وأنا قليل المال .  
قال : هل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ، قال : والله لولا أنني أكل كل يوم ثلاث مرات لكل بصري .  
قال : هل تستطيع أن تطعم ستين مسكيناً ، قال : لا والله إلا أن تعينني .  
قال : إنني معينك بخمسة عشر صاعاً<sup>(٣)</sup>.  
فقال عدي بن حاتم في نفسه : والله ما هذا بملك .

(١) سورة المجادلة ١ .

(٢) سورة المجادلة ١ .

(٣) الدر المنثور ٩/٤٣٠ .

### عدي في بيت النبي (ص)

من إكرام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لعدي بن حاتم اصطحابه معه إلى بيته ، وهل هذا الإصطحاب بالوحي ، الجواب نعم .  
ولا يعلم منافعه الآنية واللاحقة إلا الله عز وجل .  
لقد رأى عدي تواضع وزهد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته .

فلما دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيته تناول وسادة من آدم أي من الجلد محشوة ليفاً فقدمها إلى عدي وقال : أجلس على هذه إكراماً له .  
فاستحى عدي من النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ لم تكن في الغرفة إلا هذه الوسادة .

فقال : بل انت فاجلس ، ولم يخاطبه بالرسالة أو النبوة ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل أنت فأجلس عليها .  
قال عدي (فجلست عليها وجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالأرض ، قال قلت في نفسي ما هذا بأمر ملك)<sup>(١)</sup>.  
إذ رأى إنقياد الصحابة له في المسجد ، وشهد صلاة الجماعة وتلاوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم القرآن .

ترى لماذا لم يخف النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من غدر عدي بن حاتم وثأره خاصة أنه قام بارسال سرية برئاسة الإمام علي عليه السلام وتم سبي سفانة بنت حاتم وعدد من رجال ونساء طيئ .  
الجواب إنه الوحي وسطوة إعجاز النبوة على النفوس ، والأخلاق الحميدة للرسالة الخاتمة .

يقول عدي بن حاتم (فدخل الإسلام في قلبي وأحببت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حبا لم أحبه شيئاً قط ، قال ولم يكن في البيت إلا خصاف<sup>(٢)</sup> ووسادة أديم)<sup>(٣)</sup>.

(١) تاريخ دمشق ٦٩/٢٠٠ .

وقوله دخل الإسلام في قلبي أمانة على إرتقائه إلى منازل الإيمان من رأس فلم يبق عند النطق بالشهادتين ، والنسبة بين المسلم والمؤمن عموم وخصوص مطلق ، فكل مؤمن هو مسلم وليس العكس .

وبعد أن جلس عدي صار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يعاتبه بالحجة ومفاهيم التوحيد ، إذ قال (هيه يا عدي بن حاتم أفررت أن توحده الله وهل من أحد غير الله هيه يا عدي بن حاتم أفررت أن تكبر الله ومن أكبر من الله هيه يا عدي بن حاتم .

أفررت أن تعظم الله ومن أعظم من الله ، هيه يا عدي بن حاتم أفررت أن تشهد أن لا إله إلا الله وهل من إله غير الله .

هيه يا عدي بن حاتم أفررت أن تشهد أن محمدا رسول الله قال : فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحو هذا وأنا أبكي قال ثم أسلمت<sup>(٣)</sup>.

ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (إيه يا عدي بن حاتم ألم تك ركوسيا<sup>(٤)</sup> ، قلت بلى قال فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك ، قلت أجل والله وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يجهل<sup>(٥)</sup>).

### إخبار من علم الغيب

من إكرام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لعدي بن حاتم قيامه بإخباره عن ثلاثة أمور من علم الغيب كل فرد منها فضل عظيم من الله عز وجل على المسلمين ، ولا يتحقق إلا بالمعجزة .

(١) الخفاف جمع خصفة وهي جلة التمر التي تعمل من الخوص .

(٢) تاريخ دمشق ٢٠١/٦٩ .

(٣) تاريخ دمشق ٢٠١/٦٩ .

(٤) الركوسي من الركوسية وهم قوم لهم دين بين دين النصراني والصابئين (راجع تاج العروس واللسان : ركس) .

(٥) تاريخ دمشق ٢٠١/٦٩ .

وذكر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لها لاحتمال أنها سبب في تردد وإبطاء عدي بن حاتم في دخول الإسلام إذ قال له :

❖ لَعَلَّكَ يَا عَدِي إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولِ فِي هَذَا الدِّينِ مَا تَرَى مِنْ حَاجَتِهِمْ فَوَاللَّهِ لِيُوشِكَنَّ الْمَالُ أَنْ يَفِيضَ فِيهِمْ حَتَّى لَا يُوْجَدَ مِنْ يَأْخُذُهُ .

❖ لَعَلَّكَ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولِ فِيهِ مَا تَرَى مِنْ كَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ وَقَلَّةِ عَدَدِهِمْ فَوَاللَّهِ لِيُوشِكَنَّ أَنْ تَسْمَعَ بِالْمَرْأَةِ تَخْرُجُ مِنَ الْقَادِسِيَّةِ عَلَى بَعِيرِهَا حَتَّى تَزُورَ هَذَا الْبَيْتَ لَا تَخَافُ .

❖ وَلَعَلَّكَ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولِ فِيهِ أَنَّكَ تَرَى أَنَّ الْمَلِكَ وَالسُّلْطَانَ فِي غَيْرِهِمْ وَآيَمُ اللَّهِ لِيُوشِكَنَّ أَنْ تَسْمَعَ بِالْقُصُورِ الْبَيْضِ مِنْ أَرْضِ بَابِلٍ قَدْ فُتِحَتْ عَلَيْهِمْ قَالَ فَاسْلَمْتُ<sup>(١)</sup> .

ليمد الله في عمر عدي بن حاتم .

(وَكَانَ عَدِي يَقُولُ قَدْ مَضَتْ اثْنَتَانِ وَبَقِيَتْ الثَّلَاثَةُ وَاللَّهُ لَتَكُونَنَّ قَدْ رَأَيْتِ الْقُصُورَ الْبَيْضَ مِنْ أَرْضِ بَابِلٍ قَدْ فُتِحَتْ وَقَدْ رَأَيْتِ الْمَرْأَةَ تَخْرُجُ مِنَ الْقَادِسِيَّةِ عَلَى بَعِيرِهَا لَا تَخَافُ حَتَّى تَحْجَّ هَذَا الْبَيْتَ وَآيَمُ اللَّهِ لَتَكُونَنَّ الثَّلَاثَةُ لِيَفِيضَنَّ الْمَالُ حَتَّى لَا يُوْجَدَ مِنْ يَأْخُذُهُ)<sup>(٢)</sup> .

وشهد فتوح العراق والقادسية ، ومعركة الجسر ، وشهد بعض فتوح الشام ، وحضر معركة الجمل ففقد إحدى عينيه ، وقتل ولده محمد ، وقتل ولد آخر له في حرب الخوارج .

وبين دخول عدي الإسلام طواعية مع رئاسته لقومه أن الإسلام انتشر بالحجة والبرهان والدليل ولم ينتشر بالسيف أو الغزو .

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ٥٨٠/٢ .

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية ٥٨٠/٢ .

## عدي ومعاوية

دخل عدي بن حاتم على معاوية أيام حكمه (فقال له معاوية: ما فعلت الطرفات ، يعني أولاك ، قال: قتلوا مع علي، قال: ما أنصفتك عليّ قتل أولادك وبقي أولاده، فقال عدي: ما أنصفت علياً إذ قتل وبقيت بعده . فقال معاوية: أما إنه قد بقيت قطرة من دم عثمان ما يحوها إلا دم شريف من أشرف اليمن .

فقال عدي : والله إن قلوبنا التي أبغضناك بها لفي صدورنا، وإن أسيافنا التي قاتلناك بها لعلی عواتقنا، ولئن أدنيت إلينا من الغدر فترا لندين إليك من الشر شبراً، وإن حز الخلقوم وحشرجة الحيزوم لأهون علينا من أن نسمع المساءة في علي، فسلم السيف يا معاوية لباعث السيف، هذه كلمات حكم فاكتبوها، وأقبل على عدي محدثاً له كأنه ما خاطبه بشيء<sup>(١)</sup>.

وكان عدي بن حاتم يمرض علناً وأمام الجالسين قبيلة طي وعموم قبائل اليمن وشيعة أمير المؤمنين على معاوية بن أبي سفيان إن قام بقتله بذريعة واهية إذ يقول تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾<sup>(٢)</sup>، فلا صلة لعدي بن حاتم بقتل عثمان وإن كان حاضراً يوم الدار ولكنه لم يرض بقتل عثمان. فأدرك معاوية الأمر فتدارك وصرف النظر .

## تفقه عدي

وكان عدي بن حاتم يتفقه في الدين إذ (قال : قلت يا رسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة ، فما يحل لنا منها ، قال : يحل لكم ﴿مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾<sup>(٣)</sup> .

(١) مروج الذهب ٣٤٩/١ .

(٢) سورة الأنعام ١٦٤ .

(٣) سورة المائدة ٤ .

ثم قال : ما أرسلت من كلب وذكر اسم الله فكل ما أمسك عليك .  
 قلت : وإن قتل ، قال : وإن قتل ، ما لم يأكل هو الذي أمسك .  
 قلت : إنا قوم نرمي ، فما يحل لنا ، قال : ما ذكرت اسم الله وخزقت  
 فكل<sup>(١)</sup> .

و(عن عدي بن حاتم قال : علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 الصلاة والصيام قال : صل كذا ، وصم كذا ، فإذا غابت الشمس : فكل  
 واشرب حتى يتبين لك الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، وصم ثلاثين يوماً  
 إلى أن ترى الهلال قبل ذلك .

قال : فأخذت خيطين من شعر أبيض وأسود ، وكنت أنظر فيهما فلا  
 يتبين لي ، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم .  
 فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، وقال : يا  
 ابن حاتم إنما ذلك بياض النهار من سواد الليل<sup>(٢)</sup> .

و(عن عدي بن حاتم قال : لما أنزلت هذه الآية ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى  
 يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾<sup>(٣)</sup> عمدت إلى عقالين أحدهما  
 أسود والآخر أبيض فجعلتهما تحت وسادتي ، فجعلت أنظر إليهما فلا يتبين  
 لي الأبيض من الأسود .

فلما أصبحت غدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته  
 بالذي صنعت فقال : إن وسادك إذا لعريض ، إنما ذاك بياض النهار من  
 سواد الليل<sup>(٤)</sup> .

وكان عدي بن حاتم ورث الكرم والجود من أبيه حاتم الطائي الذي  
 تزوج من امرأة تدعى النوار ، وكانت تلومه على كثرة كرمه ، فتزوج ماوية

(١) الدر المنثور ٣/٣٢٧ .

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ١/٣٥٠ .

(٣) سورة البقرة ١٨٧ .

(٤) الدر المنثور ١/٣٩٩ .

بنت عفزر وهي من بنات ملوك اليمن وتحب الكرم فولدت له عدياً فورث الخصال الحميدة تتوجت بدخوله الإسلام وصدق إيمانه .

لقد أسلم عدي في السنة التاسعة وليس من معارك وقتال ، وثبت على الإسلام هو وقومه أيام الردة ، وحضر معركة الجمل وصفين والنهروان مع الإمام علي عليه السلام .

وطال عمر عدي بن حاتم وزاد على مائة سنة إذ توفى في السنة السابعة والستين للهجرة في قرقيسيا التي بقيت آثارها إلى الآن عند مصب نهر الخابور في نهر الفرات قرب مدينة دير الزور السورية ، وذكر أنه مات بالكوفة زمن المختار .

وقيل مات عدي في الكوفة (سنة سبع وستين في أيام المختار. وقيل: مات سنة ثمان وستين. وقيل: بل مات عدي بن حاتم سنة تسع وستين وهو ابن مائة وعشرين سنة)<sup>(١)</sup>.

لقد كانت بركة ومنافع سرية الإمام علي عليه السلام لهدم الصنم (الفلس) كثيرة ومتجددة ، وصارت سبباً لهداية قبيلة طي إلى الإسلام .

### سرية عكاشة بن محصن الأسدي

عكاشة بن محصن الأسدي حليف بني أمية بن عبد شمس ، هاجر إلى المدينة ، وشهد بدرأ هو وأخوه وأبوه وعمه .

وشهد عكاشة -بضم الباء وتشديد الكاف- بدرأ (وأبلى فيها بلاء حسناً وانكسر سيفه فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرجوناً أو عوداً فصار بيده سيفاً يومئذ وشهد أحداً والخندق وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم)<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي سعيد الخدري وغيره أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في حديث (ويدخل من أمتي سبعون ألفاً الجنة بغير حساب .

(١) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٣٢٦/١ .

(٢) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٣٣٢/١ .

فقال عمر : سبعون ألفاً ، فقال : نعم ومع كل واحد سبعون ألفاً .  
فقام عكاشة بن محصن فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ،  
قال : أنت منهم .

فقام رجل من الأنصار فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم : سبقك بها عكاشة<sup>(١)</sup> .

وأغلق النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هذا الباب في تلك الساعة .  
وفي الحديث شهادة نبوية بحسن عاقبة عكاشة وأنه من أهل الجنة .  
وعندما توفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان عكاشة بن  
حصن عاملاً لرسول الله على السكاسك والسكون وهم بطن من اليمن ،  
ومسكنهم يومئذ جنوب مدينة تعز ، وتسمى في هذا الزمان قضاء الحجرية  
وهو تابع لمحافظة تعز .

وسرية عكاشة بن محصن إلى الغمر بأربعين من الصحابة إلى الغمر في  
شهر ربيع الأول السنة السادسة للهجرة ، ولم يلقوا كيداً .  
ثم بعثه النبي محمد في الثامن من شهر ربيع الآخر من السنة التاسعة  
للهجرة إلى أرض عذرة وهي من أرض الحجاز ، وتقع جنوب تيماء ، بينها  
وبين خيبر .

قال ابن سعد (ثم سرية عكاشة بن محصن الأسدي إلى الجناب، أرض  
عذرة وبلي ، في شهر ربيع الآخر سنة تسع من مهاجر رسول الله صلى الله  
عليه وسلم)<sup>(٢)</sup> .

وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد سبق وأن بعث بشير بن  
سعد إلى الجناب في شهر شوال من السنة السابعة إذ قال الواقدي بإسناده  
(قَدِمَ رَجُلٌ مِّنْ أَشْجَعٍ يُقَالُ لَهُ: حَسِيلُ بْنُ نُؤَيْرَةَ، وَقَدْ كَانَ دَلِيلَ النَّبِيِّ صَلَّى

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ١٧٩/٩ .

(٢) ابن سعد / الطبقات الكبرى ١٦٤/٢ .

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى خَيْبَرَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ  
أَيْنَ يَا حَسِيلُ .

قَالَ : قَدِمْتُ مِنَ الْجَنَابِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا  
وَرَاءَكَ .

قَالَ : تَرَكْتُ جَمْعًا مِنْ غَطَفَانَ بِالْجَنَابِ قَدْ بَعَثَ إِلَيْهِمْ عِيْنَةً يَقُولُ لَهُمْ :  
إِمَّا تَسِيرُوا إِلَيْنَا وَإِمَّا نَسِيرُ إِلَيْكُمْ ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ أَنْ سِرْ إِلَيْنَا حَتَّى نَرْحَفَ إِلَى  
مُحَمَّدٍ جَمِيعًا ، وَهُمْ يَرِيدُونَكَ أَوْ بَعْضَ أَطْرَافِكَ .

قَالَ : فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ، فَذَكَرَ لَهُمَا  
ذَلِكَ .

فَقَالَا جَمِيعًا : ابْعَثْ بِشِيرِ بْنِ سَعْدٍ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
بَشِيرًا فَعَقَدَ لَهُ لُؤَاءَ وَبَعَثَ مَعَهُ ثَلَاثِمِائَةَ رَجُلٍ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسِيرُوا اللَّيْلَ  
وَيَكْمِنُوا النَّهَارَ وَخَرَجَ مَعَهُمْ حَسِيلُ بْنُ نُؤَيْرَةَ دَلِيلًا ، فَسَارُوا اللَّيْلَ وَكَمِنُوا  
النَّهَارَ حَتَّى أَتَوْا أَسْفَلَ خَيْبَرَ فَتَزَلُّوا بِسِلَاحٍ<sup>(١)</sup> .

ثُمَّ خَرَجُوا مِنْ سِلَاحٍ حَتَّى دَنَوْا مِنَ الْقَوْمِ ، فَقَالَ لَهُمُ الدَّلِيلُ : بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ  
الْقَوْمِ ثَلَاثَا نَهَارٍ أَوْ نَصْفُهُ فَإِنْ أَحْبَبْتُمْ كَمْتُمْ وَخَرَجْتَ طَلِيعَةً لَكُمْ حَتَّى آتِيَكُمْ  
بِالْخَيْرِ وَإِنْ أَحْبَبْتُمْ سَرْنَا جَمِيعًا .

قَالُوا : بَلْ نَقْدِمُكَ . فَقَدِمُوهُ فَغَابَ عَنْهُمْ سَاعَةً ثُمَّ كَرَّ عَلَيْهِمْ فَقَالَ : هَذَا  
أَوَائِلُ سَرْحِهِمْ فَهَلْ لَكُمْ أَنْ تُغَيِّرُوا عَلَيْهِمْ ، فَاخْتَلَفَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنْ أَغْرَبْنَا الْآنَ حَذَرْنَا الرِّجَالَ وَالْعَطْنَ ، وَقَالَ آخَرُونَ :  
نَغْنَمُ مَا ظَهَرَ لَنَا ثُمَّ نَطْلُبُ الْقَوْمَ . فَشَجَعُوا عَلَى النِّعَمِ فَأَصَابُوا نِعْمًا كَثِيرًا  
مَلَأُوا مِنْهُ أَيْدِيَهُمْ وَتَفَرَّقَ الرَّعَاءُ وَخَرَجُوا سِرَاعًا ، ثُمَّ حَذَرُوا الْجَمْعَ فَتَفَرَّقَ  
الْجَمْعُ وَحَذَرُوا .

(١) سلاح : موضع أسفل من خيبر . معجم البلدان ج ٥ ص ١٠١ ، ويقال له أيضاً :

سلاح ، بالجيم .

وَلَحِقُوا بَعْلِيَاءَ بِلَادِهِمْ فَخَرَجَ بِشِيرٍ بِأَصْحَابِهِ حَتَّى أَتَى مَحَالَّهُمْ فَيَجِدُهَا  
وَلَيْسَ بِهَا أَحَدٌ ، فَرَجَعَ بِالنَّعْمِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِسَلَاحٍ رَاجِعِينَ لَقُوا عَيْنًا لَعِينَةً  
فَقَتَلُوهُ ثُمَّ لَقُوا جَمْعَ عَيْنَةٍ وَعَيْنَةً لَأَ يَشْعُرُ بِهِمْ فَنَآوَشُوهُمْ ثُمَّ انْكَشَفَ جَمْعُ  
عَيْنَةٍ .

وَتَبِعَهُمْ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَصَابُوا مِنْهُمْ رَجُلًا أَوْ  
رَجُلَيْنِ فَأَسْرُوهُمَا أَسْرًا ، فَقَدِمُوا بِهِمَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
فَأَسْلَمَا فَأَرْسَلَهُمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup> .

فلم يقتل في سرية بشير بن سعد هذه إلا رجل واحد من المشركين كان  
عيناً في الجادة العامة لعينة بن حصن الغزاري قبل إسلامه .

أما سرية عكاشة بن محصن في شهر شوال من السنة التاسعة فكانت إلى  
الجناب - بكسر أوله- في شهر ربيع الآخر من السنة التاسعة للهجرة .

والجناب من أرض عذرة وتشترك معهم غطفان وفزارة وبلي وسماء  
ياقوت الحموي الجباب إذ قال (الجباب: بالضم. ذكر أبو الندي أنه، في ديار  
بني سعد بن زيد مناة بن تميم وهو منقول عن الجباب وهو شيء يعلو ألبان  
الإبل كالزبد ولا زيد لها)<sup>(٢)</sup> .

وسرية عكاشة لدعوة الناس إلى الإسلام ، فهي ليست سرية قتال ،  
وكان بنو عذرة شاركوا في غزوة الأحزاب نحو المدينة ، ثم صالحوا المسلمين  
، وعكاشة من بني أسد وكان رهط منهم يسكنون عذرة .

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يرسل من  
الصحابة من يكون أبناء القبيلة المبعوث إليهم ، فهو أقرب إليهم ولطلب  
سلامته ، وفيه حجة عليهم .

(١) مغازي الواقدي ١/ ٢٩٦ .

(٢) معجم البلدان ١/ ٤٦٤ .

ثم عادت السرية إلى المدينة من غير أن تلقى كيداً وفيه شاهد بأن أكثر المشركين اجتنبوا قتال المسلمين بعد فتح مكة ، وأنهم صاروا يألفون مجئ السرايا لدعوتهم للإسلام فلا يتعرضون لهم .

وفيه شاهد على قانون (لم يغز النبي محمد (ص) أحدا) وهذا الجزء من (معالم الإيمان) هو الثلاثون في ذات ومصاديق هذا القانون .

وما لبثت تلك القبائل أن جاءت في ذات السنة إلى المدينة وإعلانهم دخول الإسلام ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ .

### استشهاد عكاشة

استشهد عكاشة بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بسنة في قتال أهل الردة ، قتله طليحة بن خويلد الأسدي .

(وقال عمر لطليحة بعد أن أسلم كيف أحبك وقد قتلت الصالحين: عكاشة بن محسن وثابت بن أقرم فقال طليحة: أكرمهما الله بيدي ولم يهني بأيديهما)<sup>(١)</sup> .

أي أنهما فاذا بالشهادة ودخول الجنة ، ولم أقتل كافراً على أيديهما . وهذه الشهادة مصداق بشارة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لعكاشة بالجنة إذ قال تعالى ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> .

وكان عكاشة من أجمل الرجال ، قُتل في بزاحة في السنة الثانية عشرة للهجرة ، وعمره خمس وأربعون سنة .

وباسناد ابن سعد (قال: خرج خالد بن الوليد على الناس يعترضهم في الردة، فكلما سمع أذانا للوقت كف وإذا لم يسمع أذانا أغار. فلما دنا خالد من طليحة وأصحابه بعث عكاشة بن محسن وثابت بن أقرم طليعة أمامه

(١) الإصابة في معرفة الصحابة ١/١٢٧ .

(٢) سورة البقرة ١٥٤ .

يأتيانه بالخبر، وكانا فارسين، عكاشة على فرس له يقال له الرزام وثابت على فرس له يقال له المحبر، فلقيا طليحة وأخاه سلمة بن خويلد طليحة لمن وراءهما من الناس .

فانفرد طليحة بعكاشة وسلمة بثابت، فلم يلبث أن قتل ثابت بن أقرم فصرخ طليحة لسلمة أعني على الرجل فإنه قاتلي، فكر سلمة على عكاشة فقتلاه جميعا .

ثم كرا راجعين إلى من وراءهما من الناس فأخبراهم، فسر عيينة بن حصن، وكان مع طليحة، وكان قد خلفه على عسكره .  
وقال: هذا الظفر .

وأقبل خالد بن الوليد ومعه المسلمون فلم يرعهم إلا ثابت بن أقرم قتيلا تطؤه المطي، فعظم ذلك على المسلمين، ثم لم يسيروا إلا يسيرا حتى وطئوا عكاشة قتيلا .

فثقل القوم على المطي كما وصف واصفهم حتى ما تكاد المطي ترفع أخفافها .

قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني عبد الملك بن سليمان عن ضمرة بن سعيد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي واقد الليثي قال: كنا نحن المقدمة مائتي فارس وعلينا زيد بن الخطاب، وكان ثابت بن أقرم وعكاشة بن محصن أمامنا .

فلما مررنا بهما سيء بنا، وخالد والمسلمون وراءنا بعد، فوقفنا عليهما حتى طلع خالد يسيرا فأمرنا فحضرنا لهما ودفناهما بدمائهما وثيابهما، ولقد وجدنا بعكاشة جراحات منكرة<sup>(١)</sup> .

(١) ابن سعد / الطبقات الكبرى ٩٢/٣ .

## سرية خالد بن الوليد إلى أكيدر بدومة الجندل

لقد اشترك أهل دومة الجندل بحشودهم ، وأكثرهم من النصارى في معركة تبوك ضد المسلمين .

وتقع دومة الجندل بأطراف الحجاز قريباً من بلاد الشام قريباً من تبوك ، وتبعد عن المدينة المنورة (٤٥٠ كم) تقطعها الإبل في خمس عشرة ليلة . وكان أكيدر بن عبد الملك من قبيلة كندة هو الملك على دومة الجندل ، وكان شديداً على المسلمين .

وقد بعث له ولقبيلته النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في السنة السادسة للهجرة يدعوهم إلى الإسلام ، ولكنه أظهر العداء للإسلام .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرجعه من تبوك سرية من أربعمئة وعشرين من الصحابة برئاسة خالد بن الوليد ، الذي قال (يا رسول الله كيف لي به وسط بلاد كلب وإنما أنا في أناس يسير ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستجده يصيد البقر فتأخذه)<sup>(١)</sup> .  
و(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَخَالِدٍ إِنَّكَ سَتَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقْرَ)<sup>(٢)</sup> .

وهل في هذا القول النبوي دعوة لخالد بن الوليد بعدم القتال ، وبشارة أفراد السرية بعد وقوع قتال ، ولزوم أخذ سبيل السلم ، المختار نعم . وانتفع خالد من قول النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلم يبادر إلى الهجوم مع كثرة أفراد سريته بل وقفوا على منظر العين للحصن في ليلة صيفية يطل نور القمر فيها على الأرض .

فجاءت البقر إلى قصر أكيدر وصارت تحك قرونها بالباب وكان هو على السطح مع زوجته ، وكان البقر تدعوه للنزول فانبهر من هذا المنظر ، فقال لزوجته متعجباً : هل رأيت مثل هذا قط ، قالت لا والله ، وأغرته بصيدها .

(١) تاريخ دمشق ٢٠٢/٩ .

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية ٥٢٦/٢ .

لتكون هذه البقر سبياً في أسره من غير قتال ، وفي التنزيل ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾<sup>(١)</sup>.

وأسرج لأكيدر فرسه ، وركب على نفر من أهل بيته منهم أخوه حسان ، وخرجوا من القصر ومعهم آلات صيد البقر ، ليقعوا هم في الصيد الآمن الذي هو سبب للهداية والرشاد إذ (تَلَقَّتْهُمْ خَيْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَتْهُ .

وَقَتَلُوا أَخَاهُ وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ قَبَاءٌ مِنْ دِيبَاجٍ مُخَوَّصٍ بِالذَّهَبِ فَاسْتَلَبَهُ خَالِدٌ فَبَعَثَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ قُدُومِهِ بِهِ عَلَيْهِ)<sup>(٢)</sup>.

وقتل حسان لعناده واستكباره ، وفتح الحصن لخالد وصالحه على كثير من المال (ألف بغير وأربعمائة درع وأربعمائة رمح)<sup>(٣)</sup>.

كعلامة على النصر ، ومقدمة مع بشارة بأخبار السرية ، وتعجب في المدينة الصحابة من تطريز الديباج الحريري بالذهب وصاروا يلمسونه بأيديهم.

ولكن النبي محمداً قطع هذا التعجب وما فيه من الإنشغال بالدنيا وما عند الملوك والأمراء من أسباب الثراء إذ ورد عن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال حيثئذ (أَتَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا)<sup>(٤)</sup>.

و(عن قتادة، عن أنس بن مالك، أن أكيدر دومة أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبة وذلك قبل أن ينهى عن الحرير، فلبسها فعجب

(١) سورة المدثر ٣١ .

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية ٥٢٦/٢ .

(٣) تاريخ دمشق ٢٠١/٩ .

(٤) ابن هشام / السيرة النبوية ٥٢٦/٢ .

الناس منها فقال : والذي نفسي بيده لمناديل سعد في الجنة أحسن من هذه<sup>(١)</sup>.

ويبين الحديث ذكر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه الذين فارقوا الدنيا شهداء ، وقد استشهد سعد بن معاذ في معركة الخندق بعد أن رماه حبان بن العرق في الأكل ، وهو وريد في وسط الذراع وهو عرق الحياة .

وعادت سرية خالد إلى المدينة ومعهم أكيدر الذي أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأحقرن دمه وأعطاه الأمان ، وخيره بين دخول الإسلام وبين دفع الجزية ، فاختر دفع الجزية ليقى على النصرانية ، وخلق سبيله وكتب له كتاباً<sup>(٢)</sup> ، وعاد إلى بلده دومة الجندل .

(فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ طَيْبٍ : يُقَالُ لَهُ بُجَيْرٌ بِنُ بُجْرَةَ يَذْكُرُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَخَالِدٍ إِنَّكَ سَتَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقْرَ وَمَا صَنَعَتِ الْبَقْرُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى اسْتُخْرِجَتْهُ لِتَصْدِيقِ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :  
تَبَارَكَ سَائِقُ الْبَقَرَاتِ إِنِّي ... رَأَيْتُ اللَّهَ يَهْدِي كُلَّ هَادٍ  
فَمَنْ يَكُ حَائِداً عَنِ ذِي تَبُوكَ ... فَإِنَّا قَدْ أَمَرْنَا بِالْجِهَادِ)<sup>(٣)</sup> .

وتبين هذه السرية أن النبي محمداً لم يثار للشهداء الذين سقطوا في معركة تبوك إنما يبعث السرايا لنشر مفاهيم التوحيد ، وبسط الأمن في الجزيرة ، وطرق القوافل.

### وفد بني عقيل

باسناد الواقدي (عن عبد الرحمن ابن أبي عقيل قال : انطلقت في وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتيناه فأئنا الباب وما في الناس رجل أبغض إلينا من رجل نلج عليه) .

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٢٤٨/٣ .

(٢) أنظر نص الكتاب ، أبو القاسم السهيلي ت ٥٨١ هجرية / الروض الأنف ٣٠٠/٤ .

(٣) ابن هشام / السيرة النبوية ٥٢٦/٢ .

ليان حال الأنفة والإستكبار عندهم ، وانتفاء هذه الحال أمام مقام النبوة ، وهيبة التنزيل قال (فلما دخلنا وخرجنا فما في الناس رجل أحب إلينا من رجل دخلنا عليه).

للدلالة على حجة البينات ، والأهلية المطلقة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لوفادة الناس عليه ، وخرجهم منه بالنفع العام وأن الوفاة عليه ليست وفادة على الملوك والأمراء وحال العلو التي يتصفون بها عند استقبال الوفود ، وليان قانون تجلي مصاديق قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup> في السيرة اليومية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

قال : فقال قائل منا : يا رسول الله ألا سألت ربك ملكا كملك سليمان ، قال : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
ثم قال : فلعل صاحبك عند الله أفضل من سليمان).

ولم يذكر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم سليمان نفسه في مقام التفضيل عليه إنما ذكر ملك سليمان ، ثم بين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قانوناً من قوانين النبوة وتأريخها ، بفوز كل نبي بدعوة خاصة له سواء في الدنيا أو الآخرة .

إذ قال (إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا أعطاه دعوة فمنهم من اتخذها دنياً فأعطيتها ومنهم من دعا بها على قومه إذ عصوه فأهلكوا بها ، وإن الله أعطاني دعوة فاختبأتها عند ربي شفاعاً لأمتي يوم القيامة).

(وعن أنس : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ألا إن شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ، ثم تلا هذه الآية ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> (٣).

(١) سورة القلم ٤.

(٢) سورة النساء ٣١.

(٣) الدر المشور ٩٠/٣.

و(عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليخرجن بشفاعتي من أهل الإيمان من النار حتى لا يبقى فيها أحد إلا أهل هذه الآية ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾<sup>(١)</sup> إلى قوله ﴿شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾<sup>(٢)</sup> (٣).

وقال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في وصيته (يا علي من صلى علي كل يوم أو كل ليلة وجبت له شفاعتي ولو كان من أهل الكبائر)<sup>(٤)</sup>.

### **من وفود بني عقيل بن كعب**

يأتي بعض رجال القبائل إلى المدينة على نحو منفرد أو متعدد ، ليدخل الإسلام ، أو ليسمع من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم آيات القرآن ، ويتلقى الدعوة منه .

ومنهم من يظهر العناد والإمتناع عن دخول الإسلام فلا يكرهه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إنما يتركه بما سمعه من الآيات ليتفكر في النبوة الخاتمة ، ويتدبر في مضامين آيات القرآن ، ومعجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الحسية والعقلية .

وقدم على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من بني عقيل (أبو حرب بن خويلد بن عامر بن عقيل ، فقرأ عليه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، القرآن وعرض عليه الإسلام .

فقال : أما وايم الله لقد لقيت الله أو لقيت من لقيه ، وإنك لتقول قولاً لآنحسن مثله ، ولكنني سوف أضرب بقداحي هذه على ما تدعوني إليه وعلى ديني الذي أنا عليه ، وضرب بالقداح فخرج عليه سهم الكفر ثم أعاده فخرج عليه ثلاث مرات .

(١) سورة المدثر ٤٢.

(٢) سورة المدثر ٤٨.

(٣) الدر المنثور ١٠/١٣٩.

(٤) جامع الأخبار ٨/١٢.

فقال لرسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم: أبي هذا إلا ما ترى، ثم رجع إلى أخيه عقال بن خويلد فقال له: قل خيسك، هل لك في محمد بن عبد الله يدعو إلى دين الإسلام ويقرأ القرآن وقد أعطاني العقيق إن أنا أسلمت.

فقال له عقال: أنا والله أخطك أكثر مما يخط محمد! ثم ركب فرسه وجر رحه على أسفل العقيق فأخذ أسفله وما فيه من عين، ثم إن عقالاً قدم على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فعرض عليه الإسلام وجعل يقول له: أتشهد أن محمداً رسول الله.

فيقول: أشهد أن هبيرة بن النفاضة نعم الفارس ثوم قرني لبان، ثم قال: أتشهد أن محمداً رسول الله، قال: أشهد أن الصريح تحت الرغوة. ثم قال له الثالثة: أتشهد، قال: فشهد وأسلم؛ قال: وابن النفاضة هبيرة ابن معاوية بن عبادة بن عقيل، ومعاوية: هو فارس الهرار، والهرار: اسم فرسه، ولبان: هو موضع، خيسك: خيرك<sup>(١)</sup>.

### **حديث طارق بن عبد الله المحاربي**

من الوفود التي وفدت على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المدينة ما كان لبعض أفرادها حادثة وقصة وقعت مع النبي محمد قبل الإسلام، أو بعد البعثة وقبل الهجرة تدل على صدق نبوته، وتكون تلك الحادثة وديعة عند الناس تدعوهم لإجتناّب نصره كفار قريش على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولدخول الإسلام.

منها ما رواه (البيهقي من طريق أبي جناب الكلبي عن جامع بن شداد المحاربي حدثني رجل من قومي يقال له طارق بن عبد الله قال: إنني لقائم بسوق ذي المجاز إذ أقبل رجل عليه جبة وهو يقول: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا.

(١) ابن سعد / الطبقات الكبرى ٣٠٢/١.

ورجل يتبعه يرميه بالحجارة وهو يقول : يا أيها الناس إنه كذاب ، فقلت : من هذا .

فقالوا هذا غلام من بني هاشم يزعم أنه رسول الله .  
قلت : من هذا الذي يفعل به هذا ، قالوا : هذا عمه عبد العزى .  
قال : فلما أسلم الناس وهاجروا خرجنا من الربذة نريد المدينة نمتاز من تمرها فلما دنونا من حيطانها ونخلها قلت : لو نزلنا فلبسنا ثيابا غير هذه .  
إذا رجل في طمرين فسلم علينا و قال : من أين أقبل القوم) .  
وهذا الرجل هو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وطمرين أي ثوبين باليين ، لبيام معجزة للنبي محمد وهي خروجه بمفرده عند مدخل المدينة وتلقيه الداخلين لها من غير أن يحمل سلاحاً .

و(عن سهل مولى خيثمة قال : قرأت في الإنجيل نعت محمد صلى الله عليه وسلم : إنه لا قصير ولا طويل أبيض ذو طمرين ، بين كتفيه خاتم ، يكثر الاحتباء ولا يقبل الصدقة ، ويركب الحمار والبعير ، ويحتلب الشاة ويلبس قميصاً مرقوعاً ، ومن فعل ذلك فقد برىء من الكبر ، وهو يفعل ذلك وهو من ذرية اسمعيل عليه السلام)<sup>(١)</sup> .

وورد ذكر الطمرين في الحديث : إذ ذكر عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال (رُبَّ ذِي طَمْرَيْنٍ لَا يُؤْبَهُ لَهُ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرِهِ ، لَوْ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ لِأَعْطَاهُ الْجَنَّةَ ، وَلَمْ يَعْطِهِ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئاً)<sup>(٢)</sup> .

(قلنا من الربذة قال : وأين تريدون ، قلنا : نريد هذه المدينة قال : ما حاجتكم منها ، قلنا : نمتاز من تمرها) .

(١) الدر المنثور ٤/٣٤٤ .

(٢) تفسير ابن كثير ٦/٣٤١ .

ليبان أن النبي محمدٌ يتوقع مجئ الناس إلى المدينة للقاء به ودخول الإسلام ، ولإرادة طلب الأمن لأهل المدينة فأخبروه بأنهم جاءوا للمدينة لشراء التمر .

(قال : ومعنا ظعينة<sup>(١)</sup> لنا و معنا جمل أحمر مخطوم<sup>(٢)</sup>).

فقال : أتبيعوني جملكم هذا ، قلنا : نعم بكذا و كذا صاعا من تمر .

قال : فما استوضعنا مما قلنا شيئا).

أي أن النبي محمداً لم يطلب تخفيض سعر الجمل أو الحفض منه .  
(وأخذ بمخظام الجمل و انطلق فلما توارى عنا بجيطان المدينة ونخلها قلنا :  
ما صنعنا والله ما بعنا جملنا ممن نعرف ولا أخذنا له ثمنا .

قال تقول المرأة التي معنا : و الله لقد رأيت رجلا كأن وجهه شقة القمر ليلة البدر أنا ضامنة لثمن جملكم).

وحسن الوجه أمانة على الصلاح والخير ، و(عن عبدالله بن جراد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا ابتغيتم المعروف فابتغوه في حسان الوجوه ، فوالله لا يلج النار إلا بجنيل ، ولا يلج الجنة شحيح ، إن السخاء شجرة في الجنة تسمى السخاء ، وإن الشح شجرة في النار تسمى الشح)<sup>(٣)</sup>.

واختلف هل عبد الله بن جراد من الصحابة أو لا ، والمختار أنه تابعي .  
ليبان معجزات وخصائص للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من وجوه :

الأول : تلقي الركبان الذين يدخلون المدينة ، وسؤالهم عن غاية مجيئهم لها .

الثاني : شراء الجمل بالسعر الذي طلبوه .

(١) الظعينة : امرأة في الهودج ، وسميت به لأنها ترحل إذا ظعن زوجها ، وتقيم إذا أقام .

(٢) جمل مخطوم : أي وضع في انفه حبل أو زمام يقاد به .

(٣) الدر المنثور ٤٦٥/٩ .

الثالث : صيرورة الوفد عاجزين عن سؤال الضمان لإستلام التمر.  
الرابع : قيام امرأة في الوفد بالضمان عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنها رأت علامات النور والهيبة والوقار بادية عليه مع أنه كان يلبس طمارين باليين .

الخامس : بعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم رسولاً منه بثمن الجمل من التمر من غير إبطاء وقبل أن يدخلوا المدينة .

(إذ أقبل الرجل فقال : أنا رسول<sup>(١)</sup> رسول الله إليكم هذا تمركم فكلوا و اشبعوا و اکتالوا و استوفوا فأكلنا حتى شبعنا و اکتلنا فاستوفينا).

أي طلب الرسول من وفد بني محارب أن يأكلوا من التمر حد الشبع ، ثم يزنوا الباقي فيكون مستوفياً لما طلبوه ثمناً للجمل من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيكون الأكل والشبع هنا كالضيافة لهم .

(ثم دخلنا المدينة فدخلنا المسجد فإذا هو قائم على المنبر يخطب الناس).  
 أي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن خصائص النبي محمد أنه لا يصعد المنبر ويخطب بالناس أحد غيره .

(فأدر كنا من خطبته و هو يقول : تصدقوا فإن الصدقة خير لكم اليد العليا خير من اليد السفلى أمك وأباك وأختك وأخاك وأدناك أدناك .

إذ أقبل رجل من بني يربوع أو قال رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله لنا في هؤلاء دماء في الجاهلية .

فقال : إن أبا لا يجني على ولد ، ثلاث مرات).

أي لا تكون جناية الشخص سبباً للثأر من غيره وإن كان ولدأ للجاني فلا يتحمل الجناية إلا صاحبها ، فلا يصح مؤاخذه وقد بني محارب بقيام أحد أفراد قبيلتهم بقتل شخص ، وإن كان المقتول من الأنصار ، من الأوس

(١) سقطت كلمة (رسول) من الأصل ، وقد ثبت في تاريخ دمشق ١٦٨/٦٧ ،

والطبقات الكبرى ٤٣/٦ ، وزاد المعاد ٥٦٤/٣ .

والخزرج فصار وقد بني محارب في أمن في المدينة ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾<sup>(١)</sup>،

و(عن عمرو بن الأحوص أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : في حجة الوداع ألا لا يجني جان إلا على نفسه . لا يجني والد على ولده ، ولا مولود على والده)<sup>(٢)</sup>.

(وقد روى النسائي فضل الصدقة منه عن يوسف بن عيسى عن الفضل بن موسى عن يزيد بن زياد بن أبي الجعد عن جامع بن شداد عن طارق بن عبد الله المحاربي ببعضه.

ورواه الحافظ البيهقي أيضا عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن يزيد بن زياد عن جامع بن طارق بطوله كما تقدم.

وقال فيه : فقالت الظعينة : لا تلاوموا<sup>(٣)</sup> فلقد رأيت وجه رجل لا يغدر ما رأيت شيئا أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه)<sup>(٤)</sup>.

### **وفد معان**

لقد قدم (وافد فروة بن عمرو الجذامي صاحب بلاد معان بإسلامه على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن إسحاق : وبعث فروة بن عمرو بن النافرة الجذامي ثم النفائي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رسولا بإسلامه)<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الأنعام .١٦٤.

(٢) الدر المنثور ٢٧١/٨ .

(٣) أي لا يلوم بعضكم بعضاً .

(٤) ابن كثير / السيرة النبوية ١٦٧/٤.

(٥) ابن كثير / السيرة النبوية ١٦٧/٤ .

واسم الرسول مسعود بن سعد الجذامي ، ومعه كتاب من فروة فقراً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتاب فروة وأجازه بخمسمائة درهم ، وقبل هدية فروة وهي بغلة بيضاء .

(وكان فروة عاملاً للروم على من يليهم من العرب و كان منزله معان و ما حولها من أرض الشام فلما بلغ الروم ذلك من إسلامه طلبوه حتى أخذوه فحبسوه عندهم).

فقال في محبسه ذلك :

(طَرَقَتْ سُلَيْمَى مَوْهِنًا أَصْحَابِي ... وَالرُّومُ بَيْنَ الْبَابِ وَالْقُرْوَانِ  
صَدَّ الْخِيَالُ وَسَاءَهُ مَا قَدْ رَأَى ... وَهَمَمْتُ أَنْ أُغْنِي وَقَدْ أَبْكَانِي  
لَا تَكْحَلَنَّ الْعَيْنَ بَعْدِي إِثْمَدًا ... سَلِمَى وَلَا تَدِينِ لِلْإِتْيَانِ  
وَلَقَدْ عَلِمْتَ أَبَا كَيْشَةَ أَنِّي ... وَسَطَ الْأَعْزَةِ لَا يَحْصُ لِسَانِي  
فَلَيْتَنُ هَلَكْتُ لَتُنْفَقِدَنَّ أَخَاكُم ... وَلَيْتَنُ بَقِيْتُ لَتَعْرِفَنَّ مَكَانِي  
وَلَقَدْ جَمَعْتُ أَجَلَ مَا جَمَعَ الْفَتَى ... مِنْ جُودَةٍ وَشَجَاعَةٍ وَبَيَانِ  
فَلَمَّا أَجْمَعْتَ الرُّومَ لَصَلْبِهِ عَلَى مَاءٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ عَفْرَاءُ بِفِلَسْطِينَ قَالَ :  
أَلَا هَلْ أَتَى سَلِمَى بِأَنَّ حَلِيلَهَا ... عَلَى مَاءٍ عَفْرَاءٍ فَوْقَ إِحْدَى الرُّوَاحِلِ  
عَلَى نَاقَةٍ لَمْ يَضْرِبِ الْفَحْلُ أَمَهَا ... مُشَدِّبَةً أَطْرَافَهَا بِالْمَنَاجِلِ  
فَزَعَمَ الزُّهْرِيُّ ابْنَ شَهَابٍ ، أَنَّهُمْ لَمَّا قَدَمُوهُ لِيَقْتُلُوهُ . قَالَ  
بَلَّغْ سِرَاةَ الْمُسْلِمِينَ بِأَنِّي ... سَلِمٌ لِرَبِّي أَعْظَمِي وَمَقَامِي  
ثُمَّ ضَرَبُوا عُنُقَهُ وَصَلَبُوهُ عَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ يَرْحَمُهُ اللَّهُ تَعَالَى) (١).

### قدوم تميم الداري

لقد قدم تميم بن أوس الداري -أبورقية - على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في السنة التاسعة للهجرة والدار بطن من لحم وهم فخذ من يعرب بن قحطان .

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ٥٩١/٢ .

و) عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس قالت : قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تميم الداري فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه ركب البحر فتاهت به سفينته فسقطوا إلى جزيرة فخرجوا إليها يلتمسون الماء فلقى إنسانا يجر شعره فقال له : من أنت .

قال : أنا الجساسة قالوا : فأخبرنا قال : لا أخبركم ولكن عليكم بهذه الجزيرة فدخلناها فإذا رجل مقيد فقال : من أنتم ، قلنا : ناس من العرب قال : ما فعل هذا النبي الذي خرج فيكم ، قلنا : قد آمن به الناس واتبعوه وصدقوه قال : ذلك خير لهم .

قال : أفلا تجربوني عن عين زعر ما فعلت ؟ فأخبرناه عنها فوثب وثبة كاد أن يخرج من وراء الجدار ثم قال : ما فعل نخل بيسان هل أطعم بعد ؟ فأخبرناه أنه قد أطعم فوثب مثلها ثم قال أما لو قد أذن لي في الخروج لو طئت البلاد كلها غير طيبة

قالت : فأخرجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحدث الناس فقال : هذه طيبة وذاك الدجال .

وقد روى هذا الحديث الإمام أحمد ومسلم وأهل السنن من طرق عن عامر بن شراحيل الشعبي عن فاطمة بنت قيس .

### وفد بني أسد

لقد قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أول سنة تسع وفد بني أسد بن خزيمة في أول سنة تسع ، وكانوا عشرة منهم ضرار بن الأزور ووابصة بن معبد وقتادة بن القائف وسلمة بن حبيش ، وطليحة بن خويلد الذي ادعى النبوة بعد ذلك ثم أسلم و حسن إسلامه و نقادة<sup>(١)</sup> بن عبد الله ابن خلف .

فقال له رئيسهم حضرمي بن عامر : يا رسول الله أتيناك نتدرع الليل البهيم في سنة شهباء و لم تبعث إلينا بعثا .

(١) في السيرة النبوية لابن كثير ٤/١٧٠ (نفاد) وهو سهو من النساخ.

لقد تفاخر بنو أسد بأنهم أسلموا طائعين ، وأرادوا الأمتياز والحق .  
 فنزل فيهم ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قَل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ  
 عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن عباس (قال : جاءت بنو أسد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا يا رسول الله : أسلمنا وقاتلك العرب ولم تقاتلك ، فنزلت هذه الآية ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾<sup>(٢)</sup>(٣).

وكان فيهم قبيلة يقال لهم بنو الرثية فغير النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم اسمهم فقال : أنتم بنو الراشدة.

وقد استهدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نقادة بن عبد الله بن خلف ناقة تكون جيدة للركوب والحلب من غير أن يكون لها ولد معها فطلبها فلم يجدها إلا عند ابن عم له فجاء بها فأمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحلبها فشرب منها وسقاه سؤره.

ثم قال : اللهم بارك فيها وفيمن منحها ، فقال : يا رسول الله وفيمن جاء بها فقال : وفيمن جاء بها.

### وفد عيسى

وفد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسعة نفر من بني عيسى ، وذكر أنهم وفدوا على رسول الله قبل فتح مكة وهم (

الأول : ميسرة بن مسروق .

الثاني : الحارث بن الربيع وهو الكامل .

الثالث : قنان بن دارم .

الرابع : بشر بن الحارث بن عبادة .

(١) سورة الحجرات ١٧ .

(٢) سورة الحجرات ١٧ .

(٣) الدر المنثور ٢٧٤/٩ .

الخامس : هدم بن مسعدة .

السادس : سباع بن زيد .

السابع : أبو الحصن بن لقمان .

الثامن : عبد الله بن مالك .

التاسع : قرّة بن الحصين بن فضالة .

فأسلموا فدعا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقال : ابغوني رجلا يعشركم أعقد لكم لواء .

فدخل طلحة بن عبيد الله التيمي فعقد لهم لواء وجعل شعارهم : يا عشرة .

وروى ابن سعد عن عروة بن أذينة الليثي قال : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عيرا لقريش أقبلت من الشام فبعث بني عبس في سرية وعقد لهم لواء ، فقالوا : يا رسول الله كيف تقسم غنيمة ان أصبناها ونحن تسعة ، فقال : أنا عاشرهم<sup>(١)</sup> .

وذكر أن ثلاثة من بني عبس قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا له (إنه قدم علينا قراؤنا فأخبرونا أنه لا إسلام لمن لا هجرة له ، ولنا أموال ومواشي هي معاشنا ، فإن كان لا إسلام لمن لا هجرة له بعناها وهاجرنا .

فقال رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم : اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم من أعمالكم شيئاً ولو كنتم بصمد وجازان .

وسألهم عن خالد بن سنان ، فقالوا : لا عقب له ، فقال : نبي ضيعه قومه ؛ ثم أنشأ يحدث أصحابه حديث خالد ابن سنان<sup>(٢)</sup> .

إذ ورد عن ابن عباس (أن رجلاً من بني عبس يقال له خالد بن سنان قال لقومه : إني أطفئ عنكم نار الحدثان<sup>(٣)</sup> .

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٦/٣٧٥ .

(٢) ابن سعد / الطبقات الكبرى ١/٢٩٦ .

(٣) نار كالبركان تخرج أيام الجاهلية من أرض الحدثان وهي لبني عبس .

فقال له عمارة بن زياد رجل من قومه ، والله ما قلت لنا يا خالد قط إلا حقاً ، فما شأنك وشأن نار الحدثان تزعم أنك تطفئها .

قال : فانطلق وانطلق معه عمارة في ثلاثين من قومه حتى أتوها ، وهي تخرج من شن جبل من حرة يقال لها حرة أشجع ، فخط لهم خالد خطة فاجلسهم فيها .

فقال : إن أبطأت عليكم فلا تدعوني باسمي ، فخرجت كأنها خيل شقر يتبع بعضها بعضاً ، فاستقبلها خالد فجعل يضربها بعصاه وهو يقول : بدا بدا كل هدي ، زعم ابن راعية المعزى أنني لا أخرج منها وثيابي تندى حتى دخل معها الشق فابطأ عليهم .

فقال عمارة : والله لو كان صاحبكم حياً لقد خرج إليكم .  
فقالوا : إنه قد نهانا أن ندعوه باسمه قال : فقال : فادعوه باسمه - فوالله - لو كان صاحبكم حياً لقد خرج إليكم ، فدعوه باسمه فخرج إليهم برأسه .  
فقال : ألم أنهكم أن تدعوني باسمي - قد والله - قتلتهموني فادفنونني ، فإذا مرت بكم الحمر فيها حمار ابتر فانبشوني ، فإنكم ستجدوني حياً .  
فدفنوه فمرت بهم الحمر فيها حمار ابتر ، فقالوا : انبشوه فإنه أمرنا أن ننبشه .

فقال لهم عمارة : لا تحدث مضر اننا ننبش موتانا ، والله لا تنبشوه أبداً ، وقد كان خالد أخبرهم أن في عكن امرأته لوحين ، فإذا أشكل عليكم أمر فانظروا فيهما ، فإنكم سترون ما تساءلون عنه .

قال : لا تمسها حائض ، فلما رجعوا إلى امرأته سألوها عنهما فأخرجتهما وهي حائض ، فذهب ما كان فيهما من علم .

وقال أبو يونس : قال سماك بن حرب : سئل عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ذاك نبي أضاعه قومه ، وإن ابنه أتى النبي صلى الله عليه

وسلم فقال : مرحباً بابن أخي قال الحاكم : صحيح على شرط البخاري ،  
فإن أبا يونس هو حاتم بن أبي صغيرة ، وقال الذهبي منكر<sup>(١)</sup> .

وشرط البخاري في صحة الحديث من وجوه :

الأول : اتصال الحديث من غير انقطاع في رجال السند .

الثاني : عدالة الرواة .

الثالث : اتصاف الرواة بالضبط .

الرابع : خلو الحديث من العلة القادحة والشذوذ بمخالفة رواية أكثر  
عدداً منه وأشد ضبطاً .

وهذه الشروط يعتمدها في الحديث الصحيح كثير من علماء الرجال من  
المذاهب الإسلامية ، ومنها الإمامية .

### وفد بني فزارة

من معجزات وخصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم توالي  
الوفود عليه في السنة التاسعة للهجرة لدخول الإسلام ، وعددها نحو سبعين  
وفداً منها وفد بني فزارة عند رجوع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم  
من تبوك .

وبالإسناد (عن أبي وجزة السعدي قال: لما رجع رسول الله صلى الله  
عليه وسلم من تبوك - وكانت سنة تسع - قدم عليه وفد بني فزارة بضعة  
عشر رجلاً - فيهم خارجة بن حصن، والحر بن قيس - أو قيل الجد بن  
قيس - بن حصن - على ركاب عجاف، فجاءوا مقرين بالإسلام، وسألهم  
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بلادهم .

فقال أحده: يا رسول الله أسنت بلادنا، وهلكت مواشينا، وأجدب  
جنايبننا، وغرث عيائنا، فادع لنا ربك .

فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنبر، ودعا فقال : اللهم  
اسق بلادك وبهائمك، وانشر رحمتك، وأحي بلدك الميت، اللهم اسقنا غيثاً

مغيثاً مريئاً مريعاً مطبقاً واسعاً عاجلاً غير آجل نافعاً غير ضار، اللهم اسقنا سقياً رحمة لا سقياً عذاب ، ولا هدم ولا غرق ولا محق ، اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء.

فمطرت فما رأوا السماء ستاً ، فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنبر فدعا .

فقال : اللهم حوالينا ولا علينا ، على الأكام ، والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر

قال: فانجابت السماء عن المدينة انجياب الثوب<sup>(١)</sup>.

وانجياب السماء أي انقطع وتوقف المطر .

ذكر الواقدي أنهم قدموا سنة تسع مرجعه من تبوك وكانوا ثلاثة عشر رجلاً منهم الحارث بن عوف فأجازهم عليه السلام بعشر أواق من فضة وأعطى الحارث بن عوف ثنتي عشرة أوقية .

وذكروا أن بلادهم مجدبة فدعا لهم فقال : اللهم اسقهم الغيث.

فلما رجعوا إلى بلادهم وجدوها قد مطرت ذلك اليوم الذي دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

### وفد بني ثعلبة

(١) المنتظم لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن أبي الحسن القرشي (٥١٠-٥٩٧ هجرية) عرف بابن الجوزي نسبة لشجرة جوز كانت في داره ببلدة واسط ، لم تكن بالبلدة شجرة جوز سواها .

كان حنبلياً من غير تشدد ، وما كتبه (وكثر ضجيجي من مرضي وعجزت عن طب نفسي فلجأت إلى قبور الصالحين و توسلت في صلاحني فاجتذبني لطف مولاي بي إلى الخلوة على كراهة مني ورد قلبي علي بعد نفور مني وأراني عيب ما كنت أوثره) صيد الخاطر ١/٧٨.

وقال (أحمد القزويني كان، من الأولياء المحدثين، توفي في رمضان هذه السنة فشهده أمم لا تحصى، وقبره ظاهر يتبرك به في الطريق إلى معروف الكرخي) المنتظم ٥/٧٣.

قال الواقدي : حدثني موسى بن محمد بن إبراهيم عن رجل من بني ثعلبة عن أبيه قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الجعرانة سنة ثمان قدمنا عليه أربعة نفر فقلنا : نحن رسل من خلفنا من قومنا وهم يقرون بالإسلام فأمر لنا بضيافة و أقمنا أياما ثم جئناه لنودعه .

فقال لبلال : أجزهم كما تجيز الوفد فجاء ببقرة من فضة فأعطى كل رجل منا خمس أواق وقال : ليس عندنا دراهم ، وانصرفنا إلى بلادنا<sup>(١)</sup> .

والمراد من البقرة أعلاه هي قدر كبيرة واسعة سميت البقرة لسعتها وأنها تسع بقرة بتمامها لبيان كرم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ويدل إخبار الوفود عن إسلام من خلفهم من قومهم على انتشار الإسلام في الجزيرة من دون استعمال أو أثر للسيف .  
وفي كثرة الوفود التي قدمت إلى المدينة لدخول الإسلام في السنة التاسعة مسائل :

الأولى : إنها من المعجزات الغيرية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثانية : إنها شاهد على فضل الله بهداية الناس إلى الإسلام ، وفي التنزيل ﴿فَن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾<sup>(٢)</sup> .

الثالثة : هذه الوفود دليل على قانون لم يغز النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أحداً .

### **وفد بني تميم**

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ١٧٢/٤ .

(٢) سورة الأنعام ١٢٥ .

بأدر هؤلاء الرهط من تميم الذين منعوا الزكاة بالذهاب إلى رؤسائهم ،  
وبيان ما حلّ بهم وسبي رجال ونساء منهم وسببه .

فقدم إلى المدينة عشرة من رؤساء بني تميم منهم (عطارد بن حاجب  
والزبرقان ابن بدر وقيس بن عاصم والاقرع بن حابس وقيس بن الحارث  
ونعيم بن سعد وعمرو بن الاهتم ورباح بن الحارث بن مجاشع)<sup>(١)</sup> .  
وتوجهوا حال دخولهم المدينة إلى حيث دار رملة بنت الحارث محل  
إقامة الرجال والنساء والصبيان منهم ، فلما رأوا وفد الرؤساء بكت إليهم  
النساء والصبيان .

لقد حضر وفد وعددهم نحو سبعين رجلاً من أشرفهم ورؤسائهم في  
السنة التاسعة للهجرة والتي تسمى عام الوفود من أجل إطلاق سباياهم في  
سرية عيننة بن حصن ولكنهم اتخذوا من حضورهم في المدينة مناسبة  
للتفاخر .

وهل كان قصدهم التخويف والتحذير من التعرض لقبائلهم ورجالهم ،  
وإنذار المسلمين للتعرض لهم ولعوائلهم ، المختار نعم ، وهو من مصاديق  
صيرورة حلم وصبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن الشواهد  
على أنه لم يغز أحداً ، وقال تعالى ﴿ وَكَوُنْتُ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ  
فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ  
الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

والأصل أن يأتوا إلى النبي محمد بلغة الرجاء والتوسل لإطلاق سباياهم  
بعد ثبوت تعديهم وإدانتهم بمنع المسلمين من إخراج زكاتهم وأن النبي صلى  
الله عليه وآله وسلم لم يرسل سرية لقتالهم أو حجب الماء عنهم ، أو  
الإستيلاء على أموالهم .

(١) عيون الأثر ٢/٢٣٤ .

(٢) سورة آل عمران ١٥٩ .

إنما أرسل بشر بن سفيان لجمع مال الصدقة من قوم مسلمين ، وبعد أن رأوا سباياهم الذين استقبلوهم بالبكاء ، ورجاء السعي لفك أسرهم . ومع كثرة رجال وفد تميم فانهم لم يجرأوا على إخراج السبايا من بيت امرأة من الأنصار وهي رملة بنت الحارث ، وهو من آيات النبوة التي تجعل تفاخرهم بالنسب دونها .

ومع ندائهم وهم في المسجد على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو في حجرات أزواجه المجاورة للمسجد بالخروج إليهم باسمه المجرد (يا محمد اخرج إلينا)<sup>(١)</sup> لم يغضب النبي محمد ولم يشك إليهم أو إلى أزواجه أو إلى أصحابه تأذيه من هذا النداء قبل صلاة الظهر ، بل خرج إليهم ووقف معهم ، وأصغى إليهم .

ثم أدى صلاة الظهر جماعة ، وخلفه أصحابه من المهاجرين والأنصار ، وأكثر أعضاء وفد تميم لم يعهدوا حال الخشوع هذه والإنقياد والإمثال وهو مصداق لوجوب إقامة الصلاة والإمثال لقوله تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup> (٣) .

ليتبين لهم قبح محاربة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وانتفاء الموانع دون دخول الإسلام . وليبان أن وفود الناس على المدينة ورؤيتهم صلاة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه سبب للهداية ، ودرس في الإيمان ، ودعوة للصلاح .

(١) الشيخ الطوسي / التبيان في تفسير القرآن ٣٢٩/٩ .

(٢) سورة آل عمران ١٣٢ .

(٣) أنظر الجزء الثامن والتسعين من هذا السفر الذي يتضمن تفسير هذه الآية الكريمة .

وهل هو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ  
وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾<sup>(١)</sup>، الجواب نعم .

---

(١) سورة العنكبوت ٤٥.

## مفاخرة بني تميم

وبعد أن انصرف النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من صلاة الظهر جلس في المسجد النبوي ، فقال وفد تميم (يا مُحَمَّدُ جِئْنَاكَ نَفَاخِرُكَ)<sup>(١)</sup> .  
وبين لهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأن النبوة مرتبة سامية لا يصح التفاخر معها وأنه بعث بالقرآن ، ومع هذا أذن لهم بالفخار وذكر أمجادهم وسط المسجد النبوي ، وبحضور الصحابة .

(فَقَالَ عَطَّارِدُ بْنُ حَاجِبٍ ، فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ عَلَيْنَا الْفَضْلُ وَالْمَنْ وَهُوَ أَهْلُهُ الَّذِي جَعَلَنَا مَلُوكًا ، وَوَهَبَ لَنَا أَمْوَالًا عَظِيمًا ، نَفْعَلُ فِيهَا الْمَعْرُوفَ وَجَعَلَنَا أَعَزَّ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَأَكْثَرَهُ عَدَدًا ، وَأَيْسَرَهُ عُدَّةً فَمَنْ مِثْلُنَا فِي النَّاسِ ؟ أَلَسْنَا بِرُءُوسِ النَّاسِ وَأَوْلِي فَضْلِهِمْ .  
فَمَنْ فَاخِرْنَا فَلْيَعِدُّدْ مِثْلَ مَا عَدَدْنَا ، وَإِنَّا لَوِ نَشَاءُ لَأَكْثَرْنَا الْكَلَامَ وَلَكِنَّا نَحْيَا مِنَ الْإِكْثَارِ فِيمَا أُعْطَانَا ، وَإِنَّا نَعْرِفُ بِذَلِكَ .

أَقُولُ هَذَا لِأَن تَأْتُوا بِمِثْلِ قَوْلِنَا ، وَأَمْرٍ أَفْضَلَ مِنْ أَمْرِنَا ، ثُمَّ جَلَسَ)<sup>(٢)</sup> .  
(وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال جاء بنو تميم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشاعرهم وخطيبهم فنادوا على الباب اخرج إلينا فإن مدحنا زين وإن ذمنا شين .

فسمعهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخرج إليهم وهو يقول  
إنما ذاكم الله الذي مدحه زين وشتمه شين فماذا تريدون .  
فقالوا ناس من بني تميم جئناك بشاعرنا وخطيبنا لنشاعرك ونفاخرك فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما بالشعر بعثت ولا بالفخار أمرت ولكن هاتوا .

فقال الزبرقان بن بدر لشاب من شبابهم يا فلان قم فاذكر فضلك وفضل قومك فقال إن الحمد لله الذي جعلنا خير خلقه وأتانا أموالا نفعل

(١) الروض الأنف ٤/ ٣٣٦ .

(٢) الروض الأنف ٤/ ٣٣٦ .

فيها ما نشاء فنحن خير أهل الأرض أكثرهم مالا وأكثرهم عدة وأكثرهم سلاحاً فمن أبى علينا قولنا فليأتنا بقول هو أفضل من قولنا وفضل أفضل من فضلنا.

لقد أمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أحد أصحابه بالرد عليهم.

إن تفاخر القبائل بشأنها وقوتها وكثرة رجالها شاهد تاريخي على الإعجاز في رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بحمل هذه القبائل مجتمعة ومتفرقة على دخول الإسلام طوعاً وقهراً وانطباقاً .

وهو من أسرار إذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لخطبائهم وشعرائهم التغني بمجادهم في المسجد النبوي ، ولا تمر الأيام حتى يقفوا في صفوف صلاة الجماعة وهم يتلون القرآن.

### **الرد على مفاخرة بني تميم**

لم يغضب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بتباهي بني تميم بكثرتهم وأموالهم إنما أمر أحد أصحابه بالرد عليهم ، فجاء الرد بكلمات التوحيد ، وتعظيم شعائر الله والتفاخر بالإيمان ونصرة رسول الله ، وحال العز التي صار عليها المسلمون من غير أن يذكر مالا ومباهج الدنيا .

وختم كلمته بالإستغفار ، وتلك لغة سامية لم يعهدها وفد بني تميم حتى مع سبق وفادتهم على ملوك وأمراء زمانهم .

إذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لثابت بن قيس قم يا ثابت بن قيس فأجبهم فقال الحمد لله أحمده وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله دعا المهاجرين من بني عمه أحسن الناس وجوهاً وأعظم الناس أحلاماً فأجابوه.

الحمد لله الذي جعلنا أنصاره ووزراء رسوله وعزاً لدينه فنحن نقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله فمن قاله منع منا ماله ونفسه ومن أبى قاتلناه وكان رغمه علينا في الله هينا أقول قولتي هذا وأستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات.

فقال الأقرع بن حابس لشاب من شبابهم قم يا فلان فقل أبياتا تذكر فيها فضلك وفضل قومك فقال :

نحن الكرام فلا حي يعادلنا ... نحن الرؤوس وفينا يقسم الربيع  
ونطعم الناس عند القحط كلهم ... من السويق إذا لم يؤنس القرع  
إذا أئينا فلا يأبى لنا أحد ... إنا كذلك عند الفخر نرتفع<sup>(١)</sup>.

### شعر حسان رداً على بني تميم

ولما صار التفاخر بالشعر طلب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم شاعره حسان بن ثابت ، وكان حسان قد صلى خلف النبي محمد صلاة الظهر وانصرف إلى بيته ، فتساءل ماذا يريد مني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنما كنت عنده أنفأ .

قال له الرسول (جاءت بنو تميم بشاعرهم وخطيبهم فتكلم خطيبهم فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثابت بن قيس بن شماس فأجابه وتكلم شاعرهم فبعث إليك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتجيبه ، فقال حسان قد آن لكم أن تبعثوا إلى هذا العود)<sup>(٢)</sup>.

ولما دخل حسان المسجد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا حسان أجبه ، فقال : يارسول الله مره لأسمع ما قال ، فاعاد شاعرهم ما قال من الشعر .

فقال حسان : من الطويل :

(نصرنا رسول الله والدين عنوة ... على رغم عات من معد وحاضر  
بضرب كإيزاغ المخاض مشاشه ... وطعن كأفواه اللقاح الصوادر  
وسل أحداً يوم استقلت شعابه ... بضرب لنا مثل الليوث الحوادر  
ألسنا نخوض الموت في حومة الوغى ... إذا طاب ورد الموت بين العساكر  
ونضرب هام الدارعين وننتمي ... إلى حسب في جدم غسان قاهر

(١) تاريخ دمشق ٩/ ١٨٨ .

(٢) تاريخ دمشق ٩/ ١٨٩ .

فلولا حياء الله قلنا تكراً... على الناس بالخفين هل من منافق؟  
فأحياناً من خير من طئ الحصى... وأمواتنا من خير أهل المقابر<sup>(١)</sup>.  
ثم قام الأقرع بن حابس، وسأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن  
يأذن له بالشعر فأذن له، فأمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حسان  
بن ثابت أن يهجيه.

### إسلام وفد بني تميم

لقد أقر الأقرع بن حابس بأن خطيب النبي محمد صلى الله عليه وآله  
وسلم أحسن من خطيبهم، وشاعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحسن  
قولاً وأعلى صوتاً من شاعرنا.

(ثم دنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله  
أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، وآمن هو وأصحابه.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا يضرك ما كان قبل هذا  
اليوم.

ولما قدم وفد بني تميم على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم  
قال أبو بكر: يا رسول الله استعمل عليهم القعقاع بن زرارة فإنه سيد القوم  
وأفضلهم.

فقال عمر: يا رسول الله استعمل عليهم الأقرع بن حابس فإنه سيد  
القوم وأفضلهم.

فقال أبو بكر: والله ما أردت بهذا إلا خلافي، قال: ما أردت خلافاً  
ولكني رأيت ذلك.

قال: فتمارياً في ذلك حتى ارتفعت أصواتهما، فأنزل الله تعالى هاتين  
الآيتين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْهِ وَاللَّهُ رَاسُ الْوَجْهِ﴾<sup>(٢)</sup> إلى قوله ﴿لَا  
تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾<sup>(١)</sup> (الآية كلها)<sup>(٣)</sup>.

(١) مختصر تاريخ دمشق ١٠٦/٢.

(٢) سورة الحجرات ١.

وأطلق النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لهم سبايا بني تميم في ذات اليوم .

لقد كان هذا السبي سبباً لمجيئ وفد بني تميم ، وأصرروا على المفاخرة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، ولكنهم لم يغادروا المسجد حتى دخلوا الإسلام ونطقوا بالشهادتين ، وهو من معجزات وخصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتجلي الآيات لعامة الناس على صدق نبوته .

### نزول آية الحجرات

بعد أن استمع رؤساء تميم إلى السبايا منهم توجهوا إلى باب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم واتفق أن كان وقت قيلولة ، وكانت القيلولة عند العرب قبل صلاة الظهر ، ونادوا بصوت عال : يا محمد أخرج إلينا ، ولم يغضب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لمناداتهم له باسمه ، فخرج لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يخش منهم مع أنهم كفار ، فتعلقوا به .

وفيه شاهد بعدم وجود حراس في باب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وليس من حاجب يحجب الناس عنه ويستلزم طلب الإذن منه في وقت مخصوص .

وجعلوا يكلمونه ويسألونه أطلاق هؤلاء السبايا ، فوقف معهم وأنصت لكلامهم ، ثم مضى لأداء الصلاة فرأى رؤساء تميم حال الخشوع وانظمة الطاعة لله ورسوله ، وصلاة الجماعة في المسجد النبوي ، واستمعوا طوعاً وقهراً وانطباقاً لآيات وسور القرآن ، ومن الإعجاز في الصلاة ان الذي يرى المسلمين يؤدونها جماعة يتمنى أن يكون معهم وفيها طمأنينة لمن يؤديها

(١) سورة الحجرات ٢ .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ١٠٦/٢ .

ومن ينظر إليها أو يسمع بها ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾<sup>(١)</sup>.

وعند انقضاء الصلاة جلس في المسجد ، فظاهر بنو تميم رغبتهم في المفاخرة والمباهاة ، وبيان أنهم يستحقون استجابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مسألتهم والخشية من جانبهم ، وذكروا أمجادهم للإشارة إلى إجتناب التعرض لهم .

(عن ابن عباس قال : قدم وفد بني تميم وهم سبعون رجلاً أو ثمانون رجلاً منهم الزبرقان بن بدر وعطار بن معبد وقيس بن عاصم وقيس بن الحارث وعمرو بن أهتم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فانطلق معهم عيينة بن حصن بن بدر الفزاري وكان يكون في كل سدة حتى أتوا منزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فنادوه من وراء الحجرات بصوت جافٍ يا محمد أخرج إلينا يا محمد أخرج إلينا يا محمد أخرج إلينا ، فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فقالوا : يا محمد إن مدحنا زين وإن شتمنا شين ، نحن أكرم العرب . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كذبتم بل مدحة الله الزين وشتمه الشين وأكرم منكم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم . فقالوا : إنا أتيناك لنفاخرك ، فذكره بطوله وقال في آخره : فقام التميميون ، فقالوا : والله إن هذا الرجل لمصنوع له ، لقد قام خطيبه فكان أخطب من خطيبنا .

وقال شاعره فكان أشعر من شاعرنا قال : ففيهم أنزل الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾<sup>(٢)</sup> من بني تميم ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ قال

(١) سورة الرعد ٢٨ .

(٢) سورة الحجرات ٤ .

: هذا كان في القراءة الأولى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ  
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> (٢).

وكان عيِّنة قد أسلم بعد فتح مكة ، وقيل قبله ، ولقد أكرمه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في إرساله على رأس سرية ، ولكنه ارتد عن الإسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولحق بطليحة بن خويلد الذي تنبأ ، ولما أنهزم طليحة جيئ عيِّنة بن حصن إلى المدينة في وثاق يده مجموعة إلى عنقه بجبل هو وقره بن هبيرة ، قال ابن عباس (فنظرت إلى عيِّنة مجموعة يده إلى عنقه بجبل ينخسه غلمان المدينة بالجريد ويضربونه ويقولون أي عدو الله أكفرت بالله بعد إيمانك .

فيقول والله ما كنت آمنت بالله .

قالوا ووقف عليه عبد الله بن مسعود فقال خبت وخسرت إنك لموضع في الباطل قديما ، فقال له عيِّنة أقصر أيها الرجل فلولا ما أنا فيه لم تكلمني بما تكلمني به فانصرف ابن مسعود)<sup>(٣)</sup>.

وكلمه أبو بكر فرجع إلى الإسلام ، فقبل منه وعفا عنه ، وكتب له أماناً ، ثم تزوج عثمان ابنته ، ودخل على عثمان أيام خلافته من غير إذن ، فعاتبه عثمان .

(فقال : ما كنت أرى أنني أحجب عن رجل من مضر، فقال عثمان: أدن فأصب من العشاء، قال: إني صائم، قال: تصوم ليلاً ، قال : إني وجدت صوم الليل أيسر علي)<sup>(٤)</sup>.

رواه المدائني عن عبد الله بن فاقد ، وقوله (وجدت صوم الليل أيسر علي) بعيد ولم يثبت والإختيار أنه لم ينطق بهذه الكلمات .

(١) سورة الحجرات ٥.

(٢) الدر المنثور ٩/٢٤٥.

(٣) الإكتفاء بما تضمن من مغازي رسول الله (ص) ٣/١٢.

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي ١/٤٢٧.

وأصيب عِيْنَةٌ بالعمى أيام عثمان<sup>(١)</sup>.

### وفد بني محارب

قال الواقدي : حدثني محمد بن صالح عن أبي وجزة السعدي قال : قدم وفد محارب سنة عشر في حجة الوداع وهم عشرة نفر فيهم سواء بن الحارث وابنه خزيمه بن سواء فأنزلوا دار رملة بنت الحارث وكان بلال يأتيهم بغداء وعشاء فأسلموا وقالوا : نحن على من وراءنا .

ولم يكن أحد في تلك المواسم أفظ ولا أغلظ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم .

وكان في الوفد رجل منهم فعرفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : الحمد لله الذي أبقاني حتى صدقت بك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن هذه القلوب بيد الله عز وجل .

وكان بنو محارب ممن يرد بغلظة وقسوة على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في سوق عكاظ قبل الهجرة عندما كان يدعوهم للإسلام ، لبيان مجيئهم إلى المدينة مسلمين من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الغيرية وصبره ، والشواهد على دخول الناس الإسلام طواعية وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ \* وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومسح رسول الله وجهه وخزيمه بن سواء فصارت غرة بيضاء وأجازهم كما يجيز الوفد وانصرفوا إلى بلادهم .

ذكر الواقدي : أنهم قدموا سنة تسع وهم ثلاثة عشر رجلا فيهم ليبيد بن ربيعة الشاعر وجبار بن سلمى وكان بينه وبين كعب بن مالك خلة فرحب به وأكرمه وأهدى إليه وجاءوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسلموا عليه بسلام الإسلام وذكروا له أن الضحاك بن سفيان

(١) أنظر الذهبي / تاريخ الإسلام ٤٢٧/١.

(٢) سورة النصر ١-٢.

الكلابي سار فيهم بكتاب الله و سنة رسوله التي أمره الله بها ودعاهم إلى الله فاستجابوا له وأخذ صدقاتهم من أغنيائهم فصرفوها على فقرائهم.

### وفد بني رؤاس

وذكر الواقدي : أن رجلا يقال له عمرو بن مالك بن قيس بن بجيد بن رؤاس بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأسلم ثم رجع إلى قومه فدعاهم إلى الله فقالوا : حتى نصيب من بني عقيل مثل ما أصابوا منا .

فذكر مقتلة كانت بينهم و أن عمرو بن مالك هذا قتل رجلا من بني عقيل قال : فشدت يدي في غل و أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و بلغه ما صنعت فقال : لئن أتاني لأضربن ما فوق الغل من يده . فلما جئت سلمت فلم يرد علي السلام و أعرض عني فأتيته عن يمينه فأعرض عني فأتيته عن يساره فأعرض عني فأتيته من قبل وجهه فقلت : يا رسول الله إن الرب عز و جل ليرتضي فيرضى فارض عني رضى الله عنك قال : قد رضيت .

ذكر الواقدي : أنهم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأقطعهم العقيق - عقيق بني عقيل - و هي أرض فيها نخيل و عيون و كتب بذلك كتابا : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى محمد رسول الله ربيعا و مطرفا و أنسا أعطاهم العقيق ما أقاموا الصلاة و أتوا الزكاة و سمعوا و أطاعوا و لم يعطهم حقا لمسلم ، فكان الكتاب في يد مطرف<sup>(١)</sup>.

أي أن هذه الهبة النبوية مشروطة بأداء الفرائض العبادية والسمع والطاعة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأولي الأمر من بعده ، وهل في هذا الشرط لزوم الثبات على الإسلام وعدم الإرتداد عند مغادرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى ، الجواب نعم .

(١) ابن سعد / الطبقات الكبرى ٣٠٢/١ .

## لقيط بن عامر

لقد قدم على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لقيط بن عامر بن المنتفق بن عامر بن عقيل وهو أبو رزين فأعطاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ماء يقال له التنظيم وبايعه على قومه .

وذلك قبل حجة الوداع وقبل حين لبيان مسألة وهي مبايعة الواصل عن نفسه وعن قومه الذين خلفه ، والظاهر أنهم خولوه مبايعة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نيابة عنهم .

وهل تحمل هذه الحال التعدد ، الجواب نعم .

وهل يحتسب الذين بايع وافدهم عنهم باذن منهم من صحابة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإن لم يروه أم تشترط الرؤية ، المختار هو الثاني ، وذكر لقيط من أصحابه الذين يبايع نيابة عنهم قره بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخير بن قشير فأسلم فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكساه بردا وأمره أن يلي صدقات قومه فقال قره حين رجع ( جباها رسول الله إذ نزلت به ... وأمكنها من نائل غير منفذ فأضحت بروض الخضر وهي حثيثة ... وقد أنجحت حاجاتها من محمد عليها فتى لا يردف الدم رحله ... تروك لأمر العاجز المتردد)<sup>(١)</sup>.

## وفد بني البكاء

ذكر أنهم قدموا سنة تسع وأنهم كانوا ثلاثين رجلا<sup>(٢)</sup> فيهم معاوية بن بن معاوية بن عبادة بن البكاء وهو يومئذ ابن مائة سنة ومعه ابن له يقال له بشر .

(والفجيع بن عبد الله بن جندح بن البكاء، ومعهم عبد عمرو البكائي، وهو الأصم، فأمر لهم رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، بمنزل وضيافة، وأجازهم ورجعوا إلى قومهم .

(١) ابن سعد / الطبقات الكبرى ١/ ٣٠٣ .

(٢) البداية والنهاية ٥/ ٩٠ .

وقال معاوية للنبي : يا رسول الله إني أتبرك بمسك وقد كبرت وابني هذا بر بي فامسح وجهه .

فمسح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجهه وأعطاه أعنزا عفرا وبرك عليهن<sup>(١)</sup> فكانوا لا يصيبهم بعد ذلك قحط ولا سنة .  
وقال محمد بن بشر بن معاوية في ذلك :

(وأبي الذي مسح الرسول برأسه ... ودعا له بالخير والبركات  
أعطاه أحمد إذ أتاه أعنزا ... عفراً نواجل ليس باللجبات  
يملاّن وفد الحي كل عشية ... وبعود ذاك الملاء بالغدوات  
بوركن من منح وبورك مانحاً ... وعليه مني ما حييت صلاتي)<sup>(٢)</sup>.

### قدوم وائلة بن الأسقع

روى الواقدي بأسانيدِهِ : أن وائلة بن الأسقع الليثي قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يتجهز إلى تبوك فصلى معه الصبح ثم رجع إلى قومه فدعاهم ، وأخبرهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أبوه والله لا أحملك أبدا .

وسمعت أخته كلامه فأسلمت وجهازته حتى سار مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى تبوك وهو راكب على بعير لكعب بن عجرة .  
وبعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع خالد إلى أكيدر دومة فلما رجعوا عرض وائلة على كعب بن عجرة ما كان شارطه عليه من سهمه من الغنيمة فقال له كعب : إنما حملتك لله عز وجل .

أي اشترط أن يعطيه شطراً من سهمه ، ولكن كعب بن عجرة أبى أن يأخذ شيئاً ، وقال إنما حملتك على بعيري قرابة إلى الله عز وجل ، لبيان أنه لما امتنع والد وائلة عن إعطائه بعيراً يركبه في المسير الطويل إلى تبوك مع

(١) أي دعا عليهن بالبركة ليتجلى الإعجاز في دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالبركة كل سنة .

(٢) ابن سعد / الطبقات الكبرى / ٣٠٤/١ .

شدة الحر لم يقعد وائلة بل توكل على الله عز وجل فرزقه الله الركوب من غير عوض .

### وفد أشجع

ذكر الواقدي : أنهم قدموا عام الخندق وهم مائة رجل ، ورئيسهم مسعود بن ربيعة فنزلوا شعب سلع .

فخرج إليهم رسول الله وأمر لهم بأحمال التمر ويقال : بل قدموا بعدما فرغ من بني قريظة و كانوا سبعمائة رجل .

ومع أنهم لم يأتوا لدخول الإسلام إنما جاءوا للموادعة وعقد معاهدة مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعدم قتاله ، فقد خرج إليهم إلى أطراف المدينة من غير خشية من الإغتيال ، وأغدق عليهم بأحمال التمر وحسن الضيافة وهو من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحسن توكله على الله ومن مصاديق قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

(فقالوا: يا محمد لا نعلم أحداً من قومنا أقرب داراً منك منا، ولا أقل عدداً، وقد ضيقنا بحربك وبحرب قومك)<sup>(٢)</sup>.

فودعاهم ورجعوا ثم أسلموا بعد ذلك)<sup>(٣)</sup>. فلم تمر الأيام إلا وجاوا المدينة مرة أخرى ليدخلوا الإسلام طواعية ، وهل مجيئهم للموادعة ثم رجوعهم إلي المدينة لدخول الإسلام من مصاديق ﴿وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾<sup>(٤)</sup>، الجواب نعم .

(١) سورة القلم ٤.

(٢) ابن سعد / الطبقات الكبرى ٣٠٦/١ .

(٣) البداية والنهاية ٩١/٥ .

(٤) سورة الأحزاب ٢٥ .

### وفد باهلة

باهلة اسم قبيلة من القبائل العربية القديمة وحافظت على اسمها إلى الآن ، وباهلة في الأصل اسم امرأة .

(وقيل : ان باهله امرأة، بنت صعب بن سعد العشيرة، أخت بجيلة بن مذحج، ولدت لمعن بن مالك بن يعصر، فنسب ولدها إليها)<sup>(١)</sup>.  
وكان عدد من القبائل تنسب إلى أمهاتها مثل بجيلة ، ومزينة ، وجديلة ، وعادية .

قالوا وكتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى مطرف بن الكاهن (كتاباً فيه فرائض الصدقات، ثم قدم نهشل بن مالك الوائلي من باهلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وافداً لقومه فأسلم، وكتب له رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ولن أسلم من قومه كتاباً فيه شرائع الإسلام، وكتبه عثمان بن عفان)<sup>(٢)</sup>.

قدم رئيسهم مطرف بن الكاهن بعد الفتح فأسلم وأخذ لقومه أماناً وكتب له النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كتاباً فيه الفرائض وشرائع الإسلام كتبه عثمان بن عفان .

ومن باهلة الصحابي أبو أمامة صدى بن عجلان.

### وفد بني سليم

قد يأتي شخص واحد من قبيلة إلى المدينة للقاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويكون وافد قومه ، ويدخل الإسلام ليتبعه قومه لما يرون من الحجّة والبرهان على صدق رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما في زيد الخليل الطائي وافد طيئ ، وسمي زيد الخليل ، لخمسة أفراد كن له .

وفروة بن مسيلك المرادي وافد بني مراد .

(١) الإنباه على قبائل الرواة ١٦/١ .

(٢) ابن سعد / الطبقات الكبرى ٢٨٤/١ .

وضمام بن ثعلبة وافد بني سعد بن بكر.  
وقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجل من بني سليم  
يقال له قيس بن نشبة فسمع كلامه وسأله عن أشياء فأجابه ووعد ذلك كله  
ودعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإسلام فأسلم .  
أي أنه دخل المدينة وهو كافر ، وانصت لما يقول النبي محمد صلى الله  
عليه وآله وسلم ثم قام بسؤال النبي عن أمور ، فأجابه وأدرك أن هذه  
الإجابات شعبة من الوحي ، حينئذ دعاه النبي محمد للإسلام فأسلم .  
ورجع إلى قومه من بني سليم فقال : قد سمعت ترجمة الروم وهينمة<sup>(١)</sup>  
فارس وأشعار العرب وكهانة الكهان وكلام مقاول حمير<sup>(٢)</sup> فما يشبه كلام  
محمد شيئاً من كلامهم فأطيعوني وخذوا بنصيحتكم منه .  
فلما كان عام الفتح خرجت بنو سليم فلقوا رسول الله صلى الله عليه  
وآله وسلم بقديد وهم سبعمائة ويقال : كانوا ألفاً وفيهم العباس بن مرداس  
وجماعة من أعيانهم فأسلموا وقالوا : اجعلنا في مقدمتك واجعل لواءنا  
أحمر وشعارنا مقدما ففعل ذلك بهم فشهدوا معه الفتح والطائف وحنينا .  
وقد كان راشد بن عبد ربه السلمي يعبد صنما فرآه يوماً وثعلبان يبولان  
عليه فقال :

أرب يبول الثعلبان برأسه ... لقد ذل من بالث عليه الثعالب  
ثم شد عليه فكسره ثم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم  
فأسلم وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما اسمك ، قال :  
غاوي بن عبد العزى .  
فقال : بل أنت راشد بن عبد ربه ، وأقطعه موضعاً يقال له رهاط فيه  
عين تجري يقال لها عين الرسول وقال : هو خير بني سليم وعقد له على  
قومه وشهد الفتح وما بعدها .

(١) الهينمة : الصوت الخفي .

(٢) مقاول حمير : أي ملوك وأمراء حمير دون الملك الأعظم في اليمن القديم وكذا  
أقبال اليمن .

## وفد بني هلال

كان جمع من بني هلال قد انضموا إلى هوازن وثقيف في معركة حنين ليأتوا في السنة التاسعة مسلمين .

ذكر في وفدهم : عبد عوف بن أصرم فأسلم و سماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله وقبيصة بن مخارق الذي له حديث في الصدقات<sup>(١)</sup>.

وذكر في وفد بني هلال زياد بن عبد الله بن مالك بن بجير بن الهدم بن روية بن عبد الله بن هلال بن عامر فلما دخل المدينة يم منزل خالته ميمونة بنت الحارث فدخل عليها .

فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منزله رآه فغضب و رجع فقالت : يا رسول الله إنه ابن أختي فدخل ثم خرج إلى المسجد ومعه زياد فصلى الظهر ثم أدنى زيادا فدعا له و وضع يده على رأسه ثم حدرها على طرف أنفه فكانت بنو هلال تقول : مازلنا نتعرف البركة في وجه زياد . وقال الشاعر لعلي بن زياد :

يا بن الذي مسح الرسول برأسه ... و دعا له بالخير عند المسجد

أعني زيادا لا أريد سواه ... من عابر أو متهم أو منجد

ما زال ذاك النور في عرنيه ... حتى تبوأ بيته في ملحد

ذكر الواقدي : أنهم لما قدموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قس بن ساعدة : فقال : ليس ذاك منكم ذاك رجل من إياد تحنف في الجاهلية فوافى عكاظ و الناس مجتمعون فكلهم بكلامه الذي حفظ عنه قال : وكان في الوفد بشير بن الخصاصية و عبد الله بن مرثد و حسان بن خوط فقال رجل من ولد حسان :

أنا ابن حسان بن خوط و أبي ... رسول بكر كلها إلى النبي

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٤/ ١٧٧.

ذكر أنهم كانوا ستة عشر رجلا مسلمين و نصارى عليهم صلب الذهب  
فنزّلوا دار رملة بنت الحارث

فصالح رسول الله صلى الله عليه و سلم النصرارى على أن لا يصبغوا  
أولادهم في النصرانية و أجاز المسلمين منهم.

ذكر الواقدي : أنهم قدموا سنة تسع و أنهم كانوا ثلاثة عشر رجلا  
فأجازهم أكثر مما أجاز غيرهم و أن غلاما منهم قال له رسول الله صلى الله  
عليه وآله وسلم : ما حاجتك ، فقال : يا رسول الله ادع الله يغفر لي  
ويرحمني و يجعل غنائي في قلبي .

فقال : اللهم اغفر له و ارحمه و اجعل غناه في قلبه .

فكان بعد ذلك من أزهد الناس ، ذكر أنهم كانوا عشرة و أنهم قدموا في  
شعبان سنة عشر .

وسألهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن صنمهم الذي كان  
يقال له عم أنس فقالوا أبدلنا به خيرا منه و لو قد رجعنا لهدمناه

وتعلموا القرآن والسنن فلما رجعوا هدموا الصنم و أحلوا ما أحل الله  
و حرموا ما حرم الله ، وفي التنزيل ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ

يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

ذكر أنهم كانوا يجرمون أكل القلب فلما أسلم و فدهم أمرهم رسول الله  
صلى الله عليه و سلم بأكل القلب و أمكر به فشوى و ناوله رئيسهم وقال :

لا يتم إيمانكم حتى تأكلوه فأخذه و يده ترعد فأكله و قال :

على أنني أكلت القلب كرها ... و ترعد حين مسته بناني<sup>(٢)</sup>.

### محاورة وفد الأزد

(١) سورة يونس ٢٥.

(٢) ابن كثير / السيرة النبوية ١٧٩/٤ .

قبيلة الأزد قحطانية يمانية ، نزحت من مأرب عندما تصدع السد ، وقبيل خرابه قبل نحو خمسمائة سنة من الميلاد ، وتفرقت في المدينة (يثرب) وعمان والشام ، ومن فروعها خزاعة ، الأوس ، الخزرج ، غسان ، بارق .  
(وكان أنس يقول: إن لم نكن من الأزد فلسنا من الناس) (١).

وقد وفد رهط من الأزد على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ ذكر أبو نعيم في كتاب معرفة الصحابة والحافظ أبو موسى المديني من حديث أحمد بن أبي الحواري قال سمعت أبا سليمان الداراني قال : حدثني علقمة بن يزيد بن سويد الأزدي قال : حدثني أبي عن جدي عن سويد بن الحارث قال : وفدت سبع سبعة من قومي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما دخلنا عليه وكلمناه فأعجبه ما رأى من سمنا وزينا فقال : ما أنتم ، قلنا مؤمنون .

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : إن لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وإيمانكم .

قلنا : خمس عشرة خصلة خمس منها أمرتنا بها رسلك أن تؤمن بها وخمس أمرتنا أن نعمل بها وخمس تخلقنا بها في الجاهلية فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما الخمسة التي أمرتكم بها رسلي أن تؤمنوا بها .

قلنا : أمرتنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله وبعث بعد الموت قال : وما الخمسة التي أمرتكم أن تعملوا بها ؟ قلنا : أمرتنا أن نقول : لا إله إلا الله ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت من استطاع إليه سبيلا .

(١) العسقلاني / تبصير المنتبه ١٠/١ .

فقال : وما الخمسة الذي تخلقتم بها في الجاهلية ، قلنا : الشكر عند الرخاء ، والصبر عند البلاء ، والرضى بمر القضاء ، والصدق في مواطن اللقاء وترك الشماتة بالأعداء .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء

ثم قال : وأنا أزيدكم خمسا فيتم لكم عشرون خصلة إن كنتم كما تقولون فلا تجمعوا ما لا تأكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه غدا تزولون وانقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تعرضون وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون.

فانصرف القوم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظوا وصيته وعملوا بها .

### وفد كندة

ذكر أن وفد كندة كانوا بضعة عشر راكبا عليهم الأشعث بن قيس وأجازهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعشر أواق وأجاز الأشعث ثنتي عشرة أوقية .

قدموا في بضعة عشر راكبا فصادفوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطب على المنبر فجلسوا ولم يسلموا فقال : أمسلمون أنتم . قالوا : نعم قال : فهلا سلمتم .

فقاموا قياما فقالوا : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فقال : وعليكم السلام اجلسوا .

فجلسوا وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أوقات الصلوات .

(وقال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الأشعث بن قيس ، في وفد كندة ، فحدثني الزهري بن شهاب أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثمانين راكبا من كندة .

فَدَخَلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَسْجِدَهُ وَقَدْ رَجَلُوا جُمَّهُمْ وَتَكَحَّلُوا ، وَعَلَيْهِمْ جِيبُ الْحَبْرَةِ وَقَدْ كَفَّفُوهَا بِالْحَرِيرِ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَلَمْ تُسَلِّمُوا .  
قَالُوا : بَلَى ، قَالَ فَمَا بَالُ هَذَا الْحَرِيرِ فِي أَعْنَاقِكُمْ ؛ قَالَ فَشَقَّوهُ مِنْهَا ، فَالْقَوَّةُ .

ثُمَّ قَالَ لَهُ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ نَحْنُ بَنُو أَكْلِ الْمُرَارِ ، وَأَنْتَ ابْنُ أَكْلِ الْمُرَارِ قَالَ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ نَاسَبُوا بِهَذَا النَّسَبِ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَرَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَكَانَ الْعَبَّاسُ وَرَبِيعَةُ رَجُلَيْنِ تَاجِرَيْنِ وَكَانَا إِذَا شَاعَا فِي بَعْضِ الْعَرَبِ ، فَسُئِلَا مِمَّنْ هُمَا .

قَالَا : نَحْنُ بَنُو أَكْلِ الْمُرَارِ ، يَتَعَزَّزَانِ بِذَلِكَ وَذَلِكَ أَنْ كُنْدَةَ كَانُوا مُلُوكًا .  
ثُمَّ قَالَ لَهُمْ لَأَ ، بَلْ نَحْنُ بَنُو النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ ، لَأَ نَقَفُوا أَمْنَا ، وَلَا نَنْتَفِي مِنْ أَيْبِنَا .

فَقَالَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ : هَلْ فَرَعْتُمْ يَا مَعْشَرَ كِنْدَةَ ؟ وَاللَّهِ لَأَ أَسْمَعُ رَجُلًا يَقُولُهَا إِلَّا ضَرَبْتَهُ ثَمَانِي .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ مِنْ وَلَدِ أَكْلِ الْمُرَارِ مِنْ قَبْلِ النِّسَاءِ<sup>(١)</sup> .

### أَبُو ثَعْلَبَةَ الْخُسْنِي

(قدم أبو ثعلبة الخسني على رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، وهو يتجهز إلى خيبر فأسلم وخرج معه فشهد خيبر).

وقيل بايع بيعة الرضوان، واختلف في اسمه وقيل جرثوم بن ناشر.  
(ثم قدم بعد ذلك سبعة نفر من خشين فنزلوا على أبي ثعلبة فأسلموا وبايعوا ورجعوا إلى قومهم)<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ٥٨٥/٢ .

(٢) ابن سعد / الطبقات الكبرى ٣٢٩/١ .

و(عن أبي عن أبي ثعلبة قال قلت يا رسول الله مات لي ولدان في الإسلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من مات له ولدان في الإسلام أدخله الله بفضل رحمته إياهم الجنة)<sup>(١)</sup>.

و(عن أبي قلابة عن أبي ثعلبة الخشني أنه أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : يا رسول الله أكتب لي بأرض قال أكتب لك بأرض الشام أو بالروم قال يا نبي الله والذي بعثك بالحق لتملكن ما تحت أقدامهم . فأعجب ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجعل ينظر إلى الصحابة أي انظروا ما يقول أبو ثعلبة .

قال فكتب له بها كتابا قال قلت يا رسول الله أنا بأرض صيد فماذا يحل لنا من ذلك وما يحرم علينا .

قال نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم : إذا أرسلت كلبك المعلم أو المكلب شك سعيد وذكرت اسم الله عليه فأخذ أو قتل فكل وإذا أرسلت كلبك الذي ليس بمعلم فما أدركت ذكاته فكل وما لم تدرك ذكاته فلا تأكل وما رد سهمك فكل .

قال قلت يا رسول الله أنا بأرض أهلها أهل الكتاب وإنما نحتاج إلى قدورهم وأنيتهم قال فلا تقربوها ما وجدتم بدا فإن لم تجدوا بدا فاغسلوها بالماء ثم اطبخوا واشربوا)<sup>(٢)</sup>.

وكان أبو ثعلبة (يقول إنني لأرجو أن لا يخنقني الله عز وجل كما أراكم تخنقون عند الموت قال فبينما هو يصلي في جوف الليل قبض وهو ساجد فرأت ابنته أن أباه قد مات فاستيقظت فزعة فنادت أمها أين أبي قالت قي مصلاه فنادته فلم يجيبها فأنبهته فوجدته ساجدا فحركته فوق جنبه ميتا)<sup>(٣)</sup>.  
ليبان الدعاء لليسر في قبض الروح والذي يدل على الاستعداد للموت .

(١) تاريخ دمشق ١٠٠/٦٦ .

(٢) تاريخ دمشق ١٠١/٦٦ .

(٣) تاريخ دمشق ١٠٤/٦٦ .

## وفود متعددة

لقد قدم إلى المدينة وفد بني سعد هذيم و بلي و بهراء و بني عذرة و سلامان و جهينة و بني كلب و الجرهمين .

و وفد الأزد و وفد غسان و الحارث بن كعب و همدان و سعد العشيرة و عيس و وفد الداريين و الرهاويين و بني غامد و النخع و بجيلة و خثعم و حضرموت ، و ذكر فيهم وائل بن حجر ، و ذكر فيهم الملوك الأربعة جمدا و مخوسا و مشرحا و أبضعة .

سميوا الملوك الأربعة لأنه كان لكل واحد منهم واد يملكه .

وفدوا على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأسلموا قيل و فدوا مع الأشعث بن قيس (فأسلموا، ثم ارتدوا فقتلوا يوم النجير، وكان لكل رجل منهم واد يملكه، فسموا بذلك الملوك الأربعة وقيل فيهم: يا عين بكى للملوك الأربعة ... جمد و مخوس و مشرح و أبضعة)<sup>(١)</sup>.

## وفد بني سعد بن بكر

ليس من حصر و تعيين في عدد أعضاء الوفد الذي يأتي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد يكون الوفد فرداً واحداً ، كما في وفد بني سعد بن بكر إذ بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً منهم يقال له ضمّام بن ثعلبة .

وكانت العرب تبعث من تراه حكيماً فاهماً يحسن الكلام و الجواب ، خاصة في مسألة تصديق رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .  
(وَبَعَثَتْ بَنُو سَعْدِ بْنِ بَكْرِ ضَمَّامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ وَأَفْدَأَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدِمَ عَلَيْهِ وَأَنَاخَ بَعِيرَهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ .  
وَكَانَ ضَمَّامٌ رَجُلًا جَلْدًا أَشْعَرَ ذَا غَدِيرَتَيْنِ فَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَصْحَابِهِ فَقَالَ أَيُّكُمْ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ .

(١) تاريخ المدينة المنورة ١/٣٦٩ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . قَالَ مُحَمَّدٌ ؟ قَالَ نَعَمْ قَالَ يَا بَنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، إِنِّي سَأَلْتُكَ وَمَغْلَظٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ فَلَا تَجِدَنِي فِي نَفْسِكَ ، قَالَ لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي ، فَسَلْ عَمَّا بَدَأَ لَكَ . قَالَ أَنَشُدُّكَ اللَّهَ إِلَهَكَ وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ ، وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكَ ، اللَّهُ بَعَثَكَ إِلَيْنَا رَسُولًا .

قَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ فَأَنشُدُّكَ اللَّهَ إِلَهَكَ وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ ، وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكَ ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْمُرَنَا أَنْ نَعْبُدَهُ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْ نَخْلَعَ هَذِهِ الْأَنْدَادَ الَّتِي كَانَ آبَاؤُنَا يَعْبُدُونَ مَعَهُ .

قَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ فَأَنشُدُّكَ اللَّهَ إِلَهَكَ وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ ، وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكَ ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ هَذِهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ ؟ قَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ ثُمَّ جَعَلَ يَذْكُرُ فَرَائِضَ الْإِسْلَامِ فَرِيضَةً فَرِيضَةً . الزَّكَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْحَجَّ وَشَرَائِعَ الْإِسْلَامِ كُلِّهَا ، يَنْشُدُهُ عِنْدَ كُلِّ فَرِيضَةٍ مِنْهَا كَمَا يَنْشُدُهُ فِي الَّتِي قَبْلَهَا .

حَتَّى إِذَا فَرِغَ قَالَ فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَسَأُودِي هَذِهِ الْفَرَائِضَ وَأَجْتَنِبُ مَا نَهَيْتَنِي عَنْهُ ثُمَّ لَا أَزِيدُ وَلَا أَنْقُصُ . ثُمَّ أَنْصَرَفَ إِلَى بَعِيرِهِ رَاجِعًا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِنَّ صَدَقَ ذُو الْعَقِيصَتَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ<sup>(١)</sup> .

فَخَرَجَ ضِمَامٌ مِنَ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى بَعِيرِهِ وَأَطْلَقَ عِقَالَهُ وَخَرَجَ قَاصِدًا قَوْمَهُ ، وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى دِيَارِهِمْ وَرَأَوْهُ اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ لِيَسْمَعُوا مِنْهُ . فَبَدَأَ كَلَامَهُ بِالْقَوْلِ (بِئْسَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى قَالُوا : مَهْ يَا ضِمَامُ اتَّقِ الْبَرَصَ اتَّقِ الْجُدَامَ اتَّقِ الْجُنُونَ)<sup>(٢)</sup> .

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ٥٧٣/٢ .

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية ٥٧٣/٢ .

أي أندروه من العقاب الذي ينزل به بسبب تجاوزه وسبه للأصنام ، فقال لهم أن اللات والعزى لا يضران ولا ينفعان .  
ثم أخبرهم بأن الله عز وجل أرسل رسولاً وأنزل عليه كتاباً يقصد القرآن يستنذكم به من الضلالة وما انتم فيه .  
ثم أعلن أمام الجميع إسلامه ، فنطق بالشهادتين وأخبرهم بأنه جاء من عند الرسول محمد بالأوامر والنواهي الشرعية ، وما حل المساء من ذلك اليوم إلا ودخل الرجال والنساء الذين في ناحيته .  
قال (عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ : فَمَا سَمِعْنَا بِوَأْفِدِ قَوْمٍ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ) (١).

وهل هو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ \* وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ (٢) ، الجواب نعم .

### فتح مكة مسلماً

لقد تم فتح النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لمكة في العشرين من شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة الموافق سنة (٦٣٠م).  
وذهب الشافعي إلى أن مكة فتحت صلحاً بآمان علقه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشرط آمان لمن دخل المسجد الحرام فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن .

وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقتل أربعة والأمان كالصلح .  
وقال الشيخ الطوسي في المبسوط (ظاهر المذهب أن النبي (صلى الله عليه وآله) فتح مكة عنوة بالسيف ثم أمنهم بعد ذلك، وإنما لم يقسم الأرضين والدور لأنها لجميع المسلمين كما نقوله في كل ما يفتح عنوة إذا لم

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ٥٧٣/٢ .

(٢) سورة النصر ١-٢ .

يمكن نقله إلى بلد الاسلام فإنه يكون للمسلمين قاطبة ، ومن النبي صلى الله عليه وآله على رجال من المشركين فأطلقهم<sup>(١)</sup>.

وأكثر أهل العلم يرون أن فتح مكة عنوة لأنها أخذت بالخييل والركاب . وبه قال أبو حنيفة والأوزاعي ، ومالك بن أنس ، وسفيان بن سعيد الثوري ، وأبو يوسف ومحمد بن الحسن أن أهل مكة نقضوا العهد ، فافتتحها يومئذ النبي وهي دار حرب .

لا خلاف أنه لم يجر فيها قسم أو غنيمة ، ولا سبي من أهلها أحد لما عظم الله من حرمتها .

وأراد الإمام علي عليه السلام قتل الرجلين اللذين إستجارا بأخته أم هانئ فامضى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إجارتهما . والمختار قول مستحدث وهو فتحت مكة مسلماً من غير صلح أو قتال يعتد به ، وهو أمر له شواهد ومصاديق أخرى في دخول الناس الإسلام .

وعندما دخل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مكة فاتحاً كان أكثر أهلها مسلمين ، إلى جانب من هاجر من أهلها مسلماً سواء إلى الحبشة أو إلى المدينة .

وقد دخل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مكة يوم الفتح (في كتيبه الخضراء وفيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد)<sup>(٢)</sup>.

(ويقال: كتيبة خضراء، للتي يعلوها سواد الحديد)<sup>(٣)</sup>.

ومنه أيضاً أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بارجاع سرية صداء لدخول أهلها الإسلام .

(١) سورة المبسوط ٣٣/٢ .

(٢) ابن كثير / السيرة النبوية ٥٥٠/٣ .

(٣) الصحاح في اللغة ١٧٦/١ .

## اختصاص النبي بصفة (شاهداً)

لقد أكرم الله عز وجل الإنسان وجعله ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾<sup>(١)</sup> وأول من عمر الأرض آدم وحواء بعد أن لبثا برهة من الزمن في الجنة واختلط مع الملائكة ، ورأيا آيات الله العظمى .

وهبط آدم إلى الأرض بصفة الرسالة فقد كان نبياً رسولاً كما في حديث أبي ذر يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتتوارث ذريته أحكام النبوة .

إذ بعث الله عز وجل مائة وأربعة وعشرين ألف نبياً على نحو متعاقب وكان الأنبياء يبشرون برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، كما ورد عن عيسى عليه السلام ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وبالإسناد (عن أبي صالح، عن كعب قال: نجد مكتوباً " محمد رسول الله، لافظ ولا غليظ، ولا صخاب بالاسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر.

امته الحامدون، يكبرون الله على كل نجد، ويمحمدونه في كل منزل، يتأزرون على أنصافهم، ويتوضؤون على أطرافهم .  
مناديهم يناديهم في جو السماء، صفهم في القتال وصفهم في الصلاة  
سواء .

لهم بالليل دوي كدوي النحل، مولده بمكة، ومهاجره بطابة، وملكه بالشام)<sup>(٣)</sup>.

والصخاب شديد الصياح .

(١) سورة البقرة ٣٠ .

(٢) سورة الصف ٦ .

(٣) البحار ٢٤٠/١٥ .

وقد ورد لفظ (مبشراً) ثلاث مرات في القرآن ، في الآية أعلاه على لسان عيسى ، وورد مرتين بخطاب من عند الله عز وجل إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وورد لفظ (شاهداً) ثلاث مرات في القرآن كلها صفة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على نحو الخصوص .  
وهذه الآيات هي :

الأولى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>.

الثانية : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾<sup>(٤)</sup>.

الثالثة : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾<sup>(٥)</sup>.

بينما ورد في وصف الأنبياء والرسل ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾<sup>(٦)</sup> من غير ذكر بأنهم شهداء على الناس .

وأكرم الله عز وجل المسلمين بشهادتهم على الناس بقوله تعالى ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَىٰ النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) سورة الأحزاب ٤٥.

(٢) سورة الفتح ٨.

(٣) سورة الأحزاب ٤٥.

(٤) سورة الفتح ٨.

(٥) سورة المزمل ١٥ .

(٦) سورة النساء ١٦٥.

(٧) سورة الحج ٧٨.

وإثبات شئ لشيء لا يدل على نفيه عن غيره فصفة شهادة النبي أعم من أن تختص بالمسلمين.

ومن وجوه شهادة النبي محمد :

الأول : قانون شهادة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على صحة نزول التوراة والإنجيل .

الثاني : قانون تصديق النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بنبوة الأنبياء السابقين .

الثالث : الشهادة للأنبياء بأنهم بلغوا رسالاتهم .

ومن أسماء الله الشهيد ، وفي التنزيل ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾<sup>(١)</sup>.

الرابع : الشهادة على أهل الجاهلية وعبادتهم الأوثان .

الخامس : الشهادة للذين آمنوا برسالاته من المسلمين والمسلمات الى يوم القيامة .

السادس : الشهادة يوم القيامة كما في قوله تعالى ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ

أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن مسعود أن يقرأ القرآن فلما قرأ هذه الآية فاضت عينا رسول الله .

السابع : النبي شاهد على الناس ، ومبشر للمؤمنين ومنذر للكافرين .

## قوانين الجزء ٢٧١

وفيه القوانين التالية :

الأول : قانون لا يحصي النعم التي تنفرع عن خلافة الإنسان في الأرض إلا الله عز وجل .

الثاني : قانون النبي محمد (ص) حارب كرهاً .

(١) سورة المجادلة ٦.

(٢) سورة النساء ٤١.

الثالث : قانون امتناع المسلم عن القتال وعن الإبتداء باستعمال السلاح مع المشركين .

الرابع : قانون النفع العام للآية القرآنية .

الخامس : قانون الملازمة بين الآيات الكونية والعبادات .

السادس : قانون نهى الأنبياء عن القتل .

السابع : قانون النبوة رحمة عامة .

الثامن : قانون حاجة أهل الأرض للنبوة .

التاسع : قانون التنافي بين الإرهاب وما جاء به الأنبياء .

العاشر : قانون معجزات النبي محمد مانع من الإرهاب ، وهو من

مصاديق ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

الحادي عشر : قانون الملازمة بين الشرك والإرهاب .

الثاني عشر : قانون خيبة وخسارة الذي يتخذ الإرهاب سبيلاً ومنهاجاً .

الثالث عشر : قانون المشركين هم الغزاة المعتدون .

الرابع عشر : قانون امتناع النبي محمد عن الغزو ، وعن مقابلة الغزو

بمثله ، وفيه دعوة لكل مسلم ومسلمة لتعاهد السلم المجتمعي .

الخامس عشر : قانون تنزه المؤمنين عن التعدي والإرهاب .

السادس عشر : قانون خيبة المشركين في غزوهم المدينة ، قال تعالى

﴿لَيَقْطَعَنَّ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

السابع عشر : قانون حضور الأعمال مع أصحابها يوم القيامة .

الثامن عشر : قانون انتفاء الفناء عن الأجساد .

التاسع عشر : قانون عودة الأرواح للأجساد في الآخرة .

العشرون : قانون قيام الناس بين يدي الله للحساب في الآخرة ، وفي

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٢) سورة آل عمران ١٢٧.

التنزيل ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

- الواحد والعشرون : قانون قبح التعدي والإرهاب وإخافة الأمنين .
- الثاني والعشرون : قانون الاحتضار موعظة .
- الثالث والعشرون : قانون الاختلاف بين تدبير الكفار والنتائج .
- الرابع والعشرون : قانون الكفر برزخ دون الإعتاظ .
- الخامس والعشرون : قانون استجابة الصحابة لنداء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
- السادس والعشرون : قانون بعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين على التفقه في الدين .
- السابع والعشرون : قانون الإنتفاع العام من الآية القرآنية .
- الثامن والعشرون : قانون الدعاء عند الأذى .
- التاسع والعشرون : قانون بعث الصحابة على الصبر والثبات في الميدان الذي هو حاجة حيثئذ .
- الثلاثون : قانون منع الاختلاف والشقاق بين الصحابة ساعة القتال .
- الواحد والثلاثون : قانون نزول السكينة على الصحابة المؤمنين إكرام لهم .
- الثاني والثلاثون : قانون السكينة ثناء ورضا من عند الله سبحانه .
- الثالث والثلاثون : قانون مصاحبة السكينة للمؤمنين حتى بعد انتهاء المعركة وهو وسام وتشريف إضافي لمن حضر معركة حنين منهم .
- الرابع والثلاثون : قانون حضور السكينة يوم القيامة مع الذين فازوا بها في الدنيا ، لتكون حرزاً وواقية لهم من الخوف والحزن .
- الخامس والثلاثون : قانون ترجيح الذكر على القتال .
- السادس والثلاثون : قانون مقابلة التهديد بالذکر .
- السابع والثلاثون : قانون هبات النبوة من غير قيد أو شرط أو استثناء .

- الثامن والثلاثون : قانون انتصار الإسلام بالصلح والموادعة .
- التاسع والثلاثون : قانون موضوعية إعجاز القرآن في النصر .
- الأربعون : قانون أصالة الحلية المطلقة لإباحة الأشياء ولقاعدة قبح العقاب بلا بيان إلا ما خرج منها بالدليل .
- الواحد والأربعون : قانون الآية حصانة .
- الثاني والأربعون : قانون تأكيد الآية القرآنية لمضامين آية قرآنية أخرى .
- الثالث والأربعون : قانون توديع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للسرايا تأديب وموعظة وإصلاح .
- الرابع والأربعون : قانون إجتتاب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ملاقاته الذين كفروا ، ومنعه من مقدمات القتال .
- الخامس والأربعون : قانون مصاحبة البركة والرزق الكريم للإيمان .
- السادس والأربعون : قانون البعثة النبوية نجاة .
- السابع والأربعون : قانون شهادة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على صحة نزول التوراة والإنجيل .
- الثامن والأربعون : قانون تصديق النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بنبوّة الأنبياء السابقين .
- التاسع والأربعون : قانون دخول الإسلام نجاة في الدنيا والآخرة .
- الخمسون : قانون الإسلام صلاح وخير محض .
- الواحد والخمسون : قانون الأمن والسلامة لمن يدخل الإسلام من غير قتال .
- الثاني والخمسون : قانون بالإسلام حقن للدماء وحفظ للعيال والمال ونجاة من الشرك .
- الثالث والخمسون : قانون إعطاء (المؤلفة قلوبهم) من الصدقات والزكاة والإنفاق في سبيل الله .
- الرابع والخمسون : قانون حسن خلق النبي في كل الأحوال .

الخامس والخمسون : قانون النبي أفضل أهل زمانه ، وقد فاز النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالمحاسن والكمالات الإنسانية .

السادس والخمسون : قانون تجلي مصاديق قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup> في السيرة اليومية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

السابع والخمسون : قانون موضوعية الآية القرآنية في العمل بأحكام آيات أخرى .

الثامن والخمسون : قانون موضوعية موضوع الآية القرآنية في حفظها من التحريف والزيادة والنقصان .

التاسع والخمسون : قانون كل آية قرآنية رحمة حاضرة .

الستون : قانون لا يخصصي النعم التي تتفرع عن خلافة الإنسان في الأرض إلا الله عز وجل ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَإِخْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَاكَ﴾<sup>(٢)</sup> .

الواحد والستون : قانون موضوعية موضوع الآية القرآنية في حياة المسلمين العامة .

الثاني والستون : قانون تجدد موضوعية ومنافع وأثر موضوع الآية القرآنية في كل زمان .

الثالث والستون : قانون لزوم امتناع المسلم عن الإبتداء بالإضرار بالناس تأسياً برسول الله ، ومن باب الأولوية .

الرابع والستون : قانون لزوم ثبات المسلمين في منازل الإيمان .

الخامس والستون : قانون زجر عامة المشركين عن التعدي على المسلمين .

(١) سورة القلم ٤ .

(٢) سورة الجن ٢٨ .

السادس والستون : قانون اقتباس الناس من الأخلاق الحميدة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإشاعتها في المجتمعات .

السابع والستون : قانون حسن خلق النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حجة على الناس .

الثامن والستون : قانون الآية القرآنية شاهد على العصر .

التاسع والستون : قانون توديع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للسرايا .

السبعون : قانون دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم للسرايا عند خروجها من المدينة ، ليكون الدعاء النبوي صاحباً وحرزاً لهم .

الواحد والسبعون : تنمية ملكة الدعاء عند المسلمين .

الثاني والسبعون : قانون دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم للسرايا بالتوفيق والسلامة والنصر .

الثالث والسبعون : قانون توصية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للسرايا وعموم المسلمين بتقوى الله والخشية منه ، قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾<sup>(١)</sup> .

الرابع والسبعون : قانون تنزه السرايا عن الغدر والغل والخيانة .

الخامس والسبعون : قانون امتناع المسلمين عن التعرض للنساء أو الصبيان أو أصحاب الصوامع .

السادس والسبعون : قانون سرايا الإسلام من مصاديق قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

(١) سورة الطلاق ٢-٣ .

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧ .



### إمساكية شهر رمضان - ١٤٤٧ هـ (لمدينة بغداد صانها الله من الفساد)

| شهر رمضان | اليوم    | التاريخ | أذان الفجر | الشروق | الظهر | المغرب |
|-----------|----------|---------|------------|--------|-------|--------|
| ١         | الخميس   | ٢/١٩    | ٥:١٩       | ٦:٤٢   | ١٢:١٦ | ٦:٠٦   |
| ٢         | الجمعة   | ٢/٢٠    | ٥:١٨       | ٦:٤١   | ١٢:١٦ | ٦:٠٦   |
| ٣         | السبت    | ٢/٢١    | ٥:١٧       | ٦:٣٩   | ١٢:١٦ | ٦:٠٧   |
| ٤         | الأحد    | ٢/٢٢    | ٥:١٦       | ٦:٣    | ١٢:١٦ | ٦:٠٨   |
| ٥         | الاثنين  | ٢/٢٣    | ٥:١٥       | ٦:٣    | ١٢:١٦ | ٦:٠٩   |
| ٦         | الثلاثاء | ٢/٢٤    | ٥:١٤       | ٦:٣٦   | ١٢:١٦ | ٦:١٠   |
| ٧         | الأربعاء | ٢/٢٥    | ٥:١٣       | ٦:٣٥   | ١٢:١٦ | ٦:١٠   |
| ٨         | الخميس   | ٢/٢٦    | ٥:١٢       | ٦:٣٤   | ١٢:١٦ | ٦:١١   |
| ٩         | الجمعة   | ٢/٢٧    | ٥:١١       | ٦:٣    | ١٢:١٥ | ٦:١٢   |
| ١٠        | السبت    | ٢/٢٨    | ٥:١٠       | ٦:٣١   | ١٢:١٥ | ٦:١٣   |
| ١١        | الأحد    | ٣/١     | ٥:٠٨       | ٦:٢٩   | ١٢:١٥ | ٦:١٤   |
| ١٢        | الاثنين  | ٣/٢     | ٥:٠٧       | ٦:٢٨   | ١٢:١٥ | ٦:١٥   |
| ١٣        | الثلاثاء | ٣/٣     | ٥:٠٦       | ٦:٢٧   | ١٢:١٥ | ٦:١٦   |
| ١٤        | الأربعاء | ٣/٤     | ٥:٠٤       | ٦:٢٦   | ١٢:١٤ | ٦:١٧   |
| ١٥        | الخميس   | ٣/٥     | ٥:٠٣       | ٦:٢٤   | ١٢:١٤ | ٦:١٧   |

(مسألة ١) يكون يوم الخميس ٢٠٢٦/٢/١٩ أول أيام شهر رمضان إن شاء الله ،  
ويطل الهلال ليلتئذ عالياً ، ويبقى بعد الغروب ساعة ودقيقة واحدة.

(مسألة ٢) لا أصل للإحتياط بالإمساك قبل الأذان بسبع أو عشر دقائق، ويمتنع  
السحور بطلوع الفجر الصادق، وعليه الكتاب والسنة ، فيجوز شرب الماء قبله ولو  
بدقيقة، وتتجلى المندوحة بقوله تعالى ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَسْبِيَنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ

مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ وقوله تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾.

(مسألة ٣) يستحب الإستهلال، وتثبت رؤية الهلال بشاهدين عدلين ، ويتضاءل  
الخلافاً هذه السنة في رؤية رمضان ، إذ تلتقي رؤية الهلال بالعين المجردة والعين  
المسلحة .

| شهر رمضان | اليوم    | التاريخ | أذان الفجر | الشروق | الظهر | المغرب |
|-----------|----------|---------|------------|--------|-------|--------|
| ١٦        | الجمعة   | ٣/٦     | ٥:٠٢       | ٦:٢٣   | ١٢:١٤ | ٦:١٨   |
| ١٧        | السبت    | ٣/٧     | ٥:٠١       | ٦:٢٢   | ١٢:١٤ | ٦:١٩   |
| ١٨        | الأحد    | ٣/٨     | ٥:٠٠       | ٦:٢١   | ١٢:١٣ | ٦:٢٠   |
| ١٩        | الاثنين  | ٣/٩     | ٤:٥٨       | ٦:٢٠   | ١٢:١٣ | ٦:٢٠   |
| ٢٠        | الثلاثاء | ٣/١٠    | ٤:٥٧       | ٦:١٨   | ١٢:١٣ | ٦:٢١   |
| ٢١        | الأربعاء | ٣/١١    | ٤:٥٦       | ٦:١٧   | ١٢:١٣ | ٦:٢٢   |
| ٢٢        | الخميس   | ٣/١٢    | ٤:٥٥       | ٦:١٦   | ١٢:١٢ | ٦:٢٢   |
| ٢٣        | الجمعة   | ٣/١٣    | ٤:٥٣       | ٦:١٥   | ١٢:١٢ | ٦:٢٣   |
| ٢٤        | السبت    | ٣/١٤    | ٤:٥٢       | ٦:١٣   | ١٢:١٢ | ٦:٢٤   |
| ٢٥        | الأحد    | ٣/١٥    | ٤:٥١       | ٦:١٢   | ١٢:١٢ | ٦:٢٥   |
| ٢٦        | الاثنين  | ٣/١٦    | ٤:٤٩       | ٦:١١   | ١٢:١١ | ٦:٢٦   |
| ٢٧        | الثلاثاء | ٣/١٧    | ٤:٤٨       | ٦:١٠   | ١٢:١١ | ٦:٢٧   |
| ٢٨        | الأربعاء | ٣/١٨    | ٤:٤٧       | ٦:٠٨   | ١٢:١١ | ٦:٢٨   |
| ٢٩        | الخميس   | ٣/١٩    | ٤:٤٥       | ٦:٠٧   | ١٢:١٠ | ٦:٢٨   |

(مسألة ٤) ستعلن أكثر الدول العربية يوم الجمعة ٢٠٢٦/٣/٢٠ أول أيام عيد الفطر المبارك إن شاء الله ، ويبقى الهلال ليلة الجمعة في أفق بغداد نحو (٣٢) دقيقة بعد الغروب ، ومع هذا تتعذر رؤيته بالعين المجردة على الأرجح لأن عمره نحو (١٤) ساعة والقسم المنار منه قليل ٤٤ ، ٠٪ والمدار على الرؤية الشرعية ، نعم سيرى هلال شوال ليلة الجمعة بالعين المجردة في أمريكا ومناطق أخرى .

(مسألة ٥) صدرت مائتان وواحد وسبعون جزءاً من تفسيري (معالم الإيمان) في سورة البقرة وأكثر آيات آل عمران والحمد لله ، وهي معروضة على موقعنا WWW.MARJAI.AA.COM ، وكلها تأويل واستنباط وقوانين من ذات مضامين الآيات لم يشهد لها التأريخ مثيلاً ، إلى جانب كتبي الفقهية والأصولية ومنها خصائص النبي (ص) خمسة أجزاء ، وقوانين البرزخ ثلاثة أجزاء ، ورسالتي العملية (الحجة) خمسة أجزاء ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ .

## من الردود الكريمة على عدد من أجزاء هذا السفر المبارك

- ١- سماحة الإمام شيخ الأزهر.
- ٢- سماحة العلامة الشيخ أ.د. مفتي جمهورية مصر العربية.
- ٣- سيادة رئيس مجلس القضاء الأعلى / العراق .
- ٤- سيادة مستشار الأمن القومي السيد قاسم الأعرجي .
- ٥- الأمين العام لإتحاد المؤرخين العرب .
- ٦- سعادة أ.د. رئيس جامعة ديالى .
- ٧- سعادة أ.د. مدير جامعة الملك فيصل / المملكة العربية السعودية .
- ٨- سعادة أ.د. مدير جامعة كردفان / الجمهورية السودانية.
- ٩- سعادة أ.د. مدير الجامعة الإسلامية / المدينة المنورة.
- ١٠- سيادة رئيس مجلس محافظة كربلاء .
- ١١- سعادة أ.د. رئيس الجامعة العراقية.
- ١٢- سعادة أ.د. مدير جامعة الأمير عبد القادر / الجمهورية الجزائرية .
- ١٣- سعادة أ.د. رئيس جامعة البصرة / العراق.
- ١٤- سعادة أ.د. رئيس جامعة القادسية / العراق.
- ١٥- سعادة أ.د. رئيس جامعة الكوفة / العراق
- ١٦- سعادة أ.د. رئيس جامعة جدارا / المملكة الأردنية الهاشمية.
- ١٧- كلية الإمام الاوزاعي للدراسات الإسلامية / بيروت.

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٩ / ٢٠٠٨  
٨ / ٢٠٠٨

الأزهر  
مكتبة الإمام الأكبر  
شيخ الأزهر

السيد صاحب الفضيلة المرجع الديني الشيخ/صالح الطائي

أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد،.....

فلقد تلقيت بحمد الله رسالتكم الرقيقة وبها الجزء الحادي والخمسون في تفسير آية واحدة من سورة آل عمران من القرآن الكريم.

نتضرع إلى الله العلي القدير أن يلهمكم العلم النافع وان يجعله في ميزان حسناتكم.

وشكر الله لكم حسن عملكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

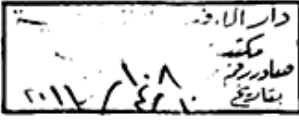
شيخ الأزهر  
مختار  
(الدكتور) محمد سيد طنطاوي

في: ١٣ من صفر ١٤٢٩هـ

الموافق: ٢٠ من فبراير ٢٠٠٨م

مصطفى عباس □

بسم الله الرحمن الرحيم



## المرجع الديني الشيخ/صالح الطائي

صاحب أحسن تفسير للقرآن وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد،

فإنه ليسعدني أن أتقدم لسيادتكم بخالص الشكر والتقدير والإحترام على تفضلكم بإهدائنا نسخة من من الجزء الثاني والثمانين.

وأتمنى من الله أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية وأن يسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنه وان يوفقنا لما يحبه ويرضاه.

شاكرين لكم، ولكم تحياتي

أ. د. علي جمعة  
مفتي جمهورية مصر العربية



جمهورية العراق  
مجلس القضاء الأعلى

سماحة الشيخ صالح الطائي "المحترم"

تحية طيبة

إشارة إلى كتابكم المرقم (١٧/٧٢٨٥) المؤرخ في ١٧/١٢/٢٠١٧.

تلقينا ببالف الإعتزاز إهدائك من نسخة من كتابكم الموسوم (معالم الإيمان في تفسير القرآن) الجزء التاسع والخمسين بعد المائة، نقدم شكرنا وتقديرنا متمنين لكم دوام الموفقية.

مع التقدير

القاضي

فائق زيدان

رئيس مجلس القضاء الأعلى

٢٠١٧/١٢/٢١

Republic of Iraq  
Prime Ministers  
National Security Advisory



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
رئاسة الوزراء  
مستشارية الأمن القومي

العدد: ٢٢٥١  
التاريخ: ٢٠٢١ / ١١ / ٧

مكتب المرجع الديني  
الشيخ صالح الطائي (دامت بركاته)

السلام عليك عليكم ورحمة الله وبركاته

ببالغ الإمتنان والغبطة تلقينا هديتكم الكريمة (الجزء السادس عشر بعد المائتين) من التفسير المبارك شاكرين حسن معالجتكم لهذا الموضوع المهم ونشد على عضدكم لتقدموا للأمة كل ما ينفعهم وينير بصيرتهم ويجلي الرين عن قلوبهم ليفهموا كتاب الله كما أراد سبحانه أن يفهموه ويعملوا بأحكامه ليكون لهم في الدنيا، مرشدا وفي الآخرة شفيعا. ونضع أنفسنا وامكاناتنا لخدمة هذا المجهود المبارك سائلين المولى القدير أن يوفقكم لكل خير.

مع خالص الدعاء

اخوكم

قاسم الاعرجي

مستشار الامن القومي



مستشارية الأمن القومي

Council Of Arab Economic Unity  
Subsidiary to Arab League  
Union of The Arab Historians  
General Secretary



مَجْلِسُ الْوَحْدَةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ  
التَّائِبِ لِحَاكِمَةِ الدَّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ  
اتِّحَادُ الْمُؤَرِّخِينَ الْعَرَبِ  
الْاِمْنَانَةُ الْعَامَّةُ

العدد : ٨٩ / ث

التاريخ : ٤ رمضان ١٤٤٣

الموالت : ٢٠٢٢ / ٤ / ٥

**إلى / سماحة المرجع الديني للمسلمين الشيخ صالح الطائي المحترم**  
**صاحب أحسن تفسير للقرآن**  
**أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق**  
**م/شكر وتقدير**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

وأسال الله تعالى أن يوفقكم ويحفظكم ويرعاكم أنه سميع مجيب الدعاء تسلمت مع بالغ الشكر والتقدير والإمتنان والإعتزاز اهداءكم لنا الجزء الواحد والثلاثين بعد المائتين من تفسيركم للقرآن وهو بعنوان (آيات السلم محكمة غير منسوخة ) ، وأن هذا الإنجاز يعبر عن مستوى ما متعكم به الله تعالى من امكانات متميزة في الإبداع الفكري والعلمي في مجال تفسيركم للقرآن الكريم ، ولم اقرأ أو اسمع أن هنالك منجزاً في تفسير القرآن العظيم بمثل ما قدمتموه ، وأني لاعجز عن التعبير عن مدى اعجابي واحترامي وتقديري لما جباكم به الله تعالى من امكانية علمية فريدة ومتميزة .

داعياً الله تعالى لكم بموفور الصحة والسعادة والأجر الفضيل من أجل تقديم المزيد من العطاء لخدمة الإسلام والمسلمين في زمن شح به العطاء والإنتاج الفكري الإسلامي ، دعائي من الله تعالى لكم بمزيد من الصحة والعافية ومزيد من الإنتاج الرائع المتميز .

وسلامي للعائلة العزيزة جميعاً الذين وفروا لك أجواء هذا العمل العلمي المتميز وجزاهم الله خير الجزاء ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الأستاذ الدكتور محمد جاسم المضهداني

الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب

العميد / رئيس الهيئة العلمية لههد التاريخ العربي

والنرات العلمي للدراسات العليا



Republic of Iraq  
Ministry of Higher Education &  
Scientific of Research  
University of Diyala



جمهورية العراق  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة ديالى  
مكتب رئيس الجامعة


No.:  
Date:

العدد ١٠  
التاريخ ٢٠٢٣ / ١ / ١٠



سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم  
صاحب أحسن تفسير للقرآن  
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

تلقينا بكل تقدير وامتنان اهدائكم نسخة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) الجزء الثالث والأربعون بعد المائتين ، وتقدم بخالص الشكر والعرفان على هذا الاهداء ، داعياً الله العليّ القدير ان يمدكم بعونه وتوفيقه ، وان يسدد خطاكم ويكمل اعمالكم بالنجاح انه سميع مجيب .  
ومن الله التوفيق

  
أ.د. عبد المنعم عباس كريم

ع / رئيس جامعة ديالى

٢٠٢٣ / ١ / ١٠

KINGDOM OF SAUDI ARABIA  
Ministry of Higher Education  
KING FAISAL UNIVERSITY  
(037)



الجامعة الإسلامية العالمية  
مملكة البحرين  
جامعة الملك فيصل  
(٠٣٧)

الموضوع:

فضيلة الشيخ / صالح الطائي  
مكتب المرجع الديني وصاحب أحسن تفسير للقرآن  
وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق  
ص.ب. ٢١١٦٨ مملكة البحرين  
السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد  
تلقيت بكل الثناء والتقدير خطاب فضيلتكم رقم ١٦/١٨٦١  
وتاريخ ٢٠١٦/٥/٢٠ المرفق طيه نسخة من كتاب بعنوان "معالم الإيمان  
في تفسير القرآن - الجزء الثاني والثلاثين بعد المائة.  
يطيب لي ويسعدني أشكر فضيلتكم جزيل الشكر على  
إهتمامكم المتواصل بتزويد إدارة الجامعة بهذه النسخة، وستحال إلى  
مكتبة الجامعة للإطلاع عليها، سائلا المولى جلت قدرته للجميع  
التوفيق والسداد.  
وتقبلوا خالص تحياتي وتقديري،،،

مدير الجامعة

د. عبدالعزيز بن جمال الدين السعاتي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## جامعة كردفان UNIVERSITY OF KORDOFAN

Our Ref: .....  
Date: .....

مكتب المدير  
Vice Chancellor Office

المرمرة: ج ك/م ١٧/م ٣/ح  
التاريخ: ... 2016/8/16 م

السادة/ مكتب المرجع الديني  
الشيخ صالح الطائي  
صاحب أحسن تفسير للقرآن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تهديكم جامعة كردفان أطيب التحايا ، وتغمرنا السعادة بالإصدارات التي تتوالى إلينا بانتظام من مكتب المرجع الديني في (معالم الإيمان في تفسير القرآن) والذي كان آخر هذه الإصدارات (الجزء السادس والثلاثين بعد المائة) والذي تشرفنا بإستلامه بموجب خطابكم رقم ١٦/١٥٣٥ الصادر في ٢٠١٦/٧/١٣ م، وذلك إثراءً للمعرفة في مجال تفسير آيات القرآن، خدمة للباحثين والمهتمين بأمر التفسير القرآني، والتي أضحت متاحة في الأقسام المختصة بالمكتبات الأكاديمية في الجامعات ومراكز البحوث وجامعة كردفان تحظى بأعداد وافرة منها في مكتبها المركزية.

ختاماً لكم الشكر والعرفان على هذا الصنيع، نفعنا الله به، وأثابكم عليه خير الجزاء .

وتفضلوا بقبول فائق عبارات التقدير والإحترام

أ.د. أحمد عبدالله عجب الدور

مدير الجامعة



الرقم: ١١٤٦ / ١٧٢  
 التاريخ: ١٠ / ٢ / ١٤٣٦ هـ  
 المرفقات:  
 الموضوع:



الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة  
 وزارة التعليم العالي  
 الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة  
 مكتب المدير  
 (٠٣٢)

معالي الشيخ / صالح الطائي سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد

فأسأل الله لمعاليتكم العون والتوفيق، ويسرني إفادتكم بأني تلقيت بكل تقدير وإمتنان إهداءكم للجامعة نسخة من الجزء التاسع بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن).

وإنني إذ أتقدم لمعاليتكم بخالص الشكر والعرفان على هذا الإهداء، لأدعو الله العلي القدير أن يمدكم بعونه وتوفيقه، وأن يسد خطاكم ويكمل أعمالكم بالنجاح إنه سميع مجيب يحفظكم الله ويرعاكم.

ولكم تيماني وتقديري

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مدير الجامعة الإسلامية

أ. د / عبدالرحمن بن عبدالله السند

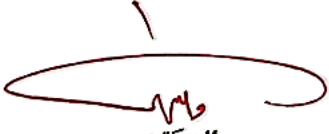
Republic of Iraq  
 Presidency of  
 EiofY Kerbala Province council  
 العدد: ٦٨٥١٨٥  
 التاريخ: ٢٠٢٦/٣/٤



جمهورية العراق  
 رئاسة  
 مجلس محافظة كربلاء المقدسة

## إلى / سماحة الشيخ صالح الطائي المحترم

نبارك لكم إصدار الجزء السابعين بعد المائتين من كتاب (معالم الإيمان في تفسير القرآن) بعنوان (التضاد بين القرآن والإرهاب) لذا يسعدنا إلا أن نقدم لكم شكرنا وتقديرنا لجهودكم بهذا الصدد متمنين لكم دوام الموفقية والتقدم في خدمة الإسلام والمسلمين ، ومن الله التوفيق .

١  
  
 الدكتور  
 قاسم علي محمد اليساري  
 رئيس مجلس محافظة كربلاء المقدسة  
 ٢٠٢٦/٣/٤



MINISTRY OF HIGHER EDUCATION  
& SCIENTIFIC RESEARCH  
**THE IRAQIA UNIVERSITY**  
THE PRESIDENT OFFICE OF UNIVERSITY



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
**الجامعة العراقية**  
مكتب رئيس الجامعة

NO.:

DATE: / / 201

العدد: ٢٨٢ / ١  
التاريخ: ١٠ / ٤ / ٢٠١٦ م  
١٤٣٨ هـ

المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم  
صاحب أحسن تفسير للقرآن  
تحية طيبة...

نشكر مبادرتكم الطيبة بإهدائكم لنا نسخة من كتابكم الموسوم الجزء  
الثلاثون بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) سائلين الباري عز  
وجل أن يوفقكم في مسيرتكم العلمية والعملية خدمة لبلدنا العزيز.  
ومن الله التوفيق...

~~أ.د. علي صالح حسين~~

رئيس الجامعة العراقية

٢٠١٦/٤/١٠

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



رئاسة الجامعة

قسنطينة في: 2015/03/25

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية

قسنطينة

رقم...498.../رج/ 2014

إلى السيد المحترم / الشيخ صالح الطائي  
صاحب أحسن تفسير للقرآن  
مكتب المرجع الديني

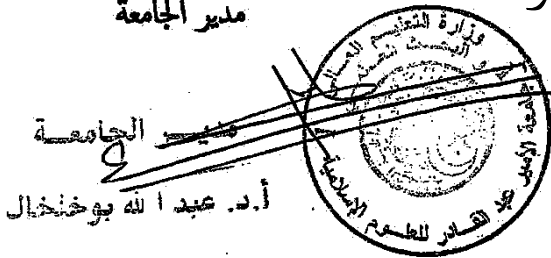
تحية طيبة وبعد :

تلقينا نحن أ.د. / عبدالله بوخلخال مدير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم  
الإسلامية قسنطينة، هديتكم القيمة المتمثلة في كتاب (معالم الإيمان في تفسير  
القرآن) الجزء الثالث عشر بعد المائة.

وإذ نعبر لكم عن شكرنا على هذه الإلتقاة الكريمة، نهديكم نحن بدورنا  
نسخة من مجلة الجامعة العدد ٣٣ ونسخة من نشرة أخبار الجامعة.

تقبلوا فائق الاحترام والتقدير.

مدير الجامعة



شيفو الجامعة

أ.د. عبدالله بوخلخال

Ministry of Higher Education &  
Scientific Research  
Basra University  
Depr. Of Public Relations & Media



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
رئاسة جامعة البصرة  
قسم العلاقات العامة والإعلام

العدد: ٤١٢٧٧  
التاريخ: ١٤٤١ هـ / ٢٠٢٠ م

إلى // الشيخ عبد الله الشيخ صالح الطائي المحترم  
مدير مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي  
م // شكر على إهداء

تحية طيبة ...

إشارة إلى كتابكم ذي العدد ( ١٩ / ٤ / ٢٣ ) في  
٢٩ / ٣ / ٢٠٢٣

ببالغ الإعتراز والتقدير تسلمنا إهدائكم القيم لنا نسخة  
من الجزء السادس والأربعين بعد المائتين من (معالم  
الإيمان) ... نستثمر هذه الفرصة لنعبر عن شكرنا  
وتقديرنا لهذا الإهداء مؤكدين سعادتنا الدائمة بالجهود  
المتميّزة ، متمنين دوام التواصل والعطاء خدمة لعراقنا  
العزير.

مع التقدير ...

الأستاذ الدكتور

سعد شاهين حمادي

رئيس الجامعة

Republic of Iraq  
Ministry Of Higher Education  
and Scientific Research  
University of Al-Qadisiya  
Chief of University Office



جمهورية العراق  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة القادسية  
مكتب رئيس الجامعة

Ret:

Date:

العدد: ١٥٦ / ٢٠١٩

التاريخ: ٢٠١٩ / ١٠ / ٢٠

إلى / مكتب المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ صالح الطائي المحترم  
صاحب أحسن تفسير للقرآن

تحية طيبة ...

تسلمنا ببالغ الشكر والتقدير الجزء السابع بعد المائة من التفسير وهو  
القسم الأول من تفسير (أن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك  
الأيام نداولها بين الناس) شاكرين لكم اهداءكم متمنين لكم مزيداً من  
الإرتقاء والأزدهار والتطور.

... مع التقدير

ع

\_\_\_\_\_

\_\_\_\_\_

١

أ.د. أحسان كاظم شريف القرشي

رئيس الجامعة

٢٠١٥/٢/٢٠

Ministry of Higher Education  
and Scientific Research  
**UNIVERSITY OF  
K U F A**  
President's Office



وزارة التعليم العالي  
والبحث العلمي  
**جامعة الكوفة**  
مكتب رئيس الجامعة

Ref. :

Date: / /

((بجيشنا والحشد الشعبي وقوات البيشمركة العراق أقوى))  
إلى / سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ صالح الطائي (دام ظله) المحترم  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . .

ببالغ الإمتنان والتقدير تسلمنا نسخة من مؤلفكم القيم الموسوم (معالم الإيمان في تفسير  
القرآن) بجزئه العشرين بعد المائة وإننا وإذ نتقدم لكم بالشكر والإمتنان على مبادرتكم  
الطيبة، فأنا نبتهل للباري جل في علاه أن يوفق سماحتكم لما يحبه ويرضاه، ومنه العون  
والسداد .

مع أسى آيات تقديري واحترامي . . .

أ. د. عقيل عبد ياسين  
رئيس جامعة الكوفة  
٢٠١٥ / ٨ / ١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

Jadara University

Office of the President



جامعة جدارا

مكتب الرئيس

Ref. \_\_\_\_\_

الرقم ٨١٦:٨١٦/١٦٧

Date \_\_\_\_\_

التاريخ ١٦/٥/٢٠١٢ م  
الموافق ١٦/٥/٢٠١٢ م

سيادة الأخ الشيخ صالح الطائي المحترم


صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم

وأستاذ الفقه والأصول والأخلاق

بكل فخر وإعتزاز تلقيت رسالتكم الموقرة التي تحمل العدد (٥٣٢) تاريخ ٢٦/٥/٢٠١٢ م، ومرفقها الجزء التسعون من التفسير في الآية (١٣٣) من سورة آل عمران.

وانني إذ أشكركم جزيل الشكر وعظيم الإمتنان على اهدائكم هذا، سائلاً المولى عز وجل أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية، وأن يجعلكم سنداً وذخراً للأمة الإسلامية متمنياً لكم كل التقدم والإزدهار.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رئيس الجامعة  
  
 أ. د محمد الطعامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية

بيروت في ٩/ربيع الأول/١٤٤٠هـ

الموافق ٢٤/١١/٢٠١٨م

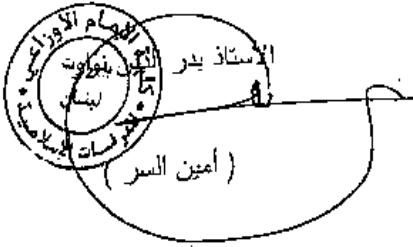
سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم

صاحب أحسن تفسير للقرآن

مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تتقدم كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية بأطيب تمنياتها،  
وتشكركم على الجزء (١٧١) الذي وصلنا من جانبكم من كتاب: "معالم  
الإيمان في تفسير القرآن" والذي يتضمن قراءة في آيتين من القرآن بما يدل  
على أن النبي (ص) كان لا يسعى إلى الغزو ولم يقصده ولم يدع إليه.  
أملين الإستمرار في إرسال الأجزاء التي ستصدر منها مستقبلاً،  
شاكرين لكم حسن تعاونكم الدائم معنا وداعين الله تعالى أن يوفقنا وإياكم  
لما فيه خير الإسلام والمسلمين.  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## المحتويات

|    |  |
|----|--|
| ٣  | المقدمة.....                           |
| ١١ | القرآن قراءة قرآنية.....               |
| ١١ | أسماء القرآن.....                      |
| ١٧ | قانون البعثة النبوية نجاة.....         |
| ١٨ | قانون نهى الأنبياء عن القتل.....       |
| ٢٠ | الهجرة إلى الطائف.....                 |
| ٢٣ | إسلام عدّاس حجة.....                   |
| ٢٤ | قانون الدعاء عند الأذى.....            |
| ٢٧ | لماذا الهجرة إلى الطائف.....           |
| ٣٢ | الرجوع إلى مكة.....                    |
| ٣٤ | إجارة المطعم للنبي (ص).....            |
| ٣٧ | منافع تسمية يوم القيامة.....           |
| ٣٩ | القيامة اسم سورة قرآنية.....           |
| ٤٢ | قانون الاحتضار موعظة.....              |
| ٤٤ | سجود الملائكة لآدم تأسيساً للمسلم..... |
| ٤٦ | الشهر الحرام سلام.....                 |
| ٤٩ | هلال رجب.....                          |

- ٥٢..... معركة بدر السبب والنتيجة
- ٥٤..... دروس معركة بدر
- ٥٥..... معجزة السلامة من الأسر
- ٥٦ ..... صدور الجزء (270) من معالم الإيمان
- ٥٧ ..... قانون الاختلاف بين تدبير الكفار والنتائج
- ٦٠..... حرمة الإنتحار
- ٦١..... قانون الإنتفاع العام من الآية القرآنية
- ٦٢ ..... قانون ترجيح الذكر على القتال
- ٦٤..... قانون مقابلة التهديد بالذكر
- ٦٥ ..... النفير اختياري
- ٦٦ ..... تقدير ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ﴾
- ٦٨ ..... النسبة بين النصر والصلح
- ٧٠..... جريان ماء البئر
- ٧١..... أصالة الحلية
- ٧٤ ..... أكل الطيبات
- ٧٧..... بين الفقه والطب
- ٧٨..... لفظ الطعام
- ٧٩ ..... المراد من بني إسرائيل

- ٨٠..... قانون الآية حصانة
- ٨٣..... آيات الإسراء
- ٨٤..... الإسراء بشارة السلام
- ٨٦..... استحالة الرؤية
- ٨٧..... رؤية القلوب
- ٨٩..... سرية الخطب
- ٩٢..... من خصائص النبي محمد (ص)
- ٩٤..... إفاضات النبوة
- ٩٥..... خصائص النبي (ص) في الآخرة
- ٩٦..... من خصائص النبي (ص) في ميدان القتال
- ٩٨..... بشر بن سفيان
- ٩٩..... سرية بشر بن سفيان
- ١٠١..... سرية عيينة بن حصن
- ١٠٢..... تأمر قريش بعد صلح الحديبية
- ١٠٣..... أسباب معركة حنين
- ١٠٦..... الدفاع يوم حنين
- ١٠٨..... معجزات يوم حنين
- ١١١..... لماذا سعى المشركون لقتال النبي (ص)

- ١١٣..... جمع الجيوش لغزو المدينة بعد صلح الحديبية
- ١١٤..... جفاء عيينة
- ١١٦..... خوف عيينة
- ١١٧..... بداية رئاسة عيينة لقومه
- ١١٩..... ترغيب عيينة بالإسلام
- ١٢٠..... تمر المدينة في معركة الخندق
- ١٢٥..... التذكير والتذاكر
- ١٢٦..... الحارث بن عوف
- ١٢٨..... صبر النبوة
- ١٣٠..... العدو يمدح النبي محمداً
- ١٣٢..... إنتفاء التعارض بين القرآن والسنة والوقائع
- ١٣٣..... عتاب أمير مكة
- ١٣٦..... آيات معركة حنين
- ١٣٨..... نزول السكينة يوم حنين
- ١٤٠..... مصاديق السكينة
- ١٤٢..... أسباب النصر في معركة حنين
- ١٤٦..... بيان الأحكام في الميدان
- ١٤٨..... تقسيم غنائم حنين

- ١٥٠ ..... دريد بن الصمة
- ١٥٢ ..... الأنصار وتوزيع الغنائم
- ١٥٣ ..... تهذيب السلوك
- ١٥٥ ..... تألف المؤلفه قلوبهم
- ١٥٦ ..... لماذا الإعطاء للمؤلفة قلوبهم
- ١٥٨ ..... الإعطاء من الخمس
- ١٦٠ ..... الفرق بين الغنيمة والانفال والفيء
- ١٦٢ ..... الإنصات للشكوى على العامل
- ١٦٣ ..... إرجاع السرية
- ١٦٥ ..... تلقين الوفد
- ١٦٨ ..... سرية أوطاس
- ١٧٠ ..... الاجتماع في أوطاس
- ١٧١ ..... عتق السبايا
- ١٧٣ ..... لماذا حصار الطائف
- ١٧٦ ..... حصار الطائف تأديب
- ١٧٧ ..... المقدمة لحصار الطائف
- ١٧٩ ..... التوجه إلى أسوار الطائف
- ١٨١ ..... النهي عن دخول المخنث على النساء

- ١٨٢ ..... أعداد ثقيف
- ١٨٣ ..... يوم الشدخة
- ١٨٦ ..... إسلام مالك بن عوف النصري
- ١٨٨ ..... عيون النبي
- ١٨٩ ..... سرية مؤتة
- ١٩١ ..... شعر عبد الله بن رواحة
- ١٩٢ ..... توديع النبي (ص) سرية مؤتة
- ١٩٨ ..... التباين العددي الكبير
- ١٩٩ ..... آيات البسالة والشهادة
- ٢٠٢ ..... جعفر بن أبي طالب
- ٢٠٤ ..... عبد الله بن رواحة
- ٢٠٧ ..... الإنسحاب من مؤتة
- ٢٠٨ ..... رثاء النبي (ص) لشهداء مؤتة
- ٢١٠ ..... تفقد النبي (ص) عوائل الشهداء
- ٢١٢ ..... عدد قتلى معركة مؤتة
- ٢١٣ ..... رجوع سرية مؤتة
- ٢١٣ ..... نتائج معركة مؤتة ودروسها
- ٢١٩ ..... القضاء على الوأد

- العصمة من الوأد ..... ٢٢٠
- موت الفجأة ..... ٢٢٢
- سرية خالد بن الوليد إلى بني حارث بن كعب بنجران ..... ٢٢٤
- وفد بني الحارث ..... ٢٢٦
- قدوم بني الحارث على النبي (ص) ..... ٢٢٩
- كتاب النبي (ص) لعمر بن حزم ..... ٢٣١
- سرية عبد الله بن عوسجة ..... ٢٣٣
- سرية طلحة بن عبيد الله ..... ٢٣٤
- سرية علقمة بن مجزز ..... ٢٣٦
- سرية الأمام علي لهدم (الفلس) ..... ٢٣٨
- المجئ بغلام أسود ..... ٢٣٩
- المشاورة ..... ٢٤٠
- كذب الغلام ..... ٢٤١
- الإغارة ..... ٢٤٣
- المسير نحو الفلس ..... ٢٤٥
- سفانة بنت حاتم ..... ٢٤٦
- مجئ عدي بن حاتم ..... ٢٥٠
- سؤال سفانة لرسول الله ..... ٢٥١

- ٢٥٣ ..... سفانة رسولة سلام
- ٢٥٤ ..... عدي مع النبي (ص) إلى بيته
- ٢٥٧ ..... عدي في بيت النبي (ص)
- ٢٥٨ ..... إخبار من علم الغيب
- ٢٦٠ ..... عدي ومعاوية
- ٢٦٠ ..... تفقه عدي
- ٢٦٢ ..... سرية عكاشة بن محسن الأسدي
- ٢٦٦ ..... استشهاد عكاشة
- ٢٦٨ ..... سرية خالد بن الوليد إلى أكيدر بدومة الجندل
- ٢٧٠ ..... وفد بني عقيل
- ٢٧٢ ..... من وفود بني عقيل بن كعب
- ٢٧٣ ..... حديث طارق بن عبد الله المحاربي
- ٢٧٧ ..... وفد معان
- ٢٧٨ ..... قدوم تميم الداري
- ٢٧٩ ..... وفد بني اسد
- ٢٨٠ ..... وفد عبس
- ٢٨٣ ..... وفد بني فزارة
- ٢٨٤ ..... وفد بني ثعلبة

- ٢٨٥ ..... وفد بني تميم
- ٢٨٩ ..... مفاخرة بني تميم
- ٢٩٠ ..... الرد على مفاخرة بني تميم
- ٢٩١ ..... شعر حسان رداً على بني تميم
- ٢٩٢ ..... إسلام وفد بني تميم
- ٢٩٣ ..... نزول آية الحجرات
- ٢٩٦ ..... وفد بني محارب
- ٢٩٧ ..... وفد بني رؤاس
- ٢٩٨ ..... لقيط بن عامر
- ٢٩٨ ..... وفد بني البكاء
- ٢٩٩ ..... قدوم وائلة بن الأسقع
- ٣٠٠ ..... وفد أشجع
- ٣٠١ ..... وفد باهلة
- ٣٠١ ..... وفد بني سليم
- ٣٠٣ ..... وفد بني هلال
- ٣٠٤ ..... محاورة وفد الأزد
- ٣٠٦ ..... وفد كندة
- ٣٠٧ ..... أبو ثعلبة الخشني

- وفود متعددة ..... ٣٠٩
- وفد بني سعد بن بكر ..... ٣٠٩
- فتح مكة مسلماً ..... ٣١١
- اختصاص النبي بصفة (شاهداً) ..... ٣١٣
- قوانين الجزء ٢٧١ ..... ٣١٥
- إمساكية شهر رمضان - ١٤٤٧هـ ..... ٣٢٢
- من الردود الكريمة على عدد من أجزاء هذا السفر المبارك ..... ٣٢٤

**رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد**

**٧٢ لسنة ٢٠٢٦**

**طُبِعَ هَذَا الْجُزْءُ عَلَى نَفَقَةِ  
الْأَمِيرِ الشَّيْخِ غَانِمِ الشَّيْخِ دَرَعِ الْفَيَّاضِ**